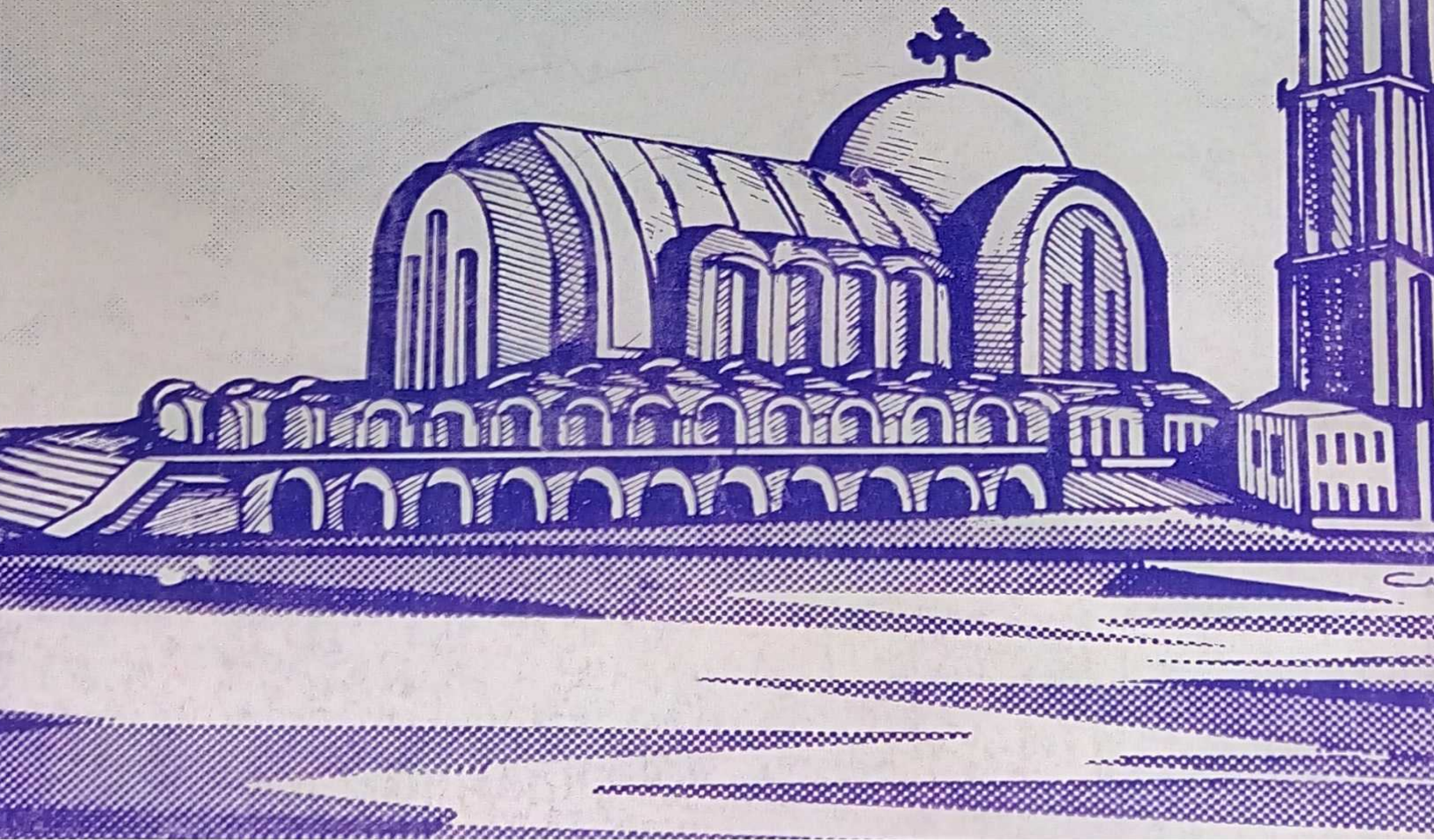


البيات سنووه الثالث

حياة الفقيه والسير



الكتاب : حياة الفضيلة والبر .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث .
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
الطبعة : الأولى سنة ١٩٩٤ م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة .
رقم الأيداع بدار الكتب : ١٩٩٤/٩٢٤٨ م
I.S.B.N. 977 - 5345 - 20 - 0



قَدَّاسُ الْبَنَاتِ بِأَسْبَاطِ الْبَنَاتِ
بِأَسْبَاطِ الْبَنَاتِ وَبِأَسْبَاطِ الْبَنَاتِ (١١٧) بِمِ

مقدمة الكتاب

يسرنى أن أقدم لك أيها القارئ العزيز هذا الكتاب عن حياة الفضيلة والبر ، الذى يضم ٣١ مقالاً فى الموضوع :

ذلك لكى تعرف ما هى حياة الفضيلة ؟ وكيف تكون ؟ وما مصادرها ؟ وما نوعياتها ؟ وما مستوياتها ؟ وما هو الفرق بين المستوى الجسدانى ، والمستوى النفسانى ، والمستوى الروحانى .

وتقرأ أيضاً عن حياة الفضيلة بين الهدف والوسيلة ، ومقاييس الفضيلة من حيث التعريف والهدف والوسيلة . كما أنها تقاس بنوع اهتمامات الإنسان ... وتتأثر الفضيلة بالقراءة والسمع وبقاى الحواس ...

وأحدثك فى هذا الكتاب أن البر الداخلى هو المعنى الحقيقى للفضيلة ، وليس المظهر الخارجى . وأن الفضيلة لا بد أن يكون لها ثمر يدل عليها ... والفضيلة هى الحياة بالروح، وهى البعد عن الإثنية ...

ولابد من التكامل فى حياة الفضيلة والبر . فضيلة واحدة لا تكفى ، ومن اللازم أن ترتبط بفضائل أخرى ، ولا تتناقض مع فضيلة أخرى ...

والفضيلة لها اختبارات تمتحن بها ، كما يلزمها ضبط النفس . وإن نجح الإنسان فى اختبارات الفضيلة ، ينال أكاليل خاصة بها . وأبرز إكليل فى الأبدية هو إكليل البر .

وبعد حديث طويل عن حياة الفضيلة ، أفردنا لك باباً هاماً عن عوائق الفضيلة .

نعم إنها عوائق ، ولكنها ليست موانع ، إذ يمكن الإنتصار عليها .

وأوردنا لك من هذه العوائق ، الذات ، والتساهل مع الخطية . والطرق التى تبدو

للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت . كذلك من عوائق الفضيلة المحبة الخاطئة

للنفس . وبحثنا أيضاً موضوع الجسد ، وهل هو عائق للفضيلة ؟ ومتى يكون عائقاً .

وتحدثنا عن طرق الإنتصار ليصل الإنسان إلى حياة الفضيلة ، وكيف يجب أن يقاوم

حتى الموت ، مجاهداً ضد الخطية ، ولا يحب ذاته المحبة التى تهلكها ...

ختاماً ، لا أريد أن أطيل عليك في هذه المقدمة ، فأمامك الكتاب اقرأ منه كما تشاء....
إنه مجموعة محاضرات ألقيتها متفرقة على مدى سنوات عديدة ، وفي مناسبات
مختلفة . ثم جمعناها لك معاً ، لكي تكون موضوعاً واحداً ، ذا هدف واحد ، هو وضع
حياة البر أمامك ، لكي تعيشها .
اسأل الله أن يعطيك نعمة وإرادة ، لكي تحيا هذه الحياة .

البابا شنودة الثالث

أكتوبر ١٩٩٤





البَابُ الْأَوَّلُ

مَا هِيَ الْفَضِيلَةُ ؟

مَا تَعْرِيفُهَا ؟

وَمَا أَنْوَعِيَّاتُهَا

وَرُوحِيَّاتُهَا

الفضيلة ماهى ؟ كيف تكون ؟ وماصادرها ؟

تعريفات

- ما هى الفضيلة ؟ وما معنى عبارة " إنسان فاضل " ؟
- ✦ ربما عبارة " إنسان فاضل " تعنى أنه إنسان خيّر ، يحب الخير ويعمله . ويحب البرّ .
- ✦ والفضيلة قد تعنى النقاوة ، أو السير فى طريق الله .
- ✦ وقد تعنى قوة فى النفس ، تمكنها من الإنتصار على كل نوازع الشر وإغراءاته .. وتمارس الحياة البارة .

- ✦ وربما تعنى الفضيلة الإرتفاع فوق مستوى الذات .
- بحيث يخرج الإنسان عن دائرة ذاته ، ويعيش لغيره .
- يخرج من الإهتمام بنفسه ، أو التركيز على نفسه ، للإهتمام بالآخرين ... من محبته لنفسه إلى محبته لله وللناس .
- نقول هذا لأن الخطيئة كثيراً ما تكون إحصاراً حول الذات .. إنسان يريد أن يرفع ذاته ، يمتّع ذاته ، يشبع رغبات ذاته .

- ✦ الفضيلة أيضاً هى إرتفاع فوق مستوى اللذة :
- لأن غالبية الخطايا قد تكون مصحوبة بلذة حسية ، أو لذة نفسية. فتدور حول ملاذ الجسد أو الفكر أو النفس ، وتصبح لوناً من إشباع الذات ، وبطريقة خاطئة .
- فالذى يحب المال أو المقتنيات ، إنما يجد لذة فى المال وفى المقتنيات. وكذلك من

يحب الزينة، ومن يحب الطعام. ومن يحب المناصب أو الشهرة، إنما يجد لذة في كل هذا.

* * *

ومن يحب الجسد، يجد لذته في الجسد ، ومن يحب الإنتقام لنفسه ، يجد لذة في ذلك .
الخطيئة إذن هي سعى وراء اللذة . والفضيلة هي إرتفاع فوق مستوى اللذة ، إلى أن
تجد إشباعاً لها في السعادة الروحية .
والسعادة غير اللذة ، والفرح غير اللذة .
اللذة غالباً مرتبطة بالحس ، بالجسد والمادة ، أما السعادة والفرح فيرتبطان بالروح ..
ولذلك الفضيلة إذن تكون إرتفاعاً فوق مستوى المادة أيضاً ...

مصادر الفضيلة

١ - أول مصدر هو الحكمة والإفراز والمعرفة :

وهكذا علمنا أبونا القديس الأنبا أنطونيوس .

والعلماء والفلاسفة يركزون على كلمة (المعرفة) . والمقصود بها المعرفة الحقيقية .
وهي المعرفة التي تميز بين الخير والشر ، ويسمىها البعض Gnosticism (الغنوسية) .
وهكذا يقول الكتاب :

" الحكيم عيناه في رأسه. أما الجاهل فيسلك في الظلام " (جا٢: ١٤) .

وهكذا نرى في مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (مت ٢٥) ، أن الحكيمات كن
يرمزن إلى حياة البر ، بعكس الجاهلات ...
لأن الحكيم الحقيقي بالضرورة يسلك في حياة الفضيلة . بينما لا بد أن نصف الخاطى
بأنه جاهل ، مهما كان من العلماء !

* * *

إنه جاهل بطبيعة الأشياء ، جاهل بطبيعة الخير والشر، جاهل بمصيره الأبدى، جاهل
بما تجلبه الخطيئة من نتائج .

جاهل لا يعرف خيره من شره ، ولا نفعه من ضره !

ولا نقصد المعنى السطحي من كلمة (جاهل) ، التي تعنى أنه لم يتعلم في مدارس أو
على أساتذة .. إنما هو جاهل من جهة الحكمة الإلهية ، وجاهل من جهة المعرفة

الحقيقية.. ومثل هذا الإنسان يحتاج إلى توعية وإلى إرشاد ...
وقد قال السيد المسيح عن الذين صلبوه ، إنهم " لا يدرون ماذا يفعلون " (لو ٢٣ : ٣٤).
وهكذا وصفهم بالجهل .. وقال الرسول عنهم .. " لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد "
(١كو ٢ : ٨) .

* * *

حتى الإلحاد ، يصفه الكتاب بالجهل ، فيقول :
" قال الجاهل في قلبه ليس إله " (مز ١٤ : ١) .
حتى لو كان هذا الإنسان من فلاسفة عصره . إنه جاهل !

* * *

الحكمة تدعو الإنسان إلى السير في الطريق السوي ..
فتاة مثلاً تحب شاباً من غير دينها ، محبة تؤدي بها إلى (الزواج) منه .. فيأتي مرشد
ليقول لها : أنت تسيرين في طريق مسدود ، لا تعرفين إلى أين ينتهي بك .. إنك تضعين
نفسك ، وعائلتك ، وإخواتك البنات، وربما الأولاد أيضاً !! المسألة تحتاج إلى معرفة
وحكمة . معرفة بنوع الحياة، وبالنتائج ...
وكلما يتعمق الإنسان في الحكمة ، على هذا القدر يتعمق في فهم الأمور . ويعرف ما
ينبغي أن يكون .

* * *

غير أن مصادر الفضيلة ، ليست هي مجرد الحكمة والمعرفة . فقد يعرف الإنسان
الخير ولا يسلك فيه ! هنا نتعرض للمصدر الثاني من الفضيلة ، وهو :

٢ - قوة الإرادة والعزيمة :

قد لا يستطيع إنسان أن يسلك في طريق الفضيلة ، لأنه مغلوب من نفسه ، لأنه
ضعيف الإرادة . وكما يقول الكتاب " لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي
لست أريده ، إياه أفعل " (رو ٧ : ١٩) .

ولهذا فإن كثيرين - لكي يحيوا في الفضيلة - يسلكون في تداريب روحية لتقوية
إرادتهم .

إن الضعف بسبب الوقوع في الخطية .

والوقوع في الخطية يؤدي إلى مزيد من الضعف .

كل منهما يكون سبباً ونتيجة للأخر ..

ولذلك نقول عن الإنسان الفاضل ، إنه إنسان قوى .. قوى فسى الروح ، وفى الفكر ، وفى العزيمة ، وفى التنفيذ ، وفى التدريب . إنه قوى فى الإنتصار على الحروب الخارجية ، وفى الإنتصار على النزعات الداخلية . الذى تستعبده عادة رديئة ، هو إنسان ضعيف . والذى لا يستطيع التحكم فى لسانه ، ولا التحكم فى أعصابه ، ولا التحكم فى فكره ، هو إنسان ضعيف . وبسبب هذا الضعف يبعد عن الفضيلة .. حتى إن تاب عن الخطية ، يعود إليها مرة أخرى .

* * *

٣ - من مصادر الفضيلة أيضاً : المبادئ والقيم :

الإنسان الروحى المتمسك بالمبادئ والقيم ، يحيا حياة الفضيلة . لأن القيم التى يؤمن بها تحصنه ، فلا يستطيع أن يخطئ ، مهما حورب بالخطية . يقول لك : لا أستطيع أن افعل هذا الشئ ، ولو كان السيف على رقبتى . لا أستطيع أن أكسر مبادئى . أما الإنسان الخاطئ ، فلا قيم عنده .

أى أن الفضائل لا قيمة حقيقية لها فى نظره ، حتى يحافظ عليها !! إنه يكذب لأن الصدق لا قيمة له فى نظره . ويزنى لأن العفة لا قيمة لها فى نظره . ويخون لأن الأمانة لا قيمة لها فى نظره .. وهكذا مع باقى الفضائل .

وبسبب ضياع القيم ، يقع فى الإستهتار واللامبالاة ...

لا الوقت له قيمة ، ولا المواعيد لها قيمة ، ولا الواجبات لها قيمة ، ولا النظام العام ، ولا القانون ، ولا التقاليد .. ولا شئ على الإطلاق !..

* * *

٤ - من مصادر الفضيلة أيضاً مخافة الله :

الإنسان الذى توجد مخافة الله فى قلبه ، لا يخطئ .. ولهذا قال الكتاب " بدء الحكمة مخافة الرب " (أم: ٩: ١٠) . ونجد فى هذه الآية الحكمة والمخافة معاً .. الإنسان الروحى ، يخاف أن يكسر وصايا الله . ويخاف اليوم الذى يقف فيه أمام

الديان العادل (عب ١٠: ٣١) . ويخاف العقوبة.. بل يخاف أن يفقد طهارته، وأن يفقد الصورة الإلهية . ويخاف أيضاً على سمعته ، ويخاف أن يكون عثرة لغيره . وبالمخافة ، يسلك فى طريق الفضيلة . وبممارسة الفضيلة يحبها. وهكذا يسلك فيها حباً لا خوفاً .

غير أن البعض من الذين لا يفهمون الترتيب الطبيعى للفضائل، يبعدون عن المخافة بفهم خاطئ للأية التى تقول " لا خوف فى المحبة. بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (ايو ٤: ١٨) .

فمن من الناس قد وصل إلى هذه المحبة الكاملة لله، التى تطرح الخوف إلى خارج!؟ علينا أن نبدأ بالمخافة أولاً. والكتاب يقول 'سيروا زمان غربتكم بخوف' (ابط ١: ١٧) . ويقول أيضاً تمعوا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى ٢: ١٢) . ولننق أن هذه المخافة هى التى ستوصلنا إلى المحبة .

* * *

٥ -- مصدر آخر للفضيلة هو الموهبة الإلهية :

فالفضيلة على نوعين ، نوع يولد الإنسان به ، بطبع هادئ طيب .. ونوع يجاهد الإنسان لكي يصل إليه .

أما عن النوع الذى يولد الإنسان به ، فهو كمثل يوحنا المعمدان، الذى قيل عنه إنه "من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس" (لو ١: ١٥) . ومثال أرميا النبى الذى قال له الله قبلما صورته فى البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدمتك . جعلتك نبياً للشعوب" (أر ١: ٥) . وكما يقول المثل العامى "مالك متربى؟ قال من عند ربى " ...

ومن الذين جاهدوا حتى يصلوا إلى الفضيلة، القديس موسى الأسود. والذى يجاهد..، ينال بلاشك أجراً سماوياً عن جهاده. وإنتصاره. وهؤلاء وضعهم السيد الرب فى سفر الرؤيا تحت عنوان " من يغلب .." (رؤ ٢: ٣) .

* * *

حتى الذى يولد بالفضيلة ، يحتاج أيضاً إلى جهاد ، لكي يغلب..

لأن عدو الخير لا يشاء أن يتركه فى راحة . بل يحاربه محاولاً أن يفقده فضائله. فالذى ولد بالفضيلة، يلزمه أن يثبت فيها، ويصمد أمام حروب العدو. وكما قال الرب

لملاك كنيسة فيلادلفيا " تمسك بما عندك، لنلا يأخذ أحد إكليلك" (رؤ ٣: ١١) ...
وأيضاً يجاهد حتى يصل إلى الكمال في فضيلته .

إنه جهاد للنمو . وجهاد يدخل به من الباب الضيق حسب وصية الرب (مت ٧: ١٣) .

* * *

٦ - من مصادر الفضيلة ، النعمة :

نعمة الله التي تساعد الإنسان وتقويه ، لكي يسلك ويثبت في طريق الله . كما قال بولس الرسول " بنعمة الله أنا ما أنا . ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة . بل أنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي " (١كو ١٥: ١٠) . ولأهمية هذه النعمة، فإن الكنيسة المقدسة تطلبها لنا في كل إجتماع قائلة " نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله وشركة الروح القدس، تكون مع جميعكم آمين " (٢كو ١٣: ١٤) .

على أننا يجب أن نتجاوب مع عمل النعمة . ونشترك مع الروح القدس في العمل .

ذلك لأن نعمة الله العاملة معنا ، لا تهينا الفضيلة إلا باشتراكنا معها، وقبولنا لها .

ولذلك يقول الرسول " النعمة العاملة معي " . وليست العاملة وحدها .

الروح القدس يعمل فينا ، ونحن نعمل معه . نشترك معه في العمل .

* * *

٧ - قال بعض الآباء :

الفضيلة بطبيعتها مغروسة في النفس :

وهكذا تكون الخطية مجرد مقاومة لهذا الغرس الإلهي ..

ولهذا تجد ضمير أي إنسان أياً كان، من أي دين من الأديان، بوذي، براهمي،

كنفوشيوسي .. من أي دين، تجد الفضيلة مغروسة فيه .. إنها الشريعة الطبيعية غير

المكتوبة ، التي وضعها الله فينا. توضح لنا الخير ، وتدفعنا إليه ، وتبكتنا إن لم نسلك في

طريق الفضيلة ...

* * *

لذلك نجد أن الذي يخطئ ، يشعر بالخجل والخوف والإرتباك ..

هذا هو الذي يحدث للطفل ، حينما يخطف شيئاً ليس له ، أو حينما يرتكب خطأ لا

توافق عليه القيم المغروسة فيه بالفطرة .. وهذا ما يحدث للكبار أيضاً . لهذا يحبون أن

يرتكبوا الخطية فى الخفاء، فى الظلمة ، دون أن يلاحظهم أحد .. لأنهم يقاومون شيئاً مغروساً فى أعماقهم ، ولذلك قيل عنهم :

" أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو ٣: ١٩) .
بقى أن أحدثك عن نوعية الفضائل : السلبية والإيجابية ، الداخلية والخارجية ، وكذلك تكامل الفضائل وأموراً أخرى .

* * *

تحدثنا عن تعريف الفضيلة، وعن مصادرها ونضيف هنا : فنقول عنها إنها :

شركة الروح القدس

الروح القدس يسكن فينا (١كو ٣: ١٦) . وهو يعمل فينا. وفى نفس الوقت يعمل بنا . ولذلك لابد أن نشترك معه فى العمل . ولا يمكن أن نأخذ من عمل الروح فينا موقفاً سلبياً. لذلك فالفضيلة هى شركة مع الروح القدس .

هى نتيجة لقوة عمل الله. الذى يقابله تجاوب من إرادة الإنسان. لأنه إن كان الإنسان لا يريد ، فلا يمكن أن تتم الفضيلة. وهكذا وبخ الرب مرة شعب أورشليم ، وقال لهم " كم مرة أردت .. ولم تريدوا . هوذا بيتكم يتترك لكم خراباً " (مت ٢٣: ٣٧ ، ٣٨) .

محبة الخير

الفضيلة ليست مجرد عمل الخير ، إنما هى بالأكثر محبة الخير.

لأن بعض الناس قد يعملون الخير خوفاً من العقوبة، أو من أجل السمعة وتجنباً لكلام الناس . أو يعملون الخير حباً فى المديح، أو رغبة فى نوال مكافأة، أو مجازاة لجو معين... ولكن ليس فى كل ذلك فضيلة ...

إنما الفضيلة هى حب الخير ، حتى إن لم تفعله لسبب خارج عن إرادتك . ولذلك نقول فى أوشية القرايين ، ضمن من نطلب لهم بركة العطاء " والذين يريدون أن يقدموا وليس لهم " .

ولكن إن وجدت إمكانية لعمل الخير ، لابد أن تعمله .

وهكذا تجتمع نية القلب ، مع الإرادة، مع العمل . لأن النية وحدها، لا تفيد الآخرين .

والعمل هو التعبير عما في القلب من مشاعر طيبة .
الفضيلة لا تقف عند حد ، إنما هي سعي نحو الكمال .

سعي نحو الكمال

فالذي يعمل للفضيلة يود أن ينمو فيها . ويستمر في النمو حتى يصل إلى الكمال
الممكن له كإنسان ، أعنى الكمال النسبي . وذلك كما قال الرب في العظة على الجبل
"فكونوا كاملين، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) .
والسعي إلى الكمال ، قد يحتاج إلى التدرج .

والآباء الروحيون كثيراً ما يدرّبون أولادهم في نطاق هذا التدرج . لأن الطفرات
السريعة كثيراً ما تؤدي إلى المجد الباطل والإفتخار ، وأحياناً تكون لها نتائج عكسية . لكن
الآباء الروحيين يحبون أن يثبت أولادهم جداً في كل خطوة يخطونها، حتى إذا ما صارت
طبيعية عندهم، يتدرجون منها إلى خطوة أخرى ، ولا يصبحون في خطر من نكسة
ترجعهم إلى الوراء ...

أما إذا أرادت النعمة أن ترفع الإنسان مرة واحدة إلى فوق، فهذه هبة إلهية غير
عادية .

وتأتى هذه الفضيلة بالممارسة في الحياة . وإنما يتحدث الكاب عن السلوك فيقول
"لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، إنما حسب
الروح" (رو ٨ : ١) . وأيضاً "من قال إنه ثابت فيه، ينبغي أنه كما سلك ذلك هكذا يسلك هو
أيضاً " (١ يوحنا ٢ : ٦) ...

إنّ الفضيلة هي سلوك بالروح .

قد يبدأ بالحب . وقد يبدأ بالمخافة ، ويتحول إلى الحب . ولكنه في كلتا الحالتين . حب
لله ، وحب للخير ، وحب للغير ، يظهر في سلوك الإنسان وفي حياته العملية .
والحياة في الفضيلة هي حياة جهاد :

حياة جهاد

لأنه كما أن النعمة تحب أن ترفعك إلى فوق ، كذلك قوى الشر لا تريد أن تتركك في

راحة، إنما تحاول أن تجذبك إلى أسفل. وكما قال الرسول إن "إيليس خصمكم كأسد يزار، يجول ملتصقاً من بينثمه هو . فقاوموه راسخين في الإيمان " (بط ٥: ٨، ٩) .
من هنا كانت الفضيلة صراعاً ضد الخطية .

ولذلك قال القديس بولس الرسول "البسوا سلاح الله الكامل، لكي تقفروا أن تثبتوا ضد مكاييد إبليس . فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية ... " (أف ٦: ١٠ - ١٢) .
وبمناسبة هذا الصراع ، يمكن أن نقسم الفضيلة إلى نوعين :

نوعان من الفضيلة

وذلك من الناحية السلبية ، ومن الناحية الإيجابية :
فمن الناحية السلبية مقاومة الخطية ورفضها ، ومن الناحية الإيجابية السلوك الطيب في عمل الخير . فليست الفضيلة هي فقط البعد عن الخطية ، إنما أيضاً حياة البر .
لا يكفي فقط أنك لا تكره إنساناً ، إنما يجب أن تحب الكل .
لا يكفي أنك لا تقول كلمة شريرة ، إنما يجب أن تقول كلاماً للبنين ينفع الآخرين .
ليست الفضيلة هي إنك لا تضر الناس، بل هي بالأكثر أن تخدمهم وتعينهم وتتعب لأجلهم .

★ ★ ★

يعرف البعض الفضيلة بأنها وضع متوسط بين رذيلتين :
فالشجاعة مثلاً هي الوضع المتوسط بين الخوف والتهور .
والتربية السليمة هي الوضع المتوسط بين القسوة والتدليل .
والتدبير الحكيم في مالك هو الوضع المتوسط بين البخل والتبذير .
ويمكننا أن نضرب أمثلة عديدة لهذا الوضع المتوسط .

★ ★ ★

الفضيلة لها مستويات في حياة الإنسان :

مستويات

مستويات في الحس ، والفكر ، والقلب ، والعمل ...
المستوى الجسدي للفضيلة ، والمستوى النفسي ، والمستوى الروحي .

وعلى الإنسان أن يحفظ نفسه في كل مستوى ، ويحترس من السقوط في غيره . فمثلاً الحواس هي أبواب الفكر . فما تراه وتسمعه وتلمسه ، قد يجلب لك أفكاراً. فلكي تحفظ فكرك، احفظ حواسك. وإن أخطأت بالحواس، لا تجعل الخطأ يتطور بك إلى فكرك. فإن وصل إلى الفكر أطرده بسرعة .
وإن وصل الخطأ إلى الفكر ، لا تجعله يتحول إلى مشاعر في قلبك . وإن تحول إلى مشاعر لا تجعله يتطور إلى الفعل والعمل .

* * *

واعلم أن جميع المستويات تتجاوب مع بعضها البعض . وربما يصير البعض منها سبباً ونتيجة ...

فخطأ القلب يسبب خطأ الفكر . وخطأ الفكر يسبب مشاعر للقلب. وربما الإثنان يدفعان إلى العمل . والعمل يسبب خطوة للحواس، وكذلك الحواس تقود إلى العمل .. إنها دائرة، أية نقطة تدور فيها، توصل إلى باقي النقاط .

وكما في الشر ، كذلك في الخير ، تتعاون المستويات معاً .
وكما تحدثنا عن هذه النوعيات ، نتحدث عن نوعيات أخرى وهي :

من الداخل والخارج

في الداخل ، في القلب والروح والفكر. وفي الخارج في الجسد والممارسة .
الحب مثلاً فضيلة في القلب ، ولكن لا بد أن يتحول إلى عمل محبة من الخارج . وفي ذلك يقول القديس يوحنا الرسول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق " (ابو٣: ١٨) .. وهنا تظهر المحبة التي فيها عطاء وبذل وتضحية .

فضيلتك التي في فكرك ، لا يشعر بها أحد . فيجب أن تعبر عنها بعملك .
محبتك لابنك التي في داخل قلبك ، تعبر عنها بالعطايا، بالإهتمام ، بالحنو ...

* * *

وهنا نتذكر عبارة جميلة في نشيد الأنشيد وهي :

" اجعني كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك " (نش٨: ٦) .

كخاتم على قلبك بالمشاعر الداخلية . كخاتم على ساعدك بالعمل. يدك تمتد وتعمل

وتساعد .. كخاتم على قلبك بالإيمان ، وعلى مساعدك بالأعمال .
 بطرس الرسول جعل الرب خاتماً على قلبه ، حينما قال " لو أنكرك الجميع فأنا لا
 أنكرك " أنا مستعد أن أمضى معك حتى إلى السجن وإلى الموت " (لوقا: ٢٢: ٣٣) .. ولكنه
 مع ذلك لم يجعل الرب خاتماً على ساعده ، حينما أنكره ثلاث مرات، وحينما سب ولعن
 وقال لا أعرف هذا الرجل " (متى: ٢٦: ٧٠ - ٧٥) .
 ولذلك بعد القيامة ، سأله الرب ثلاث مرات " أتحنى أكثر من هؤلاء؟! " (يوحنا: ٢١: ١٥
 - ١٧) ... إن كنت تحبنى، لا يكفى بالقلب، بل بالعمل : ارع خرافى ، ارع غنمى .

★ ★ ★

الله نفسه عبر عن مشاعر القلب بالعمل .
 فقيل " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ،
 بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا: ٣: ١٦) .. " أحب العالم " هذا من جهة القلب .. " وبذل
 ابنه الوحيد " هذا من جهة العمل .

★ ★ ★

والله يعبر عن محبته لنا برعايته وعنايته وحفظه لنا .
 ومن هنا كان الحب فضيلة القلب . والفداء هو العمل والتعبير .
 إذن لا نكتفى بأن نقول محبة الله فى قلوبنا ، إنما ينبغى أن نعبر عن هذه المحبة ، وأن
 نبذل لأجله ، ونتألم لأجله .. ولا نكتفى بإيمان بغير أعمال ، لأن الإيمان بغير أعمال ميت
 (يعقوب: ١٧، ٢٠) .

★ ★ ★

خشوع القلب من الداخل ، نعبر عنه بخشوع الجسد من الخارج .
 وهكذا نجد فى الصلاة : الوقوف والركوع والسجود ، ورفع الأيدي، والنظر إلى فوق .
 وثبات النظر بلا تشتت ، والجسد بلا حركة، والفكر بلا طياشة .. ولا تقل فى كل ذلك
 "الله إله قلوب! وكفى أن قلبى مع الله " !! مثال ذلك من يصلى على المائدة وهو جالس!!
 وفى كل ذلك نذكر قول المرتل فى المزمور " أما أنا فبكثر رحمتك أدخل إلى بيتك،
 وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك " (مز ٥) .

نعبر عن المخافة والخشوع بالسجود . وما أجمل قول الرسول :
 " مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " (١كو: ٦: ٢٠) .

لا يكفي إذن التمجيد بالروح ، إنما بالجسد أيضاً . المشاعر الداخلية تحتاج إلى التعبير الخارجي . فيشترك الجسد مع الروح . وتكون الفضيلة من الداخل ومن الخارج أيضاً . ما جرى في عروقك من مشاعر ، يكون له ثمر من الخارج .
" ومن ثمارهم تعرفونهم " (مت ٧ : ٢٠) .

* * *

حياة الشجرة في داخلها ، تعبر عن وجودها من الخارج ، بالخضرة ، بالزهر ، بالثمر . " وكل شجرة لا تصنع ثمراً ، تقطع وتلقى في النار " (مت ٣ : ١٠) .
نريد إذن الفضيلة المثمرة .
بالعمل الطيب ، بالكلمة الطيبة ، بالسلوك الحسن ، بالقدوة ، بالنور الذي يضيء للآخرين ، بالمحبة العملية .

* * *

نقطة أخرى أقولها وهي تكامل الفضائل :

تكامل الفضائل

الفضائل تتكامل معاً ، ولا تتعارض . وإن سلكت في فضيلة ما ، فلا بد ستقودك إلى فضائل أخرى كثيرة . وإن فقدت إحدى الفضائل ، فما أسهل أن يجرك هذا السقوط إلى فقد فضائل أخرى عديدة .. إنها سلسلة مترابطة . إن إنفك عقد أحدها ، انفردت الباقي...
فاحترس من الإهتمام بفضيلة واحدة ، تفقد معها باقي الفضائل .

* * *

وهنا سهل أن نتكلم عن خطورة الفضيلة الواحدة .
محبتك لابنك مثلاً ، ينبغي ألا تتفصل عن تربيته لابنك .
وينبغي أن لا تتفصل عن الحكمة في هذه التربية . والحكمة ترتبط أيضاً بالمعرفة .
وإهتمامك بجسد ابنك وصحته ، لا يمنعك من الإهتمام بعقله ، وتثقيفه . وأيضاً يجب أن تهتم بروحيات ابنك وبأبديته ...
وهكذا في باقي الفضائل .

* * *

كونى أحب الناس ، هذا حسن . ولكن ليست محبتهم معناها مجاملتهم فى كل شىء، ولو على حساب الحق . ولكن أحب الله ، وأحب الناس فى نفس الوقت . وليس الحب معناه العطف الجسدى أو المادى فقط، إنما معناه أولاً الحب الروحى .
الراعى يحب رعيته . ولكن ليس معنى هذا أنه يعطف عليها عطفاً ، يجعلها تستمر فى الخطأ ولا تخاف .

محبة الله يجب أن ترتبط أيضاً بمخالفته ، أى بمهايته .
كيف نتكامل إذن فى الفضائل ؟ وكيف نصل إلى الوحدة التى ترتبط بها كل الفضائل؟
هذا ما أود أن أحدثكم عنه فى الصفحات التالية .



خطورة الفضيلة الواحدة

إنه خطأ يقع فيه الكثيرون ، إن لم يكن غالبية الناس ، أعنى الإهتمام بفضيلة واحدة، أو التركيز على فضيلة واحدة ، بأسلوب يتناقض مع فضائل أخرى ، أو تهمل فيه فضائل أخرى .

فالحياة الروحية ليست مجرد فضيلة معينة . ولكنها حياة تشمل كل شيء ...
كما أن الكتاب المقدس ليس مجرد آية واحدة ، أو وصية واحدة ، إنما هو كتاب ، تحدث عن الخير كله ، وعن البر كله ، وينبغي أن نلتفت إلى كل ما فيه من وصايا ، لكي نحيا حياة لا نقص فيها ولا صراع .. لأنه ربما نقص فضيلة واحدة قد يضيع الحياة كلها..! وكما قال الرسول :

" إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لي محبة ، فلست شيئاً " (١٣: ٢) .

تصوروا إنساناً ركز على فضيلة واحدة عظيمة جداً هي الإيمان ، ووصل إلى قمته . ولكن نقصته المحبة ، فأصبح لا شيء !!
وبنفس الوضع الذي يجاهد حتى يصل إلى مستويات عليا في حياة الفضيلة والبر ، وينقصه فضيلة واحدة هي التواضع .. ما أسهل أن يقع في الكبرياء أو في البر الذاتى أو المجد الباطل ، ويهلك !! ...

مثال ذلك الفريسي الذي وقف يصلى مفتخراً في الهيكل .
كان يذهب إلى الهيكل يصلى، وكان يصوم يومين في الأسبوع، ويعشر جميع أمواله . ولم يكن من الناس الظالمين الخاطفين الزناة . وهكذا لم يحصل فقط على فضيلة واحدة ، وإنما على جملة من الفضائل . ولكن لأنه كانت تنقصه فضيلة الإبتضاع ، بل كان يفخر بنفسه ، ويدين ذلك العشار . لذلك لم يخرج من الهيكل مبرراً مثل العشار (١٨: ١٤) .
وسنحاول أن نضرب أمثلة لخطورة إستخدام الفضيلة الواحدة :

الوداعة :

بعض الأشخاص يتمسك جداً بفضيلة الوداعة ، على اعتبار أن السيد المسيح قد قال تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩) وأيضاً قوله فى العظة على الجبل " طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض" (مت ٥ : ٥) .. ويفهم الوداعة ، على أنه يكون باستمرار هادئاً لا يفضب .

وتأتى مواقف تحتاج إلى نخوة وإلى شجاعة وشهامة ، ولا يتحرك هذا (الوديح) ، لأنه يحب أن يكون باستمرار طيباً هادئاً !!

وفى تصرفه هذا لا يكون إنساناً فاضلاً ، لأن كل مناسبة تحتاج إلى الفضيلة التى تناسبها . وتمسك هذا الإنسان بفضيلة الوداعة ، بدون الشهامة والشجاعة توقفه فى موقف الملام الناقص .. وقد قال الحكيم " لكل شئ زمان ، ولكل أمر تحت السماوات وقت " (جا ٣ : ١) .

* * *

* إبراهيم أبو الآباء كان إنساناً وديعاً ، إذ سجد أمام بنى حث ، لما اشترى منهم مغارة المكفيلة ، لتكون قبراً لسارة (تك ٢٣ : ١٢) . ومع ذلك ظهرت نخوته وشجاعته لما سمع أن أخاه لوطاً قد سبى ، جمع رجاله المنريبين " (تك ١٤ : ١٤) . وقام ضد أربعة ملوك وهزمهم وردّ سبى لوط وسادوم . ولما أراد ملك سادوم أن يكافئه ويعطيه شيئاً من الغنائم ، رفض وقال له فى عزة نفس " لا أخذ خيطاً ولا شراك نعل .. فلا تقول أنا أغنيت ابرام " (تك ١٤ : ٢٣) .

* * *

* كان الرهبان ودعاء . ولكنهم لم يكتفوا بالوداعة وحدها . ولما حان وقت الدفاع عن الإيمان كانوا شجعاناً .

* ومن الخطأ أن نكتفى بالوداعة ، ونظن أنها تغنيك عن الشجاعة ، أو تحولك إلى جثة هامدة بلا حركة ، لا نخوة فيها ولا شجاعة .

بل تستخدم الوداعة حين تحسن الوداعة . وتستخدم الشجاعة حين تلزم الشجاعة . تكون كلتاها فيك ، وتظهر كل منهما فى الحين الحسن المناسب لها .

* * *

الوداعة ليس معناها الضعف . والقوة ليس معناها العنف .
والوداعة والقوة تمتزج كل منهما بالحكمة والفهم . الإنسان الضعيف لا يمكن أن يكون
صورة الله ومثاله . والإنسان القوي لا ينحرف إلى التهور ، ولا يفقد وداعته وأدبه .
موسى النبي كان وديعاً . ولكنه اُضيف إلى وداعته الشجاعة والقوة .
كان وديعاً إلى أبعد الحدود ، إذ قيل عنه " وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من
جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢: ٣) . وفي نفس الوقت كان شجاعاً وشهماً
وقوياً . إذ وقف ضد الشعب كله لما عبد للعجل الذهبى . ووبخ أخاه هرون رئيس الكهنة
حتى خاف منه ولربت بك . " وأخذ العجل الذى صنعوه ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار
ناعماً ، ونراه على وجه الماء " (خر ٣٢: ٢٠) .

* * *

وداود النبي أيضاً اُضيف الشجاعة والقوة إلى وداعته .
كان وديعاً حقاً . ونحن نقول فى المزمور " انكر يارب داود وكل دعته " (مز ١٣١:
١) . ولم يركن إلى الوداعة وحدها . بل لما وجد الجيش كله خائفاً أمام جليات الجبار ،
قال " لا يسقط قلب أحد بسببه " (اصم ١٧: ٣٢) . وذهب بكل شجاعة وحاربه ، وقتله ،
وأزال العار عن الشعب كله .

* * *

والسيد المسيح نفسه كان وديعاً (مت ١١: ٢٩) . وكان قوياً .
وقف ضد الكتبة والفريسيين ، وقال لهم " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المرأؤون "
(مت ٢٣) . ووقف ضد الصدوقيين والناموسيين وأفحمهم وأخجلهم ، وكذلك بكت كهنة
الشعب اليهودى (مت ٢٢، ٢١) .
وهنا ننتقل إلى فضيلة أخرى وهى الطيبة :

الطيبة :

كثيرون يحاولون أن تكون لهم فضيلة الطيبة ، لأنها ميزة واضحة للأتقياء والقدسين .
ولكنهم إذ يسلكون فى طيبة القلب وحدها ، بلا إفراس وفهم ، كثيراً ما يصبحون ألعوبة
وهزأة فى أيدي المستهترين .

كن طيب القلب . ولكن أضف إلى الطيبة فضيلة الحكمة . فقد قال السيد المسيح "كونوا بسطاء كالحمائم ، وحكماء كالحيات . ولكن أحرصوا من الناس " (مت ١٠ : ١٦ ، ١٧) . فكن طيباً ، ولكن ليس بالقدر الذي تفقد فيه كرامتك وهيبتك . وإلا فإن البعض - بسببك - سوف يكرهون الطيبة التي تجعل الغير يستغلهم ويستهزئ بهم .

* * *

المشكلة إذن ليست في الطيبة ، وإنما في عدم مزجها بالحكمة ، وبقوة الشخصية . بهذا ندرك عيب استخدام الفضيلة الواحدة .

إذن يجب عليك أن تزن كل فضيلة بميزان دقيق ، ولا تمارسها منفردة عن باقي الفضائل ، وإن رأيت من نتائجها سلبيات ، اعرف أن السلبيات ليست بسبب الفضيلة ، وإنما بسبب وقوفها وحدها بعيدة عن سائر الفضائل التي ينبغي أن تصاحبها وتحميها . يمكن أن تكون طيب القلب . ولكن ليس معنى الطيبة أن تسلم قيادتك لغيرك ، أو أن تشترك بضعف شخصية في أخطاء الآخرين . أو أنك خوفاً من أن تغضب غيرك ، تشترك معه في خطأ ، أو تجامله في ذنب واضح !

* * *

كان السيد المسيح طيب القلب جداً . وكان أيضاً قوياً جداً .

كان طيب القلب ، إذ قيل عنه إنه كان " لا يخاصم ولا يصيح ، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفى " (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) . وفي نفس الوقت لم تقف وداعته وحدها . وإنما إلى جوارها شخصية قوية . إذ كان قوياً في كلامه وفي إقناعه وتأثيره . قوياً في محبته ، وفي بذله ، وفي مواجهته للمواقف .

كان طيباً يحب الأطفال ويحضر عليهم . ويدافع عن المرأة الخاطئة . وفي نفس الوقت يخزي الذين قبضوا عليها فينسحبون (يو ٧ : ٩-٨) .

في طيبة قلب سمح للشيطان أن يجربه . ولما زاد عن حده ، انتهره في قوة قائلأ " اذهب يا شيطان " . فمضى (مت ٤) .

سمح للجنود أن يقبضوا عليه . وفي نفس الوقت لما قال لهم " أنا هو " ، سقطوا على الأرض من هيبته " (يو ١٨ : ٦) .

* * *

من المفروض فى الآباء والمعلمين ، أن يكون فى طبيعهم الحنو ، وأيضاً تكون لهم
الهيبة . وليس من الصالح أن حنوهم يفقدهم هيبتهم .
لعل هذا ينقلنا إلى فضيلة أخرى هى الحزم .

الحزم :

قد يقال عن راهب إنه إنسان طيب يصلح أباً ، ولكنه قد لا يصلح أن يكون أسقفاً ، إذ
تتقصه الإدارة . وضميره يتعبه إن أخذ موقفاً حازماً ، أو إن أنتهر أو عاقب أحداً .

كأنما الإدارة والحزم ضد الروحيات !!

الإنسان الروحى يمكنه أن يجمع الأمرين معاً . ولا يستخدم الحنو بدون حزم . فمثل
هذا الحنو الخالى من الحزم يضر ويتلف ...

يوسف الصديق كان حازماً جداً فى إدارة شئون مصر . وفى نفس الوقت كان له قلب
حساس مملوء من الحنو . كان حازماً جداً فى معاملته لإخوته ، حتى أنهم إرتاعوا منه
وخافوا ، لما قال لهم " أنا يوسف . أحيى أبى بعد ؟ " (تك ٤٥ : ٣) . ومع ذلك لم يستطع أن
يضبط نفسه ، لما عرف أخوته بنفسه ، وأطلق صوته بالبكاء (تك ٤٥ : ١ ، ٢) .

* * *

السيد المسيح كان يحب تلاميذه . وكان ينتهرهم أحياناً .

قيل إنه " أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣ : ١) . ومع ذلك
لما أراد بطرس أن يمنعه عن موضوع الصلب ، قائلاً له " حاشاك يارب " . قال الرب
لبطرس " اذهب عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى " (مت ١٦ : ٢٣) . هنا نجد الحزم واضحاً .

وبنفس الحزم وبخ الرب تلميذه يعقوب ويوحنا ، لما رفضت قرية للسامريين أن تقبله ،
فقال التلميذان " أتريد يارب أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً " .
فالتفت الرب وأنتهرهما . وقال : لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن بين الإنسان لم
يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص " (لو ٩ : ٥٣ - ٥٦) .. نعم فى هذه المناسبة أنتهر الرب

يوحنا ، الذى كان يتكى فى حب على صدره ...

* * *

من الأشياء العجيبة التى نجدها أحياناً . فى محيط الأسرة ، أن الأبوين قد يوزعان
الحب والحزم بينهما . فيكون الحب مثلاً للأب ، والحزم للأب !! بينما الحب والحزم

يجب أن يتصف بهما كل منهما ...

فإن أخطأ الإبن ، أو حاول أن يخطئ ، تقول له الأم " .. لئلا يغضب أبوك ويعاقبك"
دون أن تقول له إنها هي أيضاً لا ترضى عن تصرفه . ويختلط الأمر على الإبن ، ولا
يعرف أين الحق ؟ كل ما في الأمر أنه يتقى غضب الأب !

ويحدث أحياناً أن كاهناً يريد أن يكسب محبة شعبه ، أو رئيساً يحب أن يكسب محبة
مرؤوسيه .. من أجل هذا يتهاون الأب الكاهن في حقوق الله . ويتهاون رئيس العمل في
حقوق العمل !! ولا يضم أحد منهم إلى محبة الناس محبة الله والإخلاص للعمل !!

الخدمة والتأمل :

هناك خدام يركزون على خدمتهم تركيزاً كبيراً ، ومن فرط إنشغالهم بها يفقدون أهمية
للصلاة والتأمل في حياتهم ، ويهملون روحيتهم في تركيزهم على فضيلة واحدة هي
للخدمة !!

ولاشك أن هذا ضد التكامل في حياة الروح .

إن السيد المسيح كان يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت (مت ٩ : ٣٥) . ومع
ذلك كان يقضى الليل كله في الصلاة ، وله خلوته في جبل الزيتون (يو ٨ : ١) وفي بستان
جثسيماني .

ويوحنا المعمدان كانت له خدمته الناجحة جداً التي أعدها بها الطريق أمام الرب . ومع
ذلك قضى ٣٠ سنة من حياته في البرية حتى ظهر لإسرائيل (لو ١ : ٨٠) .
وإيليا النبي كانت له خدمته التي قضى بها على أنبياء البعل وأنبياء السواري، ووبخ
بها أخاب الملك (١ مل ١٨) . وفي نفس الوقت كانت له خلوته على جبل الكرمل .

وبولس الرسول كانت له حياة التأمل التي صعد بها إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢ : ٢) .
ومع ذلك كانت له خدمته القوية التي تعب فيها أكثر من جميع الرسل (١ كو ١٥ : ١٠)
والتي بشر بها في آسيا وأوروبا وكتب ١٤ رسالة ، بل كتب رسائل وهو في السجن
أيضاً.

الإنسان المتكامل يجمع بين الحياتين : لا تكون الخدمة على حساب التأمل ، ولا التأمل على حساب الخدمة . ولا يكتفى بفضيلة منهما مهملًا الأخرى .

من الأمثلة الواضحة لخطورة الفضيلة الواحدة ، موضوع الطاعة :

الطاعة

لقد أمر الله بطاعة المرشدين الروحيين الذين يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً (عب ١٣: ١٧) . وفي بستان الرهبان أمثلة كثيرة عن الطاعة لأباء كانوا قدوة عجيبة في حياة القداسة . وهنا يقف أمامنا سؤال هام وهو : هل تجب الطاعة مهما كان الأمر متعباً للضمير ؟! هنا ونضع إلى جوار الآية التي تدعو إلى الطاعة ، آية أخرى مشهورة وهي :

" ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥: ٢٩) .

* * *

فالمسيحية لا تتأدى إطلاقاً بمبدأ (الطاعة العمياء) . فينبغى أن يكون الإنسان واعياً في طاعته ، مدركاً أنه يطيع المرشد داخل طاعة الله . وإلى جوار طاعة المرشد ، ينبغى أن توضع أيضاً طاعة المرشد لله . وكذلك روحانية المرشد . ونفس الكلام يقال في محيط الأسرة . إذ يقول الكتاب :

" أيها الأبناء ، أطيعوا والديكم في الرب ، فإن هذا حق " (أف ٦: ١) .

ونضع تحت عبارة (في الرب) أكثر من خط . فإن أمرك أحد والديك أمراً يخالف وصية الله، فلا تطعه . إنما تطيع وصية الله . وهذا الأمر يحتاج إلى إفراز . وفي الكتاب أمثلة واضحة له . لعل من أبرزها : موقف سليمان الحكيم من طاعة أمه بثشبع، وموقف يوناتان من طاعة أبيه شاول الملك :

* * *

أ - موقف سليمان الحكيم من طاعة أمه .

كان سليمان الملك يحترم أمه جداً ويكرمها . فلما جاءت لزيارته، يقول الكتاب إنه " قام للقائها، وسجد لها . وجلس على كرسيه ، ووضع كرسيها لأم الملك، فجلست عن يمينه " (١مل ٢: ١٩) . ولما قالت له " سؤالاً واحداً صغيراً، لا تردني، " قال لها "إسألني يا أمي،

لأنى لا أردك " (امل٢: ٢٠) . ولكنها لما طلبت إعطاء أيشج الشونمية زوجة لأخيه أدونيا ، رفض سليمان الملك ، بل أمر بقتل أدونيا " (امل٢: ٢٥) .
لم يطع سليمان أمه فى أمر يخالف الشريعة .

كانت أيشج الشونمية تعتبر زوجة لأبيه داود ، وبنفس القرابة لأخيه أدونيا (امل١: ٤-١) . فكيف يجرؤ أدونيا أن يطلب الزواج بإمرأة أبيه ، وهذا أمر مخالف لشريعة الله (١٨٧: ٨) ، لأنها بمثابة أمه . لذلك صار مستوجب القتل . كذلك كان خطأ من بثشبع أن تتوسط لأدونيا فى هذا الطلب الخاطئ (امل٢: ١٨) . لذلك رفض سليمان طلبها ، بل ويخها على ذلك (امل٢: ٣٣) على الرغم من سجوده لها قبلاً .

* * *

ب - موقف يوناتان من شاوول الملك أبيه :

كان شاوول الملك يحسد داود ، ويخاف أن يأخذ داود الملك منه . لذلك حاول أن يقتل داود أكثر من مرة . أما يوناتان فإنضم إلى داود ضد شاوول أبيه . و كان يخبر داود بخطه أبيه لكى يهرب داود منه (٢صم١٩: ٢) . بل إن يوناتان وبخ أباه شاوول من جهة محاولته قتل داود ، وقال له " لا يخطئ الملك إلى عبده داود ، لأنه لم يخطئ إليك ، ولأن أعماله حسنة لك جداً .. فلماذا تخطئ إلى دم برئ، بقتل داود بلا سبب ؟" (٢صم١٩: ٤ ، ٥) .. وعمل يوناتان على إفساد خطة أبيه فى قتل داود ، وأنقذه منه (٢صم٢٠) .

* * *

الطاعة إنن موجهة أصلاً إلى الله .

أما طاعة الآباء والمرشدين ، فهي داخل طاعة الله .

الكتبة والفريسيون كانوا علماء الشعب وقادته . ولكن السيد المسيح قد وصفهم بأنهم قادة عميان) كما فى (مت٢٣: ١٦ ، ٢٤) . وهكذا ما كان يجب طاعتهم ، وبخاصة فيما يعلمون به عن السبت، والهيكل والمنبج والقريان (مت٢٣) . وهم وأمثالهم ينطبق عليهم قول الكتاب " يا شعبي ، مرشذك مضلون " (أش٣: ١٢) وقوله أيضاً " وصار مرشدو هذا الشعب مضلين " (أش٩: ١٦) .

* * *

هكذا كما أن هناك أشخاصاً يهلكون بالعصيان ، هناك من يهلكون بالطاعة .
والأمر يتوقف على نوعية الطاعة والعصيان ، ونوعية المشورة المقدمة هل هى توافق

كلام الله أم لا . فإن كانت وصية الله واضحة أمامك، يجب أن تطيع الوصية الإلهية ،
مهما كانت شخصية الذى يقدم لك المشورة ، أو الذى يصدر لك الأمر . وإن لم يكن الأمر
واضحاً بوصية إلهية ، فماذا تفعل ؟

* * *

على الأقل يجب أن تطاوع ضميرك .

والمثال واضح فى قصة أوريا الحثى مع داود الملك مسيح الرب : كان داود الملك
يحاول أن يغطى على خطيئته مع امرأة أوريا ، بأن يجعل أوريا يبيت فى بيته مع امرأته.
ولكن ضمير أوريا لم يسمح له أن يكون باقى الجيش فى البرية يحارب، بينما يأتى هو إلى
بيته ليأكل ويشرب ويضطجع مع امرأته لذلك قال لداود الملك " وحياتك وحياة نفسك ، لا
أفعل هذا الأمر " (٢صم ١١ : ١١). وهنا أطاع أوريا ضميره، ولم يطع الملك مسيح الرب..

* * *

هناك أمر فى الإنجيل ، بعدم طاعة التعليم الخاطى .

وذلك فى قول القديس بولس الرسول " إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما
بشرناكم به ، فليكن أناثيما .. " (غل ١ : ٨) . أى أنه مهما كانت درجة الذى يوصل إليكم
التعليم - رسولاً كان أو ملاكاً - فلا تطعه فيما يخالف كلام الله . ومن يطيعه يكون
محروماً ...

وينطبق ذلك على التعليم الذى يصدر من " نبي أو حالم حلماً " حتى لو أنه " أعطاك
آية أو إعجوبة . ولو حدثت الآية أو الإعجوبة " (تث ١٣ : ١ - ٣) .

يقول الكتاب " فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم . لأن الرب إلهكم
يمتحنكم لى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم " (تث ١٣ : ٣) .

* * *

موقف القديسة دميانة من أبيها .

كان أبوها والياً على البرلس والزعفران، فلما خضع لديوقلديانوس، وأنكر الإيمان ولو
خوفاً، إعتبرت القديسة دميانة أنه لم تعد له عليها طاعة كأب. بل وبخته بشدة، وقالت له
إنها تتبرأ من أبوته إن ظل هكذا منكراً للإيمان. وظلت حتى أعادته إلى الإيمان واستشهد.

* * *

إن طاعة الوالدين نضع أمامها قول الرب :
"من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني، فلا يستحقني .." (مت ١٠: ٣٧)
إذن أنت تكرم والديك إلى أبعد حد ، فهذه أول وصية بوعد ، كما قال الرسول (أف ٦:
٢) . وتطيعهما أيضاً إلى أبعد الحدود، ولكن " في الرب " داخل وصية الله . أما خارج
الوصية ، فالطاعة لله أولى .

* * *

ونفس الوضع يقال عن الآباء بالروح ، وعن المرشدين ...
لاشك أن أريوس - ككاهن - كان له أبناء في الإعتراف .
فلما سقط في هرطقته ، لم تعد له طاعة عليهم . وهكذا بالنسبة إلى كل من خرجوا
عن الإيمان ، وكل المعلمين المخطئين كالكتبة والفريسيين ... والكهنة الذين يستخدمون
الحل والربط ضد وصية الله . وهكذا نقول :
" كل حلّ ضد وصية الله هو حلّ باطل ."
مهما كانت الدرجة الكهنوتية التي تصدره . فالكاهن إنما يعطي الحلّ ، باعتبارها منفذاً
لوصية الله " ومن فمه تطلب الشريعة لأنه رسول رب الجنود " (ملا ٢: ٧) . فإن كان
الحل منافياً للشريعة يكون حلاً باطلاً ...
وينطبق هذا أيضاً على الكهنة الذين يعطون تصريحاً بالزواج للمطلقين بعكس وصية
الله ، أو أي تصريح بزواج غير شرعي .

* * *

أنت تطيع الكاهن . والكاهن ينبغي أن يطيع الله .
وأنت تطيع المرشد ، ولكن ينبغي للمرشد أيضاً أن يطيع الله . وليس من حق الكاهن
أو المرشد أن يعطيك حلاً بأن تكسر وصية الله . فالراهب مثلاً الذي برهبنته قد نذر
البتولية، من ذا الذي يستطيع أن يمنحه حلاً بأن يتزوج كاسراً وصايا الله بخصوص النذر
(جا ٥: ٥) ١٩..

* * *

إن فضيلة الطاعة فضيلة جميلة تكمل على الأدب والتواضع وإحترام الكبار والخضوع
لهم ، ولكن ...
هناك بعض المواقف ، التي يجب أن نقول فيها (لا...) .

صنفوني ، أتعلم أن البعض استخدموا كلمة لا مع الله نفسه ، وكانوا من الأبرار والقدسين ..

* * *

موسى النبي ، قال له الرب " رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن أتركى ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم .. " (خر ٣٢ : ٩ ، ١٠) . ولكن لم يتركه ليحمى غضبه . بل قال له "ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك" (خر ٣٢ : ١٢) .
والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت " (خر ٣٢ : ٣٢) .
ولم تعتبر هذه عدم طاعة لله ، وإنما دالة . ولم يكن كلام الله أمراً لموسى ينبغى أن يطيعه، وإنما كان اختباراً لمحبهته لشعبه وطول أناة عليهم .

* * *

إن المناقشة مع الله ، لا تنفى حياة التسليم لمشيئته وأوامره.
ومثال ذلك مناقشة أبينا إبراهيم أبى الآباء والأنبياء مع الله بخصوص إهلاك سدوم وقوله له " أفتهلك البار مع الأثيم ؟! .. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر " (تك ١٨ : ٢٣ ، ٢٥) . ولم يقل إبراهيم " لنكن يارب مشيئتك . اخرق سدوم " !! بل كان نقاشه مع الله جزءاً من بره .

* * *

وهنا أيضاً نذكر ما قاله أرميا النبي " أيرت أنت يارب من أن أخلصك . ولكنى أكلمك من جهة أحكامك : لماذا تتجح طريق الأشرار ؟! إطمأن كل الغادرين غداً " (أر ١٢ : ١) .

* * *

إن يمكن أن نقول لا أحياناً لمن هو أكبر منك . ولكن قلها فى أتب .
كما قالتها أبيجايل لداود النبي ، بكل إحترام وفى نصيح ومحبة ، حينما أراد أن يقتل نابال الكرملى " .. لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدى، إنك سفكت دماً عفواً ، أو أن سيدى قد انتقم لنفسه" (اصم ٢٥ : ٣١) وسبقت ذلك بكثير من كلام المديح . فسمع داود لها وامتدح عقلها ، لأنها منعتة فى ذلك اليوم من إتيان الدماء وإنتقام يده لنفسه (اصم ٢٥ : ٣٣) .

* * *

يوحنا المعمدان وجد من واجبه أن يقول لا ، للملك هيرودس .
فقال له " لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك " (مر ٦ : ١٨) .

إن في بعض المواقف ينبغي للإنسان أن يشهد للحق ، على شرطين :
أ - أن يكون متأكداً أن ما يتكلم عنه هو الحق . فلا يدافع عن جهل .
ب - أن يقول ذلك في أدب . فلا يخطئ بلسانه ولا بقلمه ولا بمشاعره ، ولا يجعل
الآخرين يسلكون في سبيله ويخطئون معه ، من أجل الحق ، أو ما يظنه أنه الحق .
لأنه ليس من الحق ، أن يخطئ إنسان باسم الدفاع عن الحق .



الفضيلة ليست مظهرًا خارجياً

”كل مجد ابنة الملك من داخل“

(مز ٤٥)

الداخل والخارج

قال السيد الرب " ملكوت الله داخلكم " (لوقا: ١٧: ٢١) .
أى فى داخل العقل والقلب ، فى المشاعر والنيات والأحاسيس .. وطبعاً إذا ملك الله فى الداخل ، فمن الطبيعي أن تظهر ثمار ذلك فى التصرفات الخارجية .
أما البر الذى من الخارج فقط ، فقد يكون رياء !
الكتبة والفريسيون كانوا يظهرون من الخارج أنهم أبرار. ولكنهم كانوا مرفوضين من الرب ، وقد وصفهم بأنهم مراؤون. ووبخهم قائلاً " إنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من الداخل مملوءان اختطافاً ودعارة " " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون. لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة .. " (مت ٢٣: ٢٥ ، ٢٧) .

* * *

" إذن المهم هو البر الداخلى ، ومن أجله قال الرب :

" يا إبنى أعطنى قلبك " (أم ٢٣: ٢٦) .

أعطني قلبك أولاً ، فأسكن فى داخلك ، فى مشاعرك ، فى أعماقك ، وحينئذ، ونتيجة لذلك، سوف " تلاحظ عينك طرقى " . وهذه نتيجة طبيعية إذا ما أعطيتنى قلبك . فالخير يبدأ داخل القلب والفكر. وهكذا قال القديس بولس الرسول " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم ؟ (رو ١٢: ٢) . وما معنى تجديد الذهن ؟ معناه أن ينظر الإنسان إلى الأمور بنظرة جديدة ، بافتتاح آخر . وحينئذ سوف يتغير شكله ، ولا يشاكل هذا الدهر ، أى لا يصير شكله مثله . لذلك شرح الرسول الطريق السليم بقوله :

" لا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو ١٢: ٢) .
فجعل تغيير الشكل الخارجى نتيجة طبيعية لتجديد الذهن ، أى للتجديد الداخلى .

* * *

وفى هذه الحالة إن تعرض الإنسان لحرب روحية من الخارج، فإن محبته لله وللخير
التي هى داخل قلبه ، ستجعله قوياً ينتصر على كل حرب خارجية ويرفض أفكار العدو .
الحرب الخارجية تعرض لها الكل ، حتى المسيح !
وهو على جبل التجربة ، قتم له الشيطان ثلاثة أفكار . ولكنه رفضها جميعاً ، ورد
عليها . لأن البر الداخلى لا يتفق معها .

* * *

وهكذا الأبرار فى كل جيل : ما أكثر الحروب التى تعرض عليهم من الخارج، ولكن
برهم الداخلى يرفضها . كالإغراءات الكثيرة التى عرضت على الشهداء قبل إستشهادهم ،
ورفضوها ... وكالحروب الروحية التى تعرض لها يوسف الصديق ، وكانت تلح عليه
كل يوم . ولكن بره الداخلى رفضها ، قائلاً فى تعجب " كيف أصنع هذا الشر العظيم
وأخطئ إلى الله !؟ " (تك ٣٩: ٩) .

* * *

ونحن حينما نقول البر الداخلى ، لا نقصد مطلقاً أعمال البر الخارجية :
فقد يفعل الإنسان البرّ رياء، كالكتابة والغريبيين ، وفى داخله حب الخطية . أو قد يفعل
البر خوفاً من إنتقاد الناس ، أو خوفاً من عقوبة المجتمع ، أو عقوبة القانون .. أو قد يفعل
ذلك خجلاً . أو قد يعمل البر من أجل كسب مديح الناس ، وليس من أجل محبة الله
ومحبة الخير . أو قد يعمل الخير مجارةً وتقليداً لتيار فى المجتمع ، وهو غير مقتنع من
الداخل ، وربما وهو محرج لا يستطيع أن يقول : لا ...

* * *

إنّ الفضيلة ليست فى عمل الخير ، إنما هى أصلاً فى محبة الخير .
محبة الخير فى القلب ، حتى لو كانت هناك موانع تعوق التنفيذ عملياً . لذلك فالأب
الكاهن فى (أوشية القرايين) يصلى طالباً البركة لأولئك " الذين يريدون أن يقدموا لك ،
وليس لهم " . فيأخذون البركة على مجرد النية أو الرغبة الداخلية ، بدون الممارسة
الخارجية ، مادام هناك عائق يمنع ذلك ...

والله تبارك اسمه هو وزن القلوب (أم ٢١: ٢) . ووازن الأرواح (أم ١٦: ٢) ،
ويكافئ على البر الداخلى، الذى فى داخل القلب والروح، ويعرف مدى صدقه ، ومدى
إلتزامه إذا اتاحت له الفرصة ...
والإنسان البار ، تحاربه الخطايا من خارج فقط . لأنه من الداخل بار ، وقوى ،
ورافض للخطية .

أما الإنسان الضعيف من الداخل ، فأمامه حريان :

- ١ - إما أنه يسعى بنفسه إلى الخطية .
 - ٢ - أو إذا سعت إليه الخطية ، لا يرفضها ولا يقاومها .
- إن أخته الخطية ، تجد بيته " مزيناً وفراعاً " (مت ١٢: ٤٤) ، فتستريح فيه . إن قلبه
مثل البيت المبنى على الرمل الذى إذا نزل المطر، وجاءت الأنهار ، وهبت الريح ،
وصدمته ، يسقط ذلك البيت ويكون سقوطه عظيماً (مت ٧: ٢٧) .

هناك إنسان ضعيف من الداخل ، وإنسان آخر يتسبب فى إضعاف نفسه ...
إنسان ضعيف من الداخل ، ويحاول أن يقوم نفسه ، ولا يعتبر الضعف الذى فيه
طبيعة ثابتة ، ولكنه يحاول أن يغير نفسه . ولكن هناك من يلجأ إلى الأسباب التى تؤدى
إلى ضعفه ، أو التى تزيد ضعفه ضعفاً .

أما الإنسان البار فهو محصن من الداخل .

مهما صادمته الحروب الروحية ، لا تقدر عليه ، فأبوابه مغلقة أمامها . كما قيل عن
عذراء النشيد :

" أختى العروس جنة مغلقة ، عين مغلقة ، ينبوع مختوم " (نش ٤: ١٢) . وكما يقول
المزمور " سبحى الرب يا اورشليم، سبحى إلهك يا صهيون ، لأنه قوى مغاليق أبوابك "
(مز ١٤٧) .

حينما يكون الإنسان قوياً من الداخل ، وقد أغلق أبواب فكره وقلبه أمام كل خطية وكل
شهوة ، هذا يستطيع أن يقاوم إبليس وكل حيله . بعكس الضعيف فى داخله الذى يسقط
بسهولة ، إن لم يكن فى نفس الوقت فيعد حين :

على أن الإنسان قد تمر عليه فترات قوة أو ضعف .
فأحياناً يكون قوياً من الداخل ينتصر في كل حرب مهما كانت شدتها . وأحياناً يكون
في حالة ضعف من الداخل ، فيسقط وهو نفس الشخص الذي انتصر قبلاً .

مثال داود النبي

كان شاول الملك الشرير يطارد داود من بركة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر ، ويريد
قتله بكل السبل . وأخيراً حانت الفرصة لداود، ووقع في يده شاول وكان نائماً . وأصحاب
داود حرضوه على قتله وقالوا له إن الله دفعه إلى يده . ولكن داود رفض ذلك بطريقة
قاطعة وحاسمة . وقال " حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ،
فأمد يدي إليه ، لأنه مسيح الرب هو " وويخ داود رجاله (اصم ٢٤: ٦ ، ٧) .
ولكن داود حينما كان ضعيفاً في الداخل ، أراد أن يقتل نابال الكرمل .
لأنه رفض أن يعطيه طعاماً لرجالته في يوم جزّ القمح .. وأمر داود رجاله أن يقتلوا
سيوفهم ، وصمم أنه لا يبقى لنابال حتى الصباح باثلاً بحائط (اصم ٢٥: ٤ - ٢٢) ... لولا
أن أبيجايل بحكمتها منعه من إثبات الدماء والانتقام لنفسه (اصم ٢٥: ٣٣) .
داود هو داود ، نفس الشخص . ولكن هناك فرقاً بين حاله في وقت القوة الداخلية ،
وحاله وهو في وقت ضعفه .

* * *

داود في وقت ضعفه ، في مرة أنقذته النعمة ، وفي مرة أخرى سقط .
انقذته النعمة حينما أرسلت إليه أبيجايل لتويخه في حكمة وتمنعه من سفك الدماء .
ولكنه سقط في مرة أخرى ، حينما أشتهى بثشبع، وزنى بها ، وتحايل على قتل زوجها
أوريا الحثي، وقتله بحيلة لا تتفق مع المنهج الروحي، واستحق لذلك عقوبة من الرب على
فم ناثان النبي (اصم ١١، ١٢) .

مثال إيليا

حينما كان إيليا قوياً من الداخل ، استطاع أن يوبخ آخاب الملك على سماحه بعبادة
الأصنام ، بل استطاع أن يقتل ٤٥٠ نبياً من أنبياء البعل عند جبل الكرمل (١ مل ١٨) .

وفى مرة أخرى ، قال فى قوة لقائد الملك أخزيا " إن كنت أنا رجل الله ، لتنزل نار من السماء ، وتأكلك أنت والخمسين الذين لك " (٢مل١ : ١٠) . وقد كان ، وتكرر الأمر .
 أما حينما ضعف إيليا من الداخل ، فإنه خاف من إيزابل وهرب . ولما افتقده الرب فى هروبه ، وسأله قائلاً "مالك ههنا يا إيليا " ... أجاب " .. نقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف ، وبقيت أنا وحدى . وهم يطلبون نفسى ليأخذوها " (١مل١٩ : ١٤) .. وأمره الرب أن يمسح أليشع نبياً عوضاً عنه (١مل١٩ : ١٦) .

مثال إبراهيم

لما كان أبونا إبراهيم قوياً فى إيمانه من الداخل ، بالإيمان وضع إينه وحيدته اسحق على المنبح ، ورفع السكين عليه ليقدمه لله محرقة " هذا الذى قيل له عنه : باسحق يدعى لك نسل " " إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات " (عب١١ : ١٨ ، ١٩) .
 وبالعكس لما ضعف أبونا إبراهيم ، فى الداخل وخاف من الموت ، قال عن سارة إنها أخته . لئلا لو عرفوا أنها زوجته يقتلوه ويأخذوها . وقال لسارة " هذا معروفك الذى تصنعين لى . فى كل مكان أتى إليه ، قولى عنى هو أختى " (تك٢٠ : ١٣ ، ١١) .

بالمثل شمشون الجبار

كان فى بده حياته قوياً جسداً وروحاً . اختاره الرب قبل أن يولد ، وكان روح الرب يحرکه (قض١٣ : ٧ ، ٢٥) . ولكن لما ضعف من الداخل ، وملك للزنا على قلبه (قض١٦ : ١) . ثم أحب دنيلة ، وملك على ، استجاب أخيراً لإلحاحها فى معرفة سرّ قوته ، كشف لها سرّه أخيراً " لما كانت تضايقه كل يوم بكلامها ، وألحت عليه حتى ضاقت نفسه إلى الموت " (قض١٦ : ١٦) . وهكذا لما ضعف من الداخل ، استسلم لها ، وناله ما ناله بعد ذلك .. وقد أتاه الضعف الداخلى عن طريق التدرج .

★ أحياناً يكون سبب السقوط من الداخل والخارج معاً .

مثال ذلك ما حدث لأبينا يعقوب : كان محارباً من الداخل بأن ينال البركة ، كما نال

البكورية من قبل بحيلة مع أخيه ، إذ اشتراها منه وهو جوعان ومعيبى بأكلة عدس (تك ٢٥ : ٢٧ - ٣٤) . لذلك عندما عرضت عليه أمه حيلة أخرى أن يخدع بها أباه وينال البركة، كان ضعفه الداخلى مؤهلاً لقبول التحايل، لسابق عهده به، ولشهوة قلبه الداخلية . لذلك على الرغم من أنه أظهر شيئاً من التخوف، إلا أنه قبل أن يخدع أباه. وقال له " أنا عيسو بكرك " (تك ٢٧ : ١٩) .

أخاب الملك

كان ضعيفاً من الداخل ، أمام شهوته فى إمتلاك حقل نابوت اليزرعيلى. فلما أتته نصيحة زوجته الخاطئة إيزابل، بحيلة لقتل نابوت وأخذ حقله، حينئذ أستجاب آخاب، ونفذ للخطة الشيطانية التى اقترحتها إيزابل . كان الداخل والخارج متجاوبين معاً .

يهودا أيضاً

كان داخله متقللاً بمحبة المال، لذلك لما جاءه إغراء رؤساء الكهنة من الخارج، استجاب له، وأخذ المال، واتفق معهم على تسليم سيده .

هيرودىس الملك

كان محارباً من الداخل بمحبة المديح، لذلك لما جاءه تعلق الناس من الخارج قائلين له لما تكلم " هذا صوت إله لا صوت إنسان " (أع ١٢ : ٢٢) . ابتهج بصوت المديح ولم يرفضه . فضربه ملاك الرب ومات فى الحال .

بعكس بولس الرسول ، لما شفى الرجل المقعد فى لستره وقام ومشى، وأتى الكاهن ليقدم له الذبائح مع زميله برنابا !! لكن بولس رفض وقال " ونحن بشر تحت الألام مثلكم، ووبخ الناس ودعاهم إلى الإيمان بالإله الحى " .. فكانت النتيجة أنهم رجموه حتى ظنوا أنه قد مات " (أع ١٤ : ٨ - ١٩) .

الخوف كمثال

ليس سبب الخوف باستمرار ، هو عوامل خارجية تسبب الخوف . فالقلب القوى من

الداخل لا يخاف . والمؤمن بحماية الله له لا يخاف وقد قال المرتل فى مزمور الراعى "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز ٢٣) ، وقال أيضاً "إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال، فى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧) . داود لم يخف من جليات ، لأن قلبه كان مملوءاً بالإيمان ، أن الرب سيحبسه فى يده ، وأن الحرب للرب (اصم ١٧ : ٤٦ ، ٤٧) .

والشهداء لم يخافوا من الموت ، لأن قلوبهم البارة ، كانت تشتهى أن تلتقى بالرب فى الفردوس . وكذلك يوحنا المعمدان لم يخف من هيروودس الملك ، بل وبخه .. لذلك إذا خفت ، أعرف أن هناك ضعفاً فى الداخل ، حاول أن تنتصر عليه . فبطرس الرسول، خاف وهو يمشى على الماء مع المسيح . ذلك لأن إيمانه من الداخل قد ضعف . لذلك وبخه الرب قائلاً " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ " (مت ١٤ : ٣١) .

* القلب القوى فى الإيمان لا تهزه الشكوك الخارجية .

لأن إيمانه أقوى من الشكوك . وهكذا كان أنطاسيوس الرسولى حصناً قوياً للإيمان ضد كل شكوك الأريوسية ، وما استخدمته من فهم خاطئ لنصوص الإنجيل المقدس . لهذا ينبغى على كل أسرة أن تقوى إيمان أطفالها، حتى يستطيعوا بالقوة الداخلية أن يصمدوا أمام كل الشكوك التى يثيرها بعض رجال الفلاسفة أو العلم ، أو الملحدون، أو بعض الطوائف المنحرفة مثل شهود يهوه والسبتيين وغيرهم ... دائماً الخارج يضغط ، متمسكاً باستجابة من الداخل .. فإن لم يجد ، تفشل كل حيلة . فأيوب مثلاً لم يستجب ...

مثال أيوب الصديق

هذا الرجل الكامل ، إذ كان باراً فى داخله ، حلت عليه تجارب مؤلمة لم تحدث لأحد من قبله ، جردته من ماله ، ومن أبنائه وبناته، ومن صحته ومن رافة أصحابه عليه . ولكن إيمانه بالرب لم يتزعزع ، بل قال عبارته المشهورة " الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً " (أى ١ : ٢١) . ووبخ إمرأته بقوله لها "تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. هل الخير من عند الله نقبل والشر لا نقبل؟؟" (أى ٢ : ١٠) .

فى التطبيق العملى

★ إنسان صائم : قد يبدو من الخارج صائماً ، وهو فى داخله يشتهى الأكل ، ويتحارب على الطعام النباتى ، ويتخير ما يكون منه شهياً ، بعكس دانيال النبى ، الذى كان قلبه نقياً فى صومه . وقد روى فى إحدى المرات قائلاً " كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام . لم أكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فى لحم ولا خمر ، ولم أذهن .. " (دا: ١٠١: ٢، ٣) .
لذلك ليس الصوم مجرد ممارسة من الخارج ، وإنما من الداخل يكون القلب صائماً ، وتكون النفس زاهدة ، فلا يكون الصوم شكلياً .

مثال العفة

ليست العفة هى مجرد إمتناع الجسد عن الزنا . فقد يمتنع الجسد بينما تكون الروح زانية بشهواتها . وهذا ما قصده الرب بقوله " فقد زنى بها فى قلبه " (مت: ٥: ٢٨) . إذن العفة الداخلية ، هى نقاوة القلب من شهوة الزنا .
كذلك الحشمة ليست مجرد أوامر نصدرها من جهة الملابس أو الزينة ، إنما هى حياة داخلية ، سواء فى أسلوب الكلام أو النظر . ويقول ماراسحق عن (الزى الحسن) أن الإنسان يكون محتشماً حتى وهو جالس وحده فى غرفته الخاصة ...

مثال التسامح

ليس التسامح أن تقول للمسى بلسانك " الله يسامحك " ، بينما أنت تفرح إذا انتقم الله لك منه !! لأن (التسامح) هنا لا يكون من القلب . وبالمثل ليس أن تسلم على خصمك ، أو يصلى الأب الكاهن على رأسكما معاً . وليس هو أن تغفر ، بل بالحرى أن تتسى .

• Not only to forgive , but rather to forget

وبالمثل ليس التواضع أن تقول كلمات " أخطأت " .

دون شعور حقيقى بذلك . إذ يقول إنسان كلمة " أخطأت " ولكن إذا قيلت له من آخرين ، يتضايق ، وربما يجادل ويدافع عن نفسه ... وليس التواضع أن تضرب مطانية لغيرك ، وتحنى رأسك ، بل التواضع هو أن تتحنى نفسك ...

حياة الفضيلة والبر هي الحياة بالروح

قيل في الكتاب " لا دينونة الآن على الذين في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨: ١) .
فما هي إذن الحياة بالروح ؟

ملخص الحياة الروحية :

الحياة بالروح تتوقف على نقطتين أساسيتين هما :

أ - إنتصار الروح البشرية في جهادها .

ب - عمل روح الله القدوس في الإنسان .

إن الروح البشرية لها بطبيعتها طاقات جبارة ، لو أحسن الإنسان إستخدامها ، لترتفع إلى مستوى عالٍ جداً ، حتى لو كان غير مؤمن ، فهكذا يفعل اليوجا ، وهكذا يفعل كثير من نساك الهندوس ، برياضيات روحية يتدربون عليها ، لكي تصل أرواحهم إلى ملء طاقاتها الطبيعية .. منتصرة على الجسد والمادة ...

فإن كانت هكذا الروح البشرية حسب طبيعتها ،

كم تكون إذن إذا إشتراك مع روح الله القدوس !

لذلك يحتاج الإنسان أن يقوى روحه ، وأن يعمق شركتها مع روح الله . ولتقوية الروح عليه أن يبعد بها عن السلبيات والعثرات ، وأن يقدم لها باستمرار الغذاء الروحي من صلاة ، وتأملات ، وقراءات روحية ، وتسابيح وألحان وقداسات ، وتدريب روحية ، وإجتماعات روحية منشطة .

ومن جهة العلاقة بالروح القدس ، عليه ألا يحزن روح الله (أف ٤: ٣٠) ، ولا يطفى الروح (١ تس ٥: ١٩) ولا يقاوم الروح . هذا من الناحية السلبية . ومن الناحية

الإيجابية ، ونمو حتى يصل إلى الإمتلاء بالروح (أف: ٥: ١٨) .

تطور علاقتنا بالروح :

١ - تبدأ علاقتنا بالروح في سر المعمودية، حينما نولد فيها من الماء والروح (يو: ٣: ٥) .

* * *

٢ - والعلاقة الثانية تكون في سر المسحة ، حينما ندهن بزيت الميرون المقدس ، ويسكن الروح القدس فينا، وتصير أجسادنا هيكل للروح القدس (١كو٦ : ١٩) .

كان هذا الأمر في بداية العصر الرسولي ، بوضع أيدي الرسل ، فينال الناس الروح القدس كما حدث لأهل السامرة (أع: ٨: ١٧) ولأهل أفسس (أع: ١٩: ٦) . ولما كثر عدد المؤمنين جداً ، استخدموا المسحة المقدسة بدلاً من وضع اليد (١يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) .

* * *

٣ - ولا يكفي أن ننال الروح القدس ، إنما يجب أن تكون لنا شركة معه .

إنه يعمل فينا وبنا . ويجب علينا نحن أيضاً أن نعمل معه . ويشترك الروح القدس معنا في كل عمل نعمله .

والكنيسة تذكر شركة الروح القدس في البركة التي يبارك بها الكاهن الشعب في نهاية كل إجتماع (٢كو١٣ : ١٤) .

* * *

٤ - وبشركتنا مع الروح القدس ، تظهر ثمار الروح في حياتنا .

وقد ذكر القديس بولس الرسول ثمر الروح في رسالته إلى غلاطية فقال " وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح إيمان ، وداعة تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس " (غل: ٥: ٢٢ ، ٢٣) .

ثمار الروح تأتي نتيجة لعمل الروح القدس في الإنسان ونتيجة لإستجابة روح الإنسان لعمل روح الله فيه ...

* * *

٥ - وكلما يزداد ثمر الروح ، تزداد الحرارة الروحية في الإنسان .

وفي هذا المعنى يوصينا الرسول أن نكون "حارين في الروح" (رو: ١٢: ١١) . لقد قيل عن الرب " إلهنا نار آكلة " (عب: ١٢: ٢٩) . كذلك فالذي يسكن فيه روح الله ، لابد أن

يكون مشتعلًا بهذه النار المقدسة .

وهكذا حلّ روح الله كالسنة من نار على التلاميذ . فأشعلهم ناراً وغيرة ، ألهبتهم للخدمة ، فملأوا الكون كرازة .

وهؤلاء " الذين لا قول لهم ولا كلام ، وصلت أقوالهم إلى أقطار المسكونة " (مز ١٩).

الله ظهر كنار في العليقة (خر ٣ : ٢) ويتمثل في المجرمة ناراً تشتعل في الفحم فتصيره جمرًا مشتعلًا . وكان قبول المحرقات في العهد القديم يتمثل في النار المقدسة التي تشتعل ، " ناراً دائمة تنقد على المذبح لا تطفأ " (لا ١٣ : ٦). ولأن الملائكة قرييون من الله ، يعمل فيهم روحه القدوس ، لذلك قيل عنهم " الذي خلق ملائكته أرواحاً ، وخدامه ناراً تلتهب " (مز ١٠٤ : ٤) .

ومن هذه النار ، أخذ إسم طغمة السارافيم .

* * *

نستطيع إذن أن نعرف رجل الله ، من ثمار الروح التي تظهر في حياته . لأن الرب يقول " من ثمارهم تعرفونهم " (مت ٧ : ٢٠) . ويمكننا أيضاً أن نعرفه من حرارته الروحية .

فصلاته صلاة حارة في ألفاظها وفي دموعها وفي إيمانها وفي لهجتها ، صلاة تززع المكان كما حدث مع التلاميذ (أع ٤ : ٣١) .

والإنسان الروحي تكون خدمته حارة ، في قوتها وفي إنتشارها ، وفي تأثيرها ، وفي غيرتها المقدسة وحماسها العجيب ... خدمة كلها نشاط ، وتأتي بثمر كثير ...

* * *

والإنسان الذي يعمل فيه روح الله ، يتميز بحرارة المحبة .

هذه المحبة الملتهبة من نحو الله والناس ، التي قيل عنها في سفر النشيد " مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفى المحبة " (نش ٨ : ٧) . وتشمل هذه المحبة كل أحد ، وتسعى بكل قوة في خدمة الناس ، ولخلاص الناس .

لذلك إن كنت إنساناً ليست فيك حرارة ،

فاعرف أن عمل الروح فيك ليس كما ينبغي .

وطبعاً من محاربات هذه الحرارة ، الفتور الروحي .. وإن زاد الفتور في إنسان ، وطالت مدته ، يتحول إلى برودة روحية .. ويصير هذا الإنسان جثة خاملة في الكنيسة .. لا حركة ، ولا بركة .

هنا وأقول إن البعض يفهم الوداعة بطريقة خاطئة .

فيظن أنه في وداعته ، يكون بلا حرارة ولا حيوية !! ولا يتأثر ولا يؤثر ، ولا تشتعل عواطفه ، ولا يغار للرب !! كلا ، فالسيد المسيح كان وديعاً ومتواضع القلب ، ومع ذلك كان حاراً في عواطفه وفي خدمته ، يجول يصنع خيراً (أع ١٠: ٣٨) .

٦ - الإنسان الذي يسكن فيه روح الله ، تكون تصرفاته روحية .

نواياه ومقاصده وإتجاهاته تكون روحية ، ووسائله وسائل روحية . وكل لفظة يلفظها تكون كلمة روحية ، لها تأثير روحي في نفوس سامعيه .

فهو إن تكلم يكون روح الله هو المتكلم على فمه .

كما قال السيد المسيح لتلاميذه " لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم " (مت ١٠: ٢٠) . فهل في كل مرة تتكلم ، يكون روح الله هو الذي ينطق . وهل تقول له في كل مرة " افتح يارب شفتي ، فيخبر فمي بتسبحتك " (مز ٥٠) .

وإذا وقع في مشكلة ، يحلها بطريقة روحية .

هناك من يحل المشكلة بأعصابه ، فيثور لها ويضج . وهناك من يقابلها بمشاعره فيبكي لها وينوح . وهناك من يعالج المشكلة بعقله ، فيجلس ليفكر . وهناك أيضاً من يحلها بروحه . فيصلى من أجلها ، ويصوم ، وينذر نذراً ، ويقدم قداسات . وفي تفكيره للحل ، يفكر بطريقة روحية ، بغير خطية ، بلا لوم أمام الله والناس .

٧ - وإذا سكن روح الله في إنسان ، فإنه يقده .

يقده بالكلية ، يقده قلبه وفكره وجسده وروحه ونفسه ، ويقده الحياة التي يحيهاها... كما يقول الرسول " وإله السلام نفسه يقدهم بالتمام ، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم .. " (١ تس ٥: ٢٣) .

إنه تقديس من الناحيتين : الإيجابية والسلبية .

الإيجابية : من جهة قدسية الحياة التي تحياها ، وثمر الروح فيها . ومن الناحية السلبية: لا تكون لك شركة في أعمال الظلمة ، مادمت قد دخلت في شركة الروح القدس . فالرسول يتعجب قائلاً " أية شركة للنور مع الظلمة ؟! " (٢كو٦ : ١٤) . ويقول أيضاً " لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى بكتوها " (أف٥ : ١١) .

* * *

فإن كنت تشترك في عمل من أعمال الظلمة ، فلا يكون روح الله يعمل فيك . على الأقل في وقت هذا العمل .. إلا إذا كان بيكتك وقتذاك ، وأنت تقاوم الروح !! وتقسى قلبك . الأمر الذي حذرنا منه الرسول قائلاً " إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (عب٣ : ٧ ، ١٥) .

في حالة إشتراكك في عمل الظلمة ، تكون قد فصلت نفسك عن عمل الروح فيك . انفصلت عن الروح ، ولو إنفصلاً مؤقتاً .. إنفصلاً في العمل والتصرف ، وفي الإرادة والمشينة . ومن الجائز أن الروح لا يفصل عنك ، بل يظل فيك بيكتك . ولكنك أنت منفصل عنه فكراً وحساً ، لك طريق آخر غير الطريق الروحي ، تسلكه أو تشتهيه...

* * *

ما أجمل تلك العبارة التي قيلت عن شمشون الجبار في بدء حياته الروحية " وابتدأ روح الرب يحركه في محلة دان .. " (قض١٣ : ٢٥) .

فهل أنت مثله : روح الرب يحركك ؟

أم أنت تتحرك من ذاتك ؟ أم تحركك مشاعر خاطئة وفكر خاطئ ، أم تحركك إرادة أخرى غير إرادتك من قريب أو صديق أو موجه أو مرشد ؟! وإن كان يحركك مرشد ، فهل هذا المرشد يحركه روح الله ؟

والذي يحركه روح الله يسلك بالروح .

هذا السلوك يقول عنه القديس بولس الرسول " إذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكون ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو٨ : ١) .

* * *

ويقيم مقارنة خطيرة بين السلوك بالروح ، والسلوك بالجسد .

فيقول " فإن الذين هم حسب الجسد ، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ،

فبما للروح . لأن إهتمام الجسد هو موت ، ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله .. فالذين هم فى الجسد ، لا يستطيعون أن يرضوا الله " .
" وأما أنتم فلستم فى الجسد ، بل فى الروح ، إن كان روح الله ساكناً فيكم " .
" فإذن أيها الإخوة : نحن مديونون وليس حسب الجسد ، لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تميزون أعمال الجسد فستحيون"
(روا: ٥ - ١٣) .

* * *

٨ - إذن هناك صراع بين الروح والجسد ، يقول عنه الرسول :
" اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد " .
" لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد " .
" وهذان يقاوم أحدهما الآخر .. " (غل: ٥: ١٦ ، ١٧) .
فهل يظل الإنسان فى هذا الصراع طوال حياته على الأرض ، يشكو من الجسد ومن شهوات الجسد ، ويصرخ قائلاً " إني أعلم أنه ليس ساكناً فى، أى فى جسدى ، شئ صالح " ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟" (روا: ٧: ١٨ ، ٢٤) .

* * *

أم تراه صراعاً فى بدء الحياة الروحية ؟ إلى أن يتم إستسلام الجسد للعمل الروحى .
وخلال هذا الصراع ، يقول إنسان الله " اقمع جسدى وأستعبده . حتى بعد ما كرزت للأخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .
ومتى تقنس الجسد بالتمام ، وخضع للروح ، بل اشترك معها فى العمل الإلهى ، العمل الروحى ، حينئذ لا يكون بينهما صراع ، بل يتعاونان معاً .

* * *

٩ - وإذا نما الإنسان فى العمل الروحى ، يصل إلى درجة أعلى :
فيصبح لروحه سلطان ، وتصير لها قوة .
يصبح لروحه سلطان على الجسد ، وسلطان على الناس ، أقصد تأثيراً عليهم أكثر عمقاً .. ويصبح للروح أيضاً سلطان على الشياطين .
هذا السلطان منحه الرب لتلاميذه ، فقال لهم " ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو .." (لو: ١٠: ١٩) .. ما أعمق عبارة " وكل قوة العدو " !!

وهكذا كانت الشياطين تخاف من القديسين ، وتصرخ من هيبتهم وسلطانهم . وحدث ذلك عندما نفى القديس مقاريوس الكبير إلى جزيرة فيلا بواسطة الأريوسيين ، فصرخ للشيطان لما دخل الجزيرة ، وقالوا له " تركنا لك البرية ، فجئت إلى هنا لتهلكنا " .

* * *

بهذا السلطان كان القديسون يخرجون الشياطين .

الشياطين جربتهم أولاً بمحاربات ، فلم يخضعوا لها ، وانتصروا على الشياطين في كل حرب روحية ، حتى صارت الشياطين تخاف منهم . وأصبح لصلواتهم سلطان يمكن أن يطرد الشياطين .

يا ليتكم تأخذون هذا الموضوع مجالاً لدراستكم وتأملاتكم ، أعنى خوف الشياطين من أولاد الله . وتجدون فصلاً عن ضعف الشياطين في كتاب القديس أنثاسيوس الرسولى عن حياة القديس الأنبا أنطونيوس ...

* * *

أما السلطان على الناس ، فيظهر في التأثير عليهم .

إنسان يتكلم بسلطان لأن روحه لها سلطان على السامعين . لها سلطان أن تدخل إلى العقل ، وإلى القلب ، وأن تؤثر على الإرادة . وبخاصة لو كانت روحه أكبر من أرواحهم.. وإذا بالكلمة لا ترجع فارغة ، وإنما تعمل عملاً ، وتقدر كثيراً في عملها . بعد هذا ننتقل إلى نقطة أخرى في علاقتنا بالروح وهى :

* * *

١٠ - المواهب التى يمنحها روح الله للناس .

وقد شرح القديس بولس الرسول هذه المواهب فى إصحاح كامل هو (١كو١٢) وذكر كيف أن كل هذه المواهب " يعملها الروح قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء " (١كو١٢ : ١١) . وليس الآن مجال الحديث عن هذه المواهب ...

وأنا أفضل أن تهتم بشمار الروح أكثر من المواهب .

شمار الروح هى خاصة بحياتك أنت وأبديتك . أما المواهب فغالبيتها خاصة بخدمة الآخرين . وقد يقع البعض بسببها فى الكبرياء والمجد الباطل ...

* * *

١١ - ننتقل إلى نقطة أخرى وهى أن الروح يمنح قوة خاصة للمؤمن ، وعن ذلك قال

السيد الرب لرسله القديسين :

" ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم " (أع ١: ٨) .

وهكذا تظهر القوة في حياة أولاد الله ، قوة ليست من العالم ، وإنما من روح الله ،
قوة في الكلمة ، في الخدمة ، في الإنتصار على الشياطين ، في تحمل الشدائد والضيقات .
قوة في الصلاة ، في الإيمان ، في عدم الخوف ، مهما كانت الأسباب . وهكذا قيل :
" ملكوت الله قد أتى بقوة " (مر ٩: ١) .

هذه القوة تميز بها العصر الرسولي الذي عمل فيه الروح القدس بقوة ، وتميز بها
عصر المجامع وأبطال الإيمان ، كما تميز بها عصر الرهبنة وبخاصة في بدء نشأتها ...
قوة ظهرت في عظة بطرس ، التي أتت إلى إيمان ثلاثة آلاف (أع ٢) .
وتميزت بها خدمة القديس إسطفانوس ، (أع ٦: ١٠) وتميزت بها كرازة القديس بولس
الرسول في تأثيرها وإنتشارها .

* * *

المشكلة التي نعانيها أن كثيراً من الخدام يخدمون بنشاط ومعرفة ، وربما باتساع كبير
في الخدمة ، ولكنهم لا يخدمون بقوة الروح . وربما تدخل بعض الأساليب العالمية في
الخدمة .

الخدام الحقيقي يخدم بروحه ، وبروح الله معه .

* * *

والإنسان الروحي تكون روحه مزينة بالفضائل .

تحدث الرسول عن " زينة الروح الوديع الهادئ " (١بط ٣: ٤) .

وما أجمل ما قيل في سفر النشيد عن الروح المزينة بالفضائل ، التي تعجب منها
المنشد فقال " من هذه الطالعة من البرية مستدة على حبيبتها " (نش ٨: ٥) " .. معطرة
بالمر واللبن وكل أنرة التاجر " (نش ٣: ٦) .

* * *

حياة البرهي البعد عن الإثنية

عندما خلق الله الإنسان ، خلقه باراً قديساً بسيطاً ، لا يعرف سوى الخير فقط . ولما سقط الإنسان في الخطية ، وأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، بدأ يعرف الشر إلى جوار الخير . وفقد بساطته ، وعرف أنه عريان ، واستحى من عريه وتغطى . ومن ذلك الحين ، وقع الإنسان بين شقى الرهي ، أعنى الخير والشر . ودخل في الصواع الداخلي بين الخير والشر ، الحلال والحرام ، ما يليق وما لا يليق ...

الصراع :

عاش الإنسان في صراع الإثنية . أمامه الإثنان : أيهما يختار ؟ وكما قال له الله في سفر التوراة " أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر .. قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة . فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك " (تث ٣٠: ١٥ ، ١٩) .

وأول صراع عاشه الإنسان : هو الصراع بين الروح والجسد .

وفي ذلك قال القديس بولس الرسول " اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد . لأن الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر .. " (غل ٥: ١٦ ، ١٧) . ويقول في هذا الصراع الروحي " فإني أعلم أنه ليس ساكناً في، أي في جسدي ، شئ صالح .. لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة في .. " (رو ٧: ١٨ - ٢٠) . ويكمل الرسول كلامه عن هذا الصراع فيقول :
أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسبييني إلى ناموس الخطية " (رو ٧: ٢٣) .

وبهذا يكون الإنسان قد تحول إلى إثنين يتصارعان معاً . وكما قال أحد الأديباء الروحيين " كنت اصارع نفسي وأجاهد ، حتى كأنتي إثنان في واحد : هذا يدفعني ، وذاك

بمعنى " .. إنه صراع داخلي .

صراع سببه معرفة الخطية ، ثم محبة الخطية .
وقد يكون أحياناً صراعاً بين الشهوة والضمير .

وهو صراع في هذا العالم فقط ، الذي توجد فيه بالجسد ، ونحاط بالمادة ، ونعرف الخطية . أما في العالم الآخر ، في الأبدية السعيدة ، فسوف نعود إلى بساطتنا ، ولا نعرف سوى الخير فقط . وتُتزع منا تماماً معرفة الخطية . ولا يوجد صراع بين الروح والجسد ، لأننا في القيامة العامة سنقوم بأجساد روحانية . ولا نلبس بعد أجساداً ترابية ، بل سماوية . " لأن هذا الفاسد لا يد أن يلبس عدم فساد . وهذا المائت يلبس عدم موت " (١كو١٥ : ٤٤ - ٥٣) .

* * *

أما على الأرض ، فلا يزال صراع الإنسان قائماً .
إنه صراع مع نفسه ، حتى يصل إلى ضبط النفس .

صراع مع رغائبه ، ومع أفكاره ، ومع حواسه . وينتهي الصراع حينما يصير الإنسان واحداً ، وليس جبهات داخلية تقاوم إحداها الأخرى . وعلى رأى ماراسحق " إذا إصطلح العقل والجسد والروح ، حينئذ تصطلح معك السماء والأرض .. "

* * *

ولكن الصراع الداخلي هو مرحلة للمبتدئين ، أو للذين لم يتحرروا بعد من الداخل .
فإن تحرروا ، يكون منهجهم هو النمو في النعمة ، وليس الصراع بين الخير والشر ...
بالإضافة إلى الصراع في حالة الإثنية ، يوجد أيضاً :

الخوف :

مادام الإنسان لم يتحرر من شهوات العالم والجسد ، فلا بد أن يقع في الخوف :
إنه يشتكى ، ويخاف أن شهوته لا تتحقق . فإن تحققت ، يخاف إنها لا تستمر . فإن استمرت قد يخاف من نتائجها . وفي حالة الخطية ، يخاف أن تتكشف ، يخاف من العقوبة ومن الفضيحة . وإن استيقظ ضميره ، يخاف من غضب الله ، بل قد يخاف من كيفية الإعتراف بخطئه . وإن ترك الخطية ، قد يخاف من إمكانية عودته إليها .. !

إن حالة الإثنية ترتبط دائماً بالخوف ، كما ترتبط بالشهوة . ولذلك لما تخلص منها
القديس أغسطينوس ، قال عبارته المشهورة :
" جلست على قمة العالم ، حينما أحسست في نفسي : أننى لا أشتهى شيئاً ، ولا
أخاف شيئاً " .
الخوف مرتبط دائماً بالشهوة وبالخطية . ونقصد هذا المعنى للخوف ، وليس الخوف
الصيغاتي من الظلام والأرواح ...

* * *

فالإنسان الروحي لا يخاف أبداً . إنه يشعر بوجود الله معه يحميه ويخلصه ويقويه .
لا يخاف الموت ، لأنه يعرف أن الموت يوصله إلى حياة أفضل . أما الخاطئ فيخاف ،
لأنه لا يضمن حياته بعد الموت .. إذا صار الإنسان واحداً ، يتحد هذا الواحد بالعشرة مع
الله وملائكته ، أما إن كان بعيداً عن هذه العشرة ، فإنه يخاف ...

* * *

ولعل الخوف بهذا المعنى ، هو الذى وضعه القديس يوحنا الرالى فى المقدمة حينما
تحدث عن الهالكين !

فقال " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبد
الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبيهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت " (رؤ ٢١ : ٨) .

* * *

مادم هناك خوف ، إذن لا بد من وجود خطأ فى الداخل .
الثلاثة فتية لم يخافوا من أتون النار ، ولا دانيال خاف من جب الأسود . ولا الشهداء
خافوا من الموت أو التعذيب . لأن كلاً منهم كان واحداً ، يشاق إلى الله . ولم يكن أحدهم
إنسانين : أحدهما يحب الله ، والثانى يخاف الموت !!
الإثنية تقود إلى الصراع ، والخوف ، وإلى أخطاء كثيرة :

أخطاء كثيرة :

الإثنية تقود إلى الرياء :

فالإنسان هنا إثنان : أمام نفسه شئ ، وأمام الناس شئ آخر .. ! أمام الناس يلبس
ملابس الأبرار والقديسين ، وأمام نفسه قد يكون عكس ذلك تماماً .. حينما يكون وحده قد

يسلك بإهمال أو بخطأ أو بما لا يليق . وأمام الناس ربما يحرص على أن يكون محترساً
مدققاً في تصرفاته .

* * *

وبالإثنية يكون إنسانه الداخلى غير إنسانه الخارجى .

ربما تكون كل أفكاره ومشاعره ونيته ، غير ما يظهر للناس . أو أن الناس - بسلوكة
أمامهم - محال أن يظنوا أن له أفكاراً حسب واقعه! حقاً لو كشف الله أفكارنا ومشاعرنا ،
كم تكون دهشة الناس ، وكم يكون خجلنا !؟

* * *

بالإثنية قد يكون قلب الإنسان غير لسانه !

فهو يقول ما يعجب سامعه ، وقد يكون قلبه غير ذلك أو عكس ذلك ! وقد يصلى
بشفتيه ، وقلبه مبتعد عن الله تماماً (أش: ٣٩: ١٣) (مت: ١٥: ٨) .
فهو من الظاهر يبدو قريباً من الله بشفتيه ، بينما قلبه مبتعد . أليس هذا الإنسان
إثنين؟! ولذلك نحن نقول فى التسبحة " قلبى ولسانى يسبحان القدوس " .

* * *

إنسان آخر تتدرج به الإثنية إلى التملق وإلى النفاق .

يكون فى قلبه كارهاً لرئيسه ، حاقداً عليه ، ومع ذلك يكلمه بكلام المدبح والملق !
أليس هذا لوناً من النفاق ، صار فيه هذا الإنسان إثنين : الإنسان الداخلى فيه يختلف عن
الخارجى ، بل يتناقض معه إلى أقصى حد ...

متى يصير الإنسان واحداً ؟ قلبه واحد مع لسانه !؟

* * *

وليس معنى الوحدة أن يخطئ لسانه كما يخطئ قلبه !

كشخص باسم الصراحة يقع فى أخطاء عديدة .

كلا ، بل يصلح قلبه ، وينقيه من الحقد والكراهية ، حتى يصير واحداً مع لسانه . أو
على الأقل يصمت ، فلا يتكلم بلسانه ما لا يعتقد به فى قلبه . وفى كل علاقاته إذا لم
يستطع أن يوبخ الخطية ، فعلى الأقل لا يتملقها ! ولا يكون إثنين : قلبه فى جهة ، ولسانه
فى جهة مضادة ...

* * *

أو إنسان داخل الكنيسة بصورة ، وخارجها بصورة عكسية .
سواء في عبادته أو في خدمته .. في محيط الخدمة : بمنتهى الرقة والالطف والأدب .
وفي البيت أو العمل بمنتهى الشدة والعنف والقسوة .. أو يكون داخل الكنيسة في إسبوع
البصخة كما يليق بإسبوع الآلام ، وخارج الكنيسة ضحك وهزل .. إنه إنسانان مختلفان ..

* * *

وفي معاملاته لا يجوز أن يكون إثنين ، أو بوجهين ، أو يلعب على حبلين !
فهو يعامل شخصاً برقة أو بإخلاص أو باحترام ! ومن خلفه يدبر له مكيدة ، أو يتكلم
عليه بالسوء . أو يكون معه بكل القلب ، أو يبدو كذلك ، فإذا انقلب الجو انقلب معه .
وكما يقول المثل العامى (معاهم معاهم ، عليهم عليهم) !...

* * *

وهذا الذى يعيش بالإثنينية ، لا يكون له ثبات .
فهو كثير التغير ، وقد يكون أيضاً كثير التردد . ويتحول من حال إلى حال بغير ثبات ..
وقد يفكر فكراً ، ثم يجد فكراً فى داخله ضده . وتتصارع أفكاره أو قد تتصارع لأنه مع
عقله . ولا يعرف هل يصدق أذنيه ويتبعهما ، أم يصدق قلبه وإقتناعه الداخلى .

* * *

الإثنينية قد تقود إلى إنقسام الشخصية .
وربما تقود إذا استمرت إلى ازدواج الشخصية ، أو تؤدى به إلى الشيزوفرينيا . وترى
مثل هذا الشخص فى أحد الأيام بصورة ، وفى يوم آخر بصورة مغايرة . وتقول فى
نفسك " ليس هذا هو الذى عرفته بالأمس . إنه شخص آخر تماماً !! " ...

* * *

الإثنينية قد تقود الإنسان إلى التحايل .
وقد يريد غرضاً سليماً ، ويلجأ فى سبيل تحقيقه إلى وسيلة خاطئة . وهكذا يجتمع فيه
الخير والشر فى عمل واحد . والوسيلة الخاطئة تشوه الخير الذى يريده . وتعجب كيف
يجتمع الإثنان معاً . ولكنه التحايل على الوصول !

* * *

وقد يتعامل مع الناس بأسلوبين ، ويزن بميزانين .
صديق له يعمل عملاً ، فيحكم عليه بميزان . ونفس العمل يعمله شخص آخر ، فيحكم
عليه بميزان آخر . وإذا بالإثنينية تخرجه عن نطاق الحق والعدل ، وتخرجه عن مبدأ

المساواة فى التعامل . وتقف متعجباً أمام مصداقيته ...

وقد يغضب من كلمة تقال له ، ويبرر غضبه بأنه إنسان حساس لكرامته . بينما يقول هو نفس الكلمة لغيره ، ولا يضع فى ذهنه حساسية هذا الغير وشعوره !

* * *

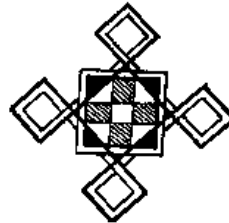
وتجد مثل هذا التناقض فى تصرفات امرأة أب :

تعامل إينها بمنتهى العطف والحنو . بينما بمنتهى القسوة والظلم تعامل أبناء زوجها من زوجته الأولى . ويقف الإنسان متعجباً : كيف يجتمع الحنو والقسوة فى قلب واحد؟! ولكنها الإثنية ، الحكم بأسلوبين ، وبميزانين ، وربما أيضاً بمنطقتين متناقضتين .. فى معاملة القريب والغريب !

* * *

فى اليوم الأخير ، حينما يكشف الله الخفيات ، ترى أين نخبى وجوهنا . حينما تفتح الأسفار ، وتكشف الأفكار ، وتعلن الخفيات ، ويرى الناس إنساننا الذى لم يكن ظاهراً لهم .. تراهم ماذا يقولون؟! أما أنت يا أخى ، فدرب نفسك أن تكون واحداً .

إن كنا نبحث عن الوحدة بين الكنائس ، والوحدة بين الأمم والشعوب ، ألا نبحث بالحرى عن الوحدة داخل النفس الواحدة ، فلا يكون داخلها صراع بين طرق متعددة ...!





البَابُ الثَّانِي

حَيَاةُ الْفَضِيلَةِ
بَيْنَ الْهَدَفِ وَالْوَسِيلَةِ
وَأَنْوَاعِ مِنَ الْمَسْتَوِيَاتِ

حياة الفضيلة والبر بين الهدف والوسيلة

كلنا تقريباً نتفق في الأهداف أو الأغراض ، مادام الهدف سليماً وخيراً . ولكننا نختلف في الوسائل المؤدية إلى الهدف ...

فما هي أسباب إختلاف الوسائل إذن ؟

سببها إختلاف الفكر والعقل . كل منا له فكره الخاص ونظراته الخاصة إلى الأمور . كذلك تختلف الأفكار في درجة الذكاء، وبالتالي في الإستنتاج وفي الحكم والتقدير . ويختلف الناس أيضاً في الطباع وفي نوع النفسية . كذلك يختلفون من جهة البيئة المحيطة بكل منهم ومدى تأثيرها عليه .

* * *

لذلك تجد أناساً طبيين ، ويريدون الخير . ومع ذلك فوسائلهم مختلفة ...

كل واحد له طريقته وأسلوبه ، وله منهجه الخاص في الوصول إلى الغرض. ولهذا كثيراً ما يحدث خلاف في العمل الجماعي ، سواء في كنيسة أو جمعية أو لجنة أو أية هيئة .

* * *

أحياناً يوجد تنوع ، وأحياناً يوجد إختلاف وخلاف .

ونحن لا نعترض على التنوع ، فهو يؤدي إلى ثراء في الفكر وفي الخبرة . أما الإختلاف فكثيراً ما يتسبب في إنقسام وصراعات. وربما يتحول من الموضوعية إلى خلاف شخصي، وربما إلى خصام وإلى عداوة .

* * *

ففي موضوع الإصلاح مثلاً :

كلنا نحب أن تتصلح الأمور . من منا لا يريد ذلك ؟ ولكن يختلف الأسلوب ...
* إنسان يقول نصلى ونصوم ، والله يتدخل ويصلح كل شيء.. ويرى أن هذا هو الأسلوب الروحي السليم .

* وآخر يقول تتصلح الأمور بالصبر ، بطول الأناة . فالكتاب يقول " بصبركم تقتنون أنفسكم " (لوقا : ٢١ : ١٩) . " انتظر الرب . تقوّ وليتشدّد قلبك وانتظر الرب " (مز ٢٧ : ١٤) .

* * *

* وثالث يرى أن الإصلاح يأتي عن طريق الحكمة والتفكير والتفاهم .
* ورابع أسلوبه في الإصلاح هو العنف ، عن طريق النقد الشديد ، والمنشورات والتجريح والتشهير . ويقول إن هؤلاء المخطئين لا يصلحهم إلا إتخاذ الشدة معهم ...
* وخامس يحب أن تتصلح الأمور بالوداعة والهدوء ، بأسلوب متضع لا نفقد فيه روحياتنا ، ولا نفقد فيه علاقتنا مع الآخرين ، والكتاب يقول " لتصر كل أموركم في محبة " (١ كور ١٦ : ١٤) .

لاشك أن أسلوب حبيب جرجس في الإصلاح ، كان يختلف عن أسلوب غيره . وكانت دعامته العمل البناء ، والبعد عن السلبيات .

* * *

لذلك إن اشتركت مع أحد في عمل ما ، أو من أجل خير ما ، لا يكفي أن يكون مشتركاً معك في الهدف والغرض ، وإنما ينبغي أن يكون أيضاً مشتركاً معك في الوسيلة وأسلوب العمل . لتلا تكون طريفته في تنفيذ الغرض المشترك غير طريقتك ، فتختلفان معاً ، أو بسبب لك مشاكل باعتباركما شريكان في عمل واحد .

* * *

العجيب في مسألة الوسيلة هو المبدأ المكافئيلي :

فيظن البعض أن الهدف الطيب يبرر الوسيلة الخاطئة ا

وهذا ما كان يقوله مكافئيلي إن " الغاية تبرر الوسيلة " ..

فإنسان باسم الغيرة المقدسة مثلاً ، يستخدم العنف في الكنيسة ، ويصيح وينتهر ويوبخ ويشتم ، وربما يرفع قضايا .. وإن عاتبته أو ناقشته في كل ذلك ، يحتج بقول المزمور "غيرة بيتك أكلتني " !! (مز ٦٩ : ٩) ... ولكننا نقول لمثل هذا :

إن الغيرة المقدسة تناسبها وسيلة مقدسة .

* * *

وبالمثل أب يقسو جداً على ابنه حتى يعقده نفسياً ، ويحتج بغرض مقدس هو تربية ابنه! إن الغرض سليم ، ولكن الوسيلة خاطئة ... أو زوج يحبس زوجته في البيت ، ويقيد

كل تحركاتها وكلامها ، بحجة الحفاظ عليها !! الوسيلة أيضاً خاطئة ...
أو أم تتدخل فى صميم الحياة الزوجية لابنتها ، وعلاقة هذه الابنة بزوجها . وقد
تتسبب فى فصلها عن زوجها . وتتخفى وراء هدف مقدس هو الحرص على ابنتها ،
وضمن راحتها وكرامتها .

وكثيراً ما ضيع الناس أنفسهم وعلاقاتهم ، بالوسيلة الخاطئة .
شخص يسعى إلى مصالحة غيره . هدف سليم بلاشك . ويرى أن الوسيلة هى العتاب .
لا مانع . ولكنه فى طريقة العتاب ، يعيد الأوجاع والجروح القديمة ، وبضغط عليها
بأسلوب يتعب الطرف الآخر . ويخرج من العتاب وقد ساءت العلاقة عن ذى قبل ، لأن
طريقة العتاب كانت خاطئة .. بعكس ذلك إنسان آخر يستطيع بالعتاب أن يكسب الموقف ،
بل يجعل الطرف الآخر يتفهم الموقف، ويعتذر له ، ويخرجان صديقين كأن شيئاً لم يكن .

العتاب هو العتاب . ولكن طريقته عند واحد مقبولة ومجدية . وعند آخر متعبة
ومؤذية ، وتأتى بعكس المطلوب ...

إنسان يعاتب بطريقة هادئة ، والآخر يعاتب بطريقة ساخطة .
الأول يعاتب بحب وعشم . والثانى يعاتب بحقد وإنتقام .
هذا يريد أن يصلح . والآخر يريد أن يثبت للطرف الآخر أنه مخطئ ، ويستحق ما
نال منه !!

ثلاثة أشخاص مثلاً يصيرون أعضاء فى مجلس الكنيسة .
كل واحد منهم غرضه طيب ، يريد الخير للكنيسة بلاشك . ولكنهم لاختلافهم فى
الأسلوب والطريقة لا يستطيعون أن يعملوا معاً !! فأحدهم يحب أن يعمل متعاوناً مع الأب
الكاهن . والآخر يقول : كل إدارة الكنيسة لنا ، والكاهن له العمل الروحى فقط ، ولا
شأن له بالمشروعات والأمور المالية والإدارية والمعمارية . وهكذا يصطدم بالأب الكاهن
وبزميله فى عضوية الكنيسة . لأن أحدهما كان أسلوبه التعاون . والآخر كان أسلوبه
السيطرة ...

المجالس المليئة كمثال آخر .

هى نفس المجالس منذ أكثر من مائة عام ، بنفس القانون ونفس الإختصاصات ونفس طريقة الإنتخابات . ولكنها الآن فى تعاون مع الإكليروس . وقديماً كانت فى صراعات وإقسامات وقضايا . والسبب هو أن الأسلوب تغير عن ذى قبل ، سواء من جهة الإكليروس أو من جهة المجالس المليئة

* * *

نأخذ غرضاً آخر هو الوصول إلى الله ...

إنه هدف واحد يتفق فيه الكل . ولكن تتعدد الوسائل . البعض يريد أن يصل إلى الله عن طريق الرهينة ، والبعض عن طريق الكهنوت ، والبعض عن طريق التكريس . والبعض عن طريق الخدمة، مع حياة الزواج المستقر، وبناء المجتمع وتنشئة جيل جديد تنشئة روحية .

* * *

نقول : هنا تنوع ، وليس هو إختلافاً . ولكن يحدث الإختلاف حينما يرى البعض أن طريقه هو الطريق الوحيد السليم ، وينتقد غيره من الطرق !! أو يحاول تحطيمها !! يمكن أن يوجد تنسيق وتكامل وتعاون بين الطرق المتنوعة المتعددة الواصلة إلى غير واحد . ولكن يحدث التصارع بين الطرق المتناقضة .

* * *

ننترق إلى موضوع آخر هو تربية الأولاد ...

كل الناس يريدون تربية أولادهم تربية سليمة . إنه هدف يتفق فيه الجميع . ولكنهم يختلفون فى أسلوب التربية ..

فالبعض يمنحون أولادهم الحرية الكاملة ، كما يحدث فى كثير من بلاد الغرب . وحينما يكبر الأولاد لا يصبح لأبائهم وأمهاتهم أية سلطة عليهم . ويبررون أسلوبهم فى التربية بأنهم يريدون للإبن أن تكون له شخصيته المستقلة التى لا تقع تحت ضغط ... هناك أسلوب آخر يلجأ إليه آباء آخرون فى تربية أولادهم ، وهو التشديد الكامل ، فلا يخرج إلا بإذن، ولا يصاحب أحداً إلا بإذن، ولا ينضم إلى نادٍ أو إلى أية أنشطة. وهذا للتضييق يوجد عنده كبتاً تكون له ردود فعل سيئة فى المستقبل .

* * *

وهناك طريق وسط في التربية بين هذين الأسلوبين . لا هو بالحرية التي فيها تسبب ، ولا بالتشديد الذي فيه تعييد ...

أسلوب أب يصادق ابنه ، ويشرح ويعلم ويقنع ويحاور .
ولاشك أن الإقناع - ولو أنه قد يأخذ وقتاً وجهداً - إلا أنه يوجد حافظاً في الداخل ، أفضل بكثير من الأوامر والنواهي التي هي مجرد ضغط من الخارج ...
تربية الأولاد إذن هي هدف مشترك . ولكن البعض يستخدم فيه السلطة والهيبة ، والبعض يستخدم الصداقة والحب . والبعض يستخدم الحرية والسلبية ... إنها وسائل مختلفة ، لهدف واحد .

* * *

نفس الوضع نقوله في معاملة المخطئين :

كلنا نكره الخطأ ، ونأخذ من أصحابه موقفاً معارضاً . هنا غرض واحد ، ولكن الوسائل تختلف ...

فالبعض يبعد عن المخطئين ، ينزل عنهم ولا يختلط بهم .
وبالعوض يأخذ منهم موقف المقاومة ، ويرد لهم بالمثل ، ويحاسبهم على كل خطأ . ولا يترك الأخطاء تمر بسهولة ، أو بدون مواخظة .
وبالعوض يحاول أن يصلح هؤلاء ويكسبهم ، ربما بالحب والصبر ، وربما بالمواجهة والإقناع .. المهم أنه يوصلهم إلى الله وإلى الطريق السليم ، ويربح نفوسهم ...

* * *

هناك نقطة أخرى أقولها في موضوع الهدف والوسيلة وهي أنه:

كثيراً ما تتحول الوسيلة إلى هدف !!!

الهدف الروحي الوحيد هو الله . وما الصلاة والصوم والقراءة والتأمل والوحدة .. سوى وسائل توصل إلى هذا الهدف . وكذلك الفضائل هي مجرد وسائل توصل إلى الهدف الذي هو الله ... ولكن للأسف ، قد تتحول هذه الوسائل كلها إلى أهداف !! ..
* فإنسان يقرأ الكتب المقدسة والكتب الروحية . والمفروض أن هذه القراءة توصله إلى محبة الله والثبات فيه . ولكن قد تتحول القراءة نفسها إلى هدف . فالمهم عنده أن يقرأ ، ولو من غير فهم ، ولا تأمل ولا تداريب روحية .

* * *

★ أو قد يتغير الهدف الروحي في الطريق !

شخصاً الإنسان لكي يكون عالماً ، أو لكي يكون معلماً . ولكي يبدو كثير المعرفة واسع الإطلاع ، يجيد الكلام في أى موضوع يتحدث فيه أو يسألونه عنه .. وأين الله هنا ! لقد اختفى ، لكي تظهر الذات ، ولكي تظهر المعرفة والعلم ...

★ وكما تتحول القراءة إلى هدف ، هكذا تتحول الوحدة !!

المفروض أن الإنسان يسعى إلى الوحدة ، لكي يجد وقتاً هادئاً صافياً يجلس فيه مع الله. فإن لم يجلس في وحدته مع الله، يكون الهدف الروحي الحقيقي قد اختفى . وتصبح الوحدة هدفاً في ذاتها، حتى لو كان فيها الشخص نائماً أو في ملل أو ضجر ، أو في حروب الأفكار !..

★ أو قد يتغير هدف الوحدة ، ويتحول إلى الذات .

فيجلس إنسان في الوحدة ، لمجرد أن يقال عنه أنه متوحد !.. سعياً وراء الشهرة أو الألقاب ، وليس من أجل الله ! أو قد تعطيه الوحدة فرصة لسعى الناس إليه، وتحوّله إلى مرشد أو مانح للبركات التي يلتصقون بها منه !!

لهذا ينبغي أن يراجع الإنسان هدفه .

ويتحقق أن الوسيلة توصله إليه .

ويتأكد أن الهدف سليم وروحي ، وأنه لم ينحرف عنه إلى هدف آخر ، وأنه يستخدم الوسائل العلمية التي تحقق هدفه الروحي، بحيث تبقى هذه الوسائل مجرد وسائل ولا تتحول إلى أهداف !

★ نقول نفس الكلام عن الصمت .

إنه مجرد وسيلة توصل إلى أمرين : أحدهما هو البعد عن أخطاء اللسان . و الثاني أن تكون لنا عن طريق الصمت فرصة للصلاة والتأمل .. فإذا كان الإنسان مجرد صامت، دون أن يكون له عمل روحي داخلي ، لا يكون الصمت قد حقق هدفه ... وإن كان صامتاً ، واستبدل الكلام بإشارة أو إيماءة تعبر عما يريد أن يقول ، فهو أيضاً

في مستوى المتكلم .

وإن كانت الأخطاء التي أراد أن يتفادها بصمته ، لاتزال باقية معه، ولكنها تحولت فقط من أخطاء لسان إلى أخطاء فكر، فما المنفعة أيضاً من صمته ؟
إنه قد صمت ليبتعد عن إداة الآخرين ، وما هو لا يزال يدينهم بفكره! وقد صمت ليبعد عن كلام للغضب ، ولكنه مازال غاضباً في قلبه !!
الأخطاء موجودة لم يمنعها الصمت ، وإنما حولها إلى القلب والفكر . وفي كل ذلك الهدف الروحي لم يتحقق !!

* نقول نفس الكلام أو ما يشبهه عن الصوم .

لماذا نحن نصوم ؟ هل لمجرد الصوم ، كما لو كان الصوم هدفاً في ذاته ؟ أم نصوم لكي نوجد في فترة روحية تساعدنا على الوصول إلى الله ..؟ نمنع أنفسنا عن كل ما نشتهي ، لكي نتعود للسيطرة على الإرادة ، فممنعها عن الخطأ كما ممنعها عن الأكل..
فهل نحن نحرص في صومنا أن يوصلنا إلى هذا الهدف الروحي ؟
أم نصوم لمجرد الصوم ، بلا هدف ؟ وبلا غاية، وبلا نتيجة !

* وكذلك الصلاة : ما هدفها في حياتنا؟ أو ماذا تحققه من هدف ؟ هل نصلي بهدف التمتع بعشرة الله والحديث معه؟ أم لمجرد أداء واجب ؟! حتى لو كانت صلواتنا بغير روح ، ولا عاطفة، ولا حرارة ، ولا عمق، ولا حب، ولا أى شعور بالوجود في الحضرة الإلهية !!
ليت صلواتنا تحقق هدفها الروحي ، ونشعر فيها أننا نتحدث مع الله ونتمتع بعشرته.

ونضع الصلاة في موضعها السليم ، إنها مجرد وسيلة توصل إلى هدف، ويجب أن نجاهد روحياً للوصول إلى هذا الهدف ...

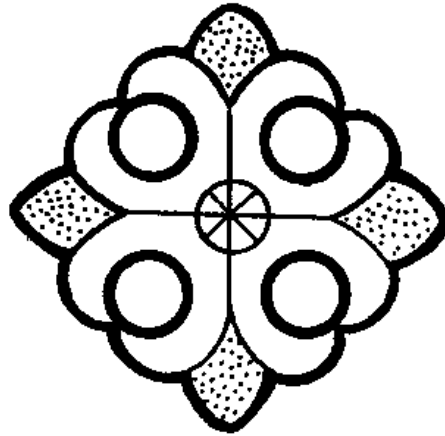
نفس الكلام نقوله عن المزامير والتسبحة والألحان ...

نلاحظ أنه كلما إزداد حفظ الإنسان للمزامير والتسبحة ، كلما إزدادت سرعته في التلاوة ، وعلى هذا القدر ما أسهل أن يقل فهمه لما يقول ... وما أسهل أن ينشد الحناً ، أو

قطعة من الإبصلمودية، أو يتلو مزموراً، دون أن يصل إلى عمق ما يقوله .. وكان اللحن قد صار هو الهدف ! أو قد صارت للتلاوة هدفاً ..!

* * *

وهنا نسأل : متى يمكننا أن نحقق في أعماق قلوبنا وفهمنا الهدف الروحي الذي من أجله وضعت المزامير والألحان والتسبيحة؟
متى نتخل فيها العاطفة والحرارة والتأمل والفهم وروح الصلاة؟ متى لا نهتم بالكثرة وإنما بالعمق . لا بعدد المزامير ، إنما بعمقها وروحانياتها ...



مقاييس الفضيلة

التعريف ، والهدف ، والوسيلة

ما هو العمل الفاضل ؟ هل هو مجرد مسعيات أو عناوين ؟ كأن نقول : الصلاة، الصوم، الخدمة، العطاء.. أم أن هناك مقاييس، نستطيع بها أن نصف العمل بأنه فاضل . هناك ثلاثة مقاييس لكل فضيلة ، وهي : التعريف، والهدف، والوسيلة . وسنحاول أن نطبق هذه المقاييس الثلاثة، لكي نختبر الفضائل هل هي حقيقية أم زائفة:

الصلاة

ندخل أولاً في التعريف ؛ ونقول : ما هي الصلاة ؟ هل هي حديث مع الله ، أم هي مجرد تلاوات ؟ والتلاوات كيف تؤدي؟ ما مقاييس الشعور فيها ؟ وما مقياس الفهم ، وما مدى الصلة بالله ؟

وإن كانت حديثاً مع الله ، فمن هو الله الذي نحدثه ؟ الله الذي تقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة ، الله الخالق ، غير المحدود، ملك الملوك ورب الأرباب .. بأى خشوع نحدثه ، وبأية هبة وإجلال .. هذا الذي قال له إبراهيم أبو الآباء * عزمت أن أكلم المولى، وأنا تراب ورماد * (تك ١٨) .

وإن كان الله هو الأب الحنون الذي يقول له داود النبي "اشتأقت نفسي إليك يا الله، كما تشأق الأرض العطشانة إلى الماء" (مز ٦٣ : ١) .. فبأى حب نتحدث معه ؟

* * *

أم الصلاة هي شعور بمتعة روحية للوجود في حضرة الله ؟ إذن هي ليست مجرد كلام ، بل هي متعة روحية . وهنا يكون الهدف من الصلاة ، هو التمتع بالله، وليس مجرد أي طلب خاص. بل الطلب هو الله نفسه . كما قال داود

النبي في مزاميره " طلبت وجهك، ولوجهك يارب الشمس . لا تحجب وجهك عنى "
(مز: ٢٦ : ٨)

* * *

إن الصلاة ليست مجرد واجب تؤديه .
بحيث تعتذر لله أحياناً وأنت تقول أسفاً " لست أجد وقتاً للصلاة " وكأنك تقول عملياً
"لست أجد متعة في الصلاة .. " .
إن الصلاة ليست فرضاً عليك ، وليست مجرد الإستجابة لجدول روجى تملأه، حتى لا
يتعبك ضميرك .. واعلم تماماً أنك المحتاج إلى الصلاة ، على الأقل لتشعر بوجود قوة إلى
جوارك تسندك وتعينك .. وأنت محتاج إلى الله ...

* * *

الصلاة هي شركة مع الملائكة الذين يسبحون الله .
وهي جسر يربط الأرض بالسماء ، ويربطك أنت بالسمايين .
والصلاة هي مصدر للشيخ الروحي .
كما يقول المرثل في المزمور " باسمك ارفع يدي ، فتشيع نفسي كما من شحم ودسم "
(مز: ٦٢ : ٥) .. هي غذاء للروح، وكما أن الجسد يتغذى بأنواع كثيرة من الأطعمة، كذلك
الصلاة هي من الأغذية الأساسية للروح .

* * *

إن لا بد أن تعرف ما هي الصلاة ، حتى تعرف كيف تصلى .
تعرف أن تصلى بحب ، وتصلى بفهم ، وبإيمان : بشعور بالوجود في حضرة الله ..
وتكون صلاتك أيضاً بفرح ، وفرح التمتع بالله في الصلاة ...
وإن صليت بعاطفة ، وانسكبت دموعك في الصلاة ، فلا تتشغل بالدموع وتفرح بها
أكثر من الله الذي تحدثه ، لأن الدموع ليست هي الهدف من الصلاة ...
وإن كانت الصلاة ناتجة عن محبتك لله الذي تتحدث إليه ، فإن احرص على هذه
المحبة . ولا ترتكب خطايا تبعدك عن الله ، وتفقدك الدالة في صلاتك . ولا تجعل
صلاتك مثل التي لا تصل إلى الله الذي قال للشعب الخاطي " حين تبسطون أيديكم ، استر
وجهي عنكم . وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملأنة دماً " (أش: ١ : ١٥) . إن نقاوة
القلب هي إحدى وسائل الصلاة ، التي تقترب بها إلى الله .

ننتقل إلى نقطة أخرى ، وهي الصوم .

الصوم

هل هو مجرد قهر الجسد ، وعدم إعطائه ما يشتهي من طعام ، أم أن ضبط الجسد ، هو مجرد وسيلة لضبط النفس، وضبط الفكر، وضبط الحواس ؟ وضبط الإرادة عن كل خطأ. وهنا تسأل نفسك عن تعريف الصوم .

هل الصوم هو مجرد صوم الجسد ، أم أيضاً صوم الفكر واللسان وصوم النفس ؟ هل الصوم هو حالة جسد ممتنع عن الطعام ، أم حالة نفس زاهدة في الطعام ، كجزء من زهداها في المادة عموماً ؟ هل أنت في الصوم تمتنع عن طعام تشتهي، أم وصلت إلى المستوى الذى لا تشتهي فيه طعاماً ؟ أهو تدريب للإرتقاغ عن الشهوة المادية بصفة عامة؟ هنا نبتدى أن نفهم ما هو الصوم .

هل الصوم إذن إسكات للجسد ، لكى تتكلم الروح ؟ أهو إخضاع للجسد ، لتأخذ الروح حريتها وفرصتها ؟ هل هو عدم إعطاء الجسد ما يشتهي ، لكى يرتقى بأن يشتهي ما تشتهي الروح، ويسير في طريقها؟ أفهم إذن ما هو الصوم .

كثير من الناس يصومون ولا يستفيدون روحياً ، لأنهم لم يفهموا ما هو الصوم ، ولم يصوموه بطريقة روحية .

أنت فى الصوم تقول : أنا يارب لا أريد أن أشتهى شيئاً مادياً. ولكن لأن جسدى يحتاج بين الحين والحين أن يأكل ، لكى يظل حياً، ويشترك مع الروح فى عملها الإلهى.. لذلك أنا بين الحين والحين أعطيه ما يأكل ، ولكن لا يكون الأكل بالنسبة إليه هدفاً .. وإنما الهدف هو شركته مع الروح فى الإتحاد بك . لذلك أنا أعطى الجسد ما يحتاجه لا ما يشتهي

فهل نحن نصوم بهذا الهدف وبهذا الأسلوب ؟

العطاء

ما هو العطاء ؟ هل هو صدقة من غنى لفقير .
هل تشعر أنك أنت الذى تعطى ؟ وأنتك تعطى المحتاج من مالك؟! كلا يا أحمى ، ليس
الأمر هكذا، ولن تستفيد من عطاء بهذا الشعور ...
فالمعطي هو الله ، وأنت مجرد وكيل على ماله .
فالمال هو مال الله . هو الذى أعطاك إياه ، لكى تعطى منه لهؤلاء . وأنت إن لم تعط
لهؤلاء حقهم ، يكون المال الذى احتجزته هو مال ظلم ، لأنك ظلمت مستحقيه ...

* * *

بهذا المعنى ، إذا أعطيت لا تتفخر .
لأنك لم تعط من مالك شيئاً ، وإنما من حقوق الله عليك ...
ولكنك ربما تقول " مجرد الرغبة فى إعطاء الفقير هى فضيلة " هذا حق ، ولكن تذكر
أن الله هو الذى وهبك هذه الرغبة فى أن تعطى وفى أن تطيع ، لأن الله - كما قال
الرسول - " هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة " (فى ٢ : ١٣) .
الله هو الذى أعطاك المال ، وهو الذى أعطاك الرغبة فى العطاء . فقيم الفخر إذن ؟!

* * *

النقطة التالية فى فهم العطاء هى :
من هم أولئك الذين تعطيهم ؟
أنت تعطى أولئك الذين سماهم السيد الرب أخوته فقال : " مهما فعلتموه بأحد أخوتي
هؤلاء الأصاغر ، فىي قد فعلتم " (مت ٢٥ : ٤٠) . لذلك يسميهم الكثيرون " إخوة الرب " ..
اعرف إذن جيداً أن هؤلاء ليسوا هم الشحانون أو المتسولون أو الفقراء المعوزين، وإنما
هم إخوة الرب .

إذن عاملهم على إعتبار أنهم إخوة الرب، بمحبة وإحترام .
عاملهم بلطف ، بغير إذلال . ولا تتكلم معهم بإنتهار ، أو من فوق . لا تتعال عليهم .
ولا تشعرهم بأنك تعطيهم ، وإنما أنت مجرد موصل لعطاء الله لهم . وكن فى عطائك
كمن يعطى المسيح نفسه . لأنه قال عن الفقراء " كنت جوعاناً فأطعمتمونى . كنت عطشاناً
فسقيتمونى . كنت عرياناً فكسوتهمونى " (مت ٢٥ : ٣٥ ، ٣٦) .

اعرف أيضاً أن العطاء هو شركة حب مع المحتاجين .

إذن ليكن عطاؤك بحب . حاول أن تعرف مقدار احتياج الفقير، لكي تسد حاجته ، ليس بطريقة جزئية ، بل بطريقة كاملة تحل إشكاله . وتجعله يخرج من عندك مستريحاً . فالعطاء ليس هو مجرد دفع صدقة ، مع ترك الفقير محتاجاً . وإن لم تستطع، فحاول أن تشرك معك الآخرين لسداد حاجة المحتاج .

وفي نطاق محبتك للمحتاجين : تذكر قول الكتاب " لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعد فأعطيك غداً ، وموجود عندك " (أم ٣: ٢٧، ٢٨) . وأنصت أيضاً إلى قول الكتاب " من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، يصرخ هو أيضاً ولا يستجاب " (أم ٢١: ١٣) .

الخدمة

نبدأ أولاً بتعريف الخدمة : ما هي ؟

الخدمة ليست مجرد نشاط في الكنيسة .

سواء كان هذا النشاط في مدارس الأحد، أو في الخدمة الإجتماعية، أو العمل الإداري أو المالي في الكنيسة . وليست هي مجرد تدريس أو وعظ أو تقديم معلومات .

* * *

الخدمة هي روح تفيض من إنسان إلى آخر .

أو هي قدوة تقدم من شخص لآخر ، أو هي عبارة روحية تنتقل من خلال العمل الكنسي . المعلومات هي مجرد وسيلة ، ولكن الهدف الحقيقي هو خلاص النفس . كما قال القديس يعقوب الرسول " من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفسه من الموت ، ويستريح كثرة من الخللأيا " (يعقوب ٥ : ٢٠) . أو كما يقول القديس بطرس الرسول " نائلين غاية إيمانكم : خلاص النفوس " (١بط ١ : ٩) .

* * *

إذن هدف الخدمة هو خلاص النفس ، وهو بناء الملكوت .

وكل وسائل الخدمة ، ينبغي أن تتجه نحو هذا الهدف .

وطبيعي أنك لا تستطيع أن تعمل في بناء الملكوت وحدك، بل بشركة مع الله . لأنه "إن لم يبن الرب البيت، فباطلاً تعب البنّاعون" (مز ١٢٦ : ١) . وقد قال السيد الرب "

بدونى لا تقدرين أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) .

* * *

إذن الخدمة هي شركة مع الله في العمل .

كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وزميله أبلوس " نحن عاملان مع الله " (١كو ٣ : ٩) . فكّر إذن : هل أنت تعمل مع الله ، أم تعمل وحدك ؟ وعليك أن تبدأ بأن تعمل مع الله ، تشارك الله معك ، كما نقول للرب في الأوشية " اشترك في العمل مع عبيدك ، في كل عمل صالح " .

* * *

وإن كانت الخدمة هي عمل الله فيك وبك ومعك ، إذن لا بد أن تبدأ بالإمتلاء من الله . لأن هذه هي الوسيلة التي توصلك إلى هدفك من الخدمة . وهكذا قال الرسول " امتلئوا بالروح " (أف ٥ : ١٨) . املئوا ، لكي تفيضوا على غيركم ...

هذه وسيلة أساسية ، ومنها تتبع وسيلة أخرى وهي :

* * *

لكي تسعى لخلص الناس ، ينبغي أن تحبهم .

تحب الناس ، فتريد لهم أن يحبوا الله ، كما أحببته أنت ، وأن يزوقوا ما أطيب الرب كما نطقه أنت . وبهذا الحب تعرفهم طريق الرب وتعرفهم اسمه . ولينتك في ذلك تذكر قول السيد المسيح في حديثه مع الأب عن تلاميذه ، إذ قال " عرفتهم إسمك ، وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم " (يو ١٧ : ٢٦) الخدمة إذن هي رسالة حب . هذا هو تعريفها .

* * *

ومادام الله هو العامل في الخدمة ، إذن فالصلاة هي من أهم وسائل الخدمة .

ليست الخدمة هي مجرد تعبك وسعيك ووعظك وتعليمك ، إنما لكي يأتي كل هذا بثمر ، ينبغي أن تسكب نفسك أمام الله في الصلاة ، لكي تعطى الكلمة النافعة ، كما قال بولس الرسول " صلوا لأجلي لكي أعطى كلاماً عند إفتتاح فمى ، لأبشر جهاراً بسر الإنجيل " (أف ٦ : ١٩) . إن كان القديس بولس يطلب هذا ، فكم بالأولى نحن ؟!

عليك أيضاً أن تصلى ، لكي يعطى الله قوة للكلمة ، فتدخل إلى قلوب الناس ، وتحدث تأثيرها ، وتأتي بثمر . لا تسقط على أرض محجرة ، ولا على شوك ، ولا تخطفها الطيور (مت ١٣) .

وإن كانت الخدمة لبناء المنكوت ، فلا تكن إذن لبناء الخادم .
فكثير من الخدام يهدفون إلى بناء أنفسهم ، وتتدخل الذات في خدمتهم ، مثلما وبخ
الرب الرعاية الذين يرفعون أنفسهم (خر ٣٤ : ٨ ، ٩) . ولذلك في خدمتك ، رتل أيضاً
المزمور "ليس لنا يارب ليس لنا، لكن لإسمك القدوس أعطِ مجداً" (مز ١١٥ : ١) .
واسلك في خدمتك بإتضاع ، كخادم .
لأن كثيرين يخدمون ، وينسون أنهم خدام، وفي ذلك ما أجمل صلاة القديس
أوغسطينوس من أجل رعيته ، إذ يقول " أذكر يارب سادتي، عبيدك ... " .

الكلام

ما أكثر الذين يحبون الصمت ، ويرون أنه فضيلة ، ويحترسون من الكلام . فهل كل
كلام خطية، وهل كل صمت فضيلة . هنا لابد أن ندرك تعريف الصمت وتعريف الكلام ،
وعلاقتها بالفضيلة ... قال القديس برصنوفوس لما سئل عن هذا الأمر :
الصمت من أجل الله جيد ، والكلام من أجل الله جيد .
من أجلك يارب نصمت ، ومن أجلك نتكلم . نصمت لكي نعطي أنفسنا فرصة للصلاة،
وللتأمل، وللبعد عن أخطاء الكلام . ولكننا نتكلم حينما تكون كلمتنا: كلمة منفعة، أو كلمة
تعزيزية، أو كلمة نصح أو تحذير، أو شهادة لك ولملكوتك. كما قال الحكيم " فم الصديق
ينبوع حياة " (أم ١٠ : ١١) .

* * *

وحيثما يكون الكلام فضيلة لازمة ، حيثئذ ندان على صمتنا .
المهم أن يتمجد الله بكلامنا ، ويتمجد بصمتنا . ولنعرف أن الكلام ليس هو طاقة
مخترنة فينا من الألفاظ، تريد أن تخرج منا إلى أذان الناس ، ولو بغير هدف، ولو كانت
طاقة مدمرة لسلام الآخرين وروحياتهم !!
في هذه الحالة يكون صمتك أفضل، إلى أن يعطيك الرب كلمة تقولها ، كما قال
المرتل في المزمور الخمسين " افتح يارب شفتي، فيخبر فمي بتسبحتك " . والذين يتكلمون
بهذا الأسلوب ، ينطبق عليهم قول الرب " لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم هو المتكلم
فيكم " (مت ١٠ : ٢٠) .

فهل الكلام عندك من هذا النوع؟! وهل الصمت عندك للصلاة والتأمل؟ أم أنت
تصمت ، وفى نفس الوقت تفكر أفكاراً خاطئة!! كذلك إن تكلمت عن الحق ، تكلم
بأسلوب حقانى ...

المعرفة

ما هى المعرفة؟ وما تعريفها الصحيح؟ ليست هى مجرد معلومات .
إنما المعرفة الحقّة ، هى المعرفة التى تبنيك ، وتبنى غيرك عن طريقك .
إن كان الأمر هكذا فتكون الوسيلة هى أن تدقق فيما ينبغى لك أن تعرفه . ولا تفعل
مثل الإنسان الأول الذى أكل من شجرة المعرفة، فصار جاهلاً ، إذ بدأ يعرف الشر
أيضاً، هذا الذى قال عنه الحكيم :
" الذى يزيد علماً يزيد حزناً " (جا : ١٨) . يقصد معرفة أمور قد تعقد العقل ، أو
تجلب الشك ، أو تكشف طريق الخطية، أو تسبب لوناً من الكبرياء ، كما قال الرسول
" العلم ينفخ " (كو٨ : ١) .

* * *

المعرفة الروحية ، هى معرفة الله ، ومعرفة طرقه .
كما قال السيد الرب فى تأملاته مع الله الأب " هذه هى الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت
الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يو١٧ : ١٣) . كذلك يقول المرثل فى
المزمور " عرفنى يارب طرقك، فهمنى سبلك " .

* * *

هناك معارف أخرى مفيدة جداً .
وهى أن تعرف نفسك ، وتعرف ضعفك ، فتنضع، وتعرف حروبك فتجاهد لنتتصر .
وتعرف حيل الشياطين فتبعد عنها . وتعرف الحق ، والحق يحررك ...



حياتك في الفضيلة تقاس بنوع اهتمامك

" قال السيد المسيح لمرثا : أنت تهتمين وتضطربين لأمر كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد " (لوقا : ١٠ : ٤١) .

أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح ، واهتمت به ...
وأنت يا أختي بماذا تهتم ؟ ما هي الأولويات في حياتك ؟ حسب أولوياتك ، يكون حماسك ، ويكون عملك وتكون إرادتك ...
إن الناس يختلفون في اهتمامهم ، كما اختلفت مريم ومرثا . كان إهتمام مرثا أن تهتم بالمسيح في ضيافته : بينما إهتمت مريم بمحبته ، والجلوس عند قدميه والإستماع إليه :
وصارت إحداهما مثالاً للخدمة ، والأخرى مثالاً للتأمل .
وقليلون - مثل القديس بولس - من جمعوا بين الأمرين الرعاة إهتموا بالخدمة ،
والرهبان بحياة التأمل .

وحسب إهتمام كل واحد ، هكذا كانت حياته ...

★ ★ ★

وأنت مثلاً حينما تستيقظ كل يوم ، بماذا يكون إهتمامك ؟

هل تهتم بحياتك اليومية ، تغسل وجهك ، تفرغ ، تعد ملابسك ، تستعد للذهاب إلى عملك ؟ أم إهتمامك الأول كيف تبدأ اليوم مع الرب ، بالصلاة والقراءة والتأمل .. ؟ حسب إهتمامك سيكون تصرفك ...

البعض يعتذر أحياناً ويقول : لم يكن لدى وقت للصلاة ... ! وأنا دائماً أرفض هذا العذر ، ولا أعتبره السبب الحقيقي ، وأقول :

لو وضعت الصلاة والتأمل في قمة إهتمامك ، لأمكنك أن تجد لهما وقتاً ...

★ ★ ★

نفس الوضع نقوله بالنسبة إلى الصلاة في مجال الخدمة ، وفي حياة كثير من الخدام ..
إنهم يهتمون بتحضير الدرس ، أكثر من إهتمامهم بتحضير أنفسهم روحياً ... يهتمون

بمواعيد الخدمة ، وإجتماعاتها ، وبالصور والهدايا ، والمكتبة والنادي ، وبالافتقار
وبالأنشطة ... ونادراً ما يهتمون على نفس القياس بصلواتهم !! فلا نجد إجتماعات
الصلاة، مثل إجتماعات الشبان أو الشباب .
النشاط يأخذ الإهتمام الأول ، وليس الصلاة .

* * *

ولو دخلنا في التفاصيل ، لوجدنا أيضاً أن العمل الروحي لا يأخذ الإهتمام الأول ...
فالنادي مثلاً : قد نهتم بمكانه ، وترتيبه ، وما توجد فيه من ألعاب ومن أنشطة رياضية
وتسلية . وقد نهتم بتنظيم الكارنيهات والمواعيد ، والمسابقات ، وفرق التمثيل
والكورال ... وفي كل ذلك قد لا يوجد الإشراف الروحي الكامل . ونجد النوادي في
ضوضائها وفي أخطائها ، لا تعطى الصورة الروحية المرجوة ، وربما لا تختلف عن
النوادي العادية ، لعدم وجود المشرف الروحي ...

لماذا ؟ الجواب صريح ... لأننا لم نضع ذلك في قمة إهتمامنا .

* * *

وفي الخدمة الإجتماعية ، قد نجد نفس الظاهرة .

إهتمامنا الأول أو الوحيد هو العناية بالفقراء مادياً ، سواء في المساعدات المالية ، أو
مشاكل التعطل أو المرض أو الإسكان ... وما إلى ذلك . ويندر أن يعطى إهتمام حقيقي
بروحيات هؤلاء المحتاجين ... وإن عَقد لهم إجتماع روحي ، قد يكون شكلياً ... لا
إهتمام فيه يربط هؤلاء الناس بالله ، وبالإطمئنان على حياتهم الروحية ، وعلى تناولهم
وإعترافاتهم وتوبتهم ...

* * *

نفس الوضع ربما نجده أيضاً في إتفاقات ومشروعات بعض الكنائس .

غالبية المال قد تنفق على البناء والتعمير ، أو على تجميل الكنيسة وتزيينها بالديكور ،
وبالأيقونات وبالنجف الغالي ... ولا يعطى مجلس الكنيسة ولا كهنتها نفس الإهتمام لخدمة
الفقراء والحالات المحتاجة من أجل الأحياء المجاورة المحتاجة إلى رعاية روحية ، ولا
حتى الإهتمام بالخدمة الروحية في نفس الكنيسة ... للأسف كل الإهتمام مركز في البناء
والديكور ...

* * *

نفس الوضع فى عناية الأسرة بالطفل .

يقول الأب والأم إن إهتمامهما الأول هو تربية أطفالهما ورعاية مستقبلهم . وحسناً يقولون . ولكن أى نوع من التربية يهتمون به ؟ إنهم يهتمون بصحة أولادهم ، وأكلهم وشربهم ولبسهم ، وأيضاً بتعليمهم وإعدادهم لوظيفة لائقة . ثم بعد ذلك بتزويجهم ... ويقول الأب بعد ذلك ، وتقول الأم كذلك : " أشكرك يارب ، إنى أديت رسالتى نحو أبنائى . الآن ضميرى استراح من جهتهم .

* * *

ومع ذلك لا يضعون إهتمامهم الأول بتربيتهم الروحية وبمصيرهم الأبدى !! لا يعطونهم الغذاء الروحى اليومى ، مثلما يعطونهم غذاءهم الجسدى . وإن سألتهم عن واجبهم فى ذلك ، ربما يجيبون " إننا أرسلناهم إلى مدارس الأحد " ..! دون متابعة لما أخذوه أو حفظوه من دروس ، ودون إضافة شئ خلال الأسبوع . كأن الأب غير مسئول عن معلومات إبنه الدينية ، وعن تربيته روحياً !! وكان الأم غير مسئولة ، وهى التى استلمت إينها من المعمودية كإشيئة له تتعهد به بالعناية الروحية ، وبالتعليم الدينى ، وبالتدريب على الفضائل ...

ويبقى السؤال قائماً وهاماً فى كل ما قلناه :

ما هو إهتمامنا الأول ؟ إهتمامنا العميق الحقيقى ؟

* * *

إنسان آخر فى الخدمة ، يهتم كيف تمتلئ الكنيسة بالناس هذا هو كل هدفه ، ولا يهتم بأن يصل هؤلاء الناس إلى الله . وربما يلجأ إلى وسائل عالمية !! مثلما تلجأ بعض الطوائف إلى منح المغونات المالية والإجتماعية لجذب بعض المحتاجين إليهم ، ويخرجونهم بذلك من كنائسهم !! الإهتمام كله ليس فى الملكوت ، إنما فى أن يزيد عددهم ولو على حساب كنائس أخرى .

* * *

كثيرون يهتمون بأنفسهم إهتماماً جسدياً .

إما من جهة الأكل والشرب والملبس ، وإما من جهة شهوات الجسد ... بينما يقول الرب " لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون .. فإن هذه كلها تطلبها الأمم .. " (مت : ٦ : ٢٥ ، ٢٢) .

أما عن وضع الإنسان همه كله في شهوات جسده ، فيقول الرسول " إهتمام الجسد هو موت ، ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله .. فالذين هم في الجسد ، لا يستطيعون أن يرضوا الله " (روا: ٦-٨) .

ويستمر الرسول ، إلى أن يقول :

" إن عشتم حسب الجسد ، فستموتون " .

" ولكن إن كنتم بالروح تميئون أعمال الجسد ، فستحيون " (روا: ١٣) . ففي أي شيء نضع متعتنا ، وبالتالي إهتمامنا ؟ كل شهوات الجسد الحسية تمتع بها سليمان ، في مغالاة شهوية ، إلى أن قال " ومهما اشتتهه عيناى ، لم أمنعه عنهما " (جا: ٢٠) . وماذا كانت النتيجة ؟ .. رأى أن الكل باطل وقبض الريح (جا: ١١) .

* * *

والبعض يهتم بالراحة النفسية ، له وغيره .

حتى لو لم تكن على أساس روحى ...

الأم مثلاً قد تضع في إهتمامها الأول ، أن تكسب محبة إبنها ، وأن تريحه لكى يريحها ، ولو كان على حساب روحياته ...! فتدله ، وتعطيه كل ما يطلب ، وتغطي على أخطائه ، ولا توبخه على خطأ خشية أن تفقد محبته !! وينشأ الولد مدلاً ويفسد ... لأن له لم تضع في إهتمامها أن تقوده في الطريق السليم ، حتى لو غضب حيناً ، حتى لو وقتت ضد إرادته الخاطئة ، ثم تقنعه وتصلحه وتصلحه . إنها إن إهتمت براحة نفسيته ، وليس بروحياته ، ستفقد أبعده ... بل حتى حياته الإجتماعية . لأنه سيخرج إلى المجتمع فلا يجد نفس التذليل الذى اعتاده في البيت ، فيتعب من المجتمع ، أو ينعزل عنه . وتكون التربية المنزلية قد أضرت به نفسياً أيضاً ، ولو بعد حين .

* * *

كذلك قد نهتم بحالة المريض النفسية ، وليس بمصيره الأبدى .

وبألوان كثيرة من الكذب والخداع ، نخفى عنه حقيقة مرضه ، ولا نلمح بخطورة المرض ولو من بعيد ، خوفاً على نفسيته ومعنوياته التى نضعها في قمة إهتمامنا .. إلى أن يفاجئه الموت ، ويموت بدون استعداد ، ويهلك ...

المفروض فى الأمراض الميئوس منها ، أن نعد المريض لأبعده ، بحكمة ...

لست أنصح أن نكاشفه بحقيقة مرضه إن كان لا يحتمل ... وإنما نضع فى عمق

إهتمامنا أن نعدّه روحياً ، حتى إن حدثت معجزة وشفى ... بكل حكمة نقوده إلى الحياة مع الله ، وليس بسبب الخوف من الموت ... إنما بأسلوب إيجابى مؤثر ، وبكل وسائل النعمة المتاحة .

★ ★ ★

كذلك هناك سؤال أساسى ، نعرضه فى موضوع الإهتمام :

هل أنت تركز كل إهتمامك بنفسك ؟

أم تهتم بغيرك ، ولو فضلته على نفسك ؟

ما هو إهتمامك الأول ؟ أهو ذاتك ؟ أم أنت تخرج من دائرة الذات ، تهتم بالآخرين ... إهتماماً من عمق قلبك ، تصل فيه إلى الخدمة والبطء والبذل ، إلى حد بذل النفس أيضاً...

هل تهتم براحتك أم براحة غيرك ؟

وهل فى إهتمامك براحتك ، لا مانع لديك أحياناً أن تبني راحتك على تعب الآخرين... كالأسرة التى تطلب من عائلها طلبات فوق إجماله ، ترهقه وتحرجه وتربكه ، ولا تبالى..!

إن الروحيين والمصلحين جعلوا إهتمامهم الأول يتركز فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

الإهتمام بالأسرة ، بالمعارف والأصدقاء ، بالمجتمع ، بالكنيسة ، بالوطن كله . وبالعالم البشرى كله والمساهمات فى راحته وفى تخفيف أعبائه . وهكذا ظهرت هيئات وجمعيات هدفها إنقاذ الآخرين أو إعانتهم ، من كل ناحية ... مثل الهيئات العالمية للصحة ، ولتربية الأطفال ، ولإنقاذ العالم من الجوع والكوارث والمشكلات الإجتماعية ... كذلك الهيئات التى تعمل على طبع الإنجيل ونشره ، والتى تعمل على نشر الكلمة ... والهيئات التى تجاهد للمحافظة على (حقوق الإنسان) ...

★ ★ ★

السيد المسيح كان كل إهتمامه بالآخرين .

كان " يجول يصنع خيراً " (أع: ١٠: ٣٨) " ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب " (مت: ٤: ٢٣) . يتحنن على الكل ، ويشبع كل حى من رضاه

... يبشر المساكين ، يعصب منكسرى القلوب ، ينادى للمسيبين بالعنق ، وللمأسورين بالإطلاق " (أش ٦١ : ١) ...

وفى نفس الوقت لم يهتم بذاته ، ولم يكن له أين يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) .
لم يهتم المسيح بكرامته لما أغلقت إحدى قرى السامرة أبوابها فى وجهه ، ووبخ تلميذه اللذين طلبا أن تنزل نار من السماء لتهلكها . وقال لهما " لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو ٩ : ٥١ : ٥٦) .
وعلى الصليب كان كل إهتمامه بخلص البشر ، وبالمغفرة حتى لصالبيه ، وبالفردوس للنص اليمين . كما اهتم بأمة القديسة العذراء ، وبتلميذه القديس يوحنا .

* * *

أحياناً يكون إهتمام الإنسان ، أن يصل إلى غرض ما :
وربما لا يكون غرضاً روحياً ، وإنما هو لإثبات الذات ووجودها ، أو (لإرتفاعها) بطريقة ما ...

وفى سبيل هذا الوصول ، لا يهتم بالوسيلة ماذا تكون : روحية أو غير روحية ... لا يهمه أن تكون حياً بشرية أو عالمية ، أو طرقاتاً خاطئة ... تركيز الإهتمام كله فى الوصول إلى الغرض ، حتى لو ضيع هذا الإنسان نفسه ... مثلما فعل آخاب الملك فى الحصول على حقل نابوت اليزرعيلى ، وما فعلته الملكة ايزابل فى سبيل أن يصل زوجها إلى غرضه ، ولو بالجريمة ، والإتهام الباطل لنابوت ، وشهود الزور ... حتى نال كلاهما عقوبة من الله تناسب ذنوبهما (امل ٢١) .

وبالمثل ما فعلته رفقة لكى ينال ابنها بركة أبيه . ومع أن الغرض هنا كان روحياً ، إلا أن التركيز عليه أفقدها الوسيلة الصالحة . فاستخدما أسلوب الخداع (تك ٢٧) .

* * *

وبالمثل قد يهتم خادم آخر أن يملأ عقول سامعيه بالمعلومات ، دون أن يضع إهتمامه فى حياتهم الروحية كيف ينمو .. كل إهتمامه فى المعلومات لا فى الروحيات ... !
أو أب كل إهتمامه أن يلحق أولاده كلاماً من الكتاب يحفظونه . ولا يهتم بالتدريب الروحية التى تعمق صلتهم بالله . والكتاب يقول " افعلوا هذه ، ولا تتركوا تلك " (مت ٢٣ : ٢٣) .

ولعلنا بعد كل هذا ، نسأل بأى شئ يجب أن نهتم ؟ إن ربنا يسوع المسيح يقول فى العظة على الجبل : اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره (مت ٦ : ٣٣) .

ثلاثة مستويات للفضائل والطموحات

هناك ثلاثة مستويات يسلك فيها غالبية البشر من جهة الفضيلة أو الطموحات . وهى
المستوى الفردى ، والمستوى الاجتماعى ، والمستوى الروحى .
قد يختار البعض مستوى واحداً منها ، وقد يجمع البعض بين مستويين . والقليل من
يحسن السلوك فى المستويات الثلاثة . والبعض قد يكون سلوكه فى هذه المستويات أو
بعضها بحكمة ، والبعض قد ينحرف . وسنحاول أن نشرح هذه المستويات ...

المستوى الفردى :

فيه يحاول الإنسان أن يبني ذاته فى فضائل معينة ، أو فى طموحات أو صفات
فاضلة، ترفع مستواه من الناحية الفردية .
كان يهتم بعقله وذكائه وفهمه .
وينمى مواهبه فى ذلك ، أو يعمل على إكتساب مواهب أخرى . وربما يدخل فى
تدريبات عقلية لتنمية الذاكرة ، أو الفهم ، أو الإستنتاج ، أو سرعة البديهة ، أو حل
مشكلات عقلية أو ألغاز لتنمية الذكاء ، أو قوة الملاحظة . فيصير شخصاً لماًحاً ، يدرك
بسرعة ما لا يدركه غيره ، وينظر إلى الأمر الواحد من عدة زوايا، ويعمل حسابات
وتوقعات لكل ردود الفعل لأى عمل يقوم به . وبهذا يكتسب فراسة فى أمور متعددة ...

وقد يهتم الإنسان بثقافته ومعرفته .
فيضيف إلى عقله وذكائه كثيراً من المعلومات والمعارف ، فى كثير من العلوم
والفنون، ويصبح واسع الإطلاع ، له دراية بكثير من الأمور ، سواء من الناحية النظرية،
أو الناحية العملية والخبرة .

وقد يهتم أيضاً بأن تكون له نفسية سوية .

نفسية بعيدة عن الخوف والقلق والإضطراب والتردد والشك ، وما إلى ذلك من الأمراض النفسية . وإن كان فيه شئ من هذا كله ، يحاول أن يحلله ويعرف أسبابه ، ويعالجه حتى لا يقع فيه . بل يصل إلى الصفاء النفسى . وطبعاً فى كل ذلك يمارس الحكمة التى تقول " اعرف نفسك " .

* * *

وقد يهتم البعض برفاهية هذه النفس ومنتعتها .

ويحيط نفسه بكل ما يمكنه من أسباب التسلية والمتعة ، ويحرص أن تكون بريئة، بحيث يقضى وقته فيما يلذّه نفسياً من مصادر الترفيه ، من قراءة وألعاب وموسيقى، وسائر أنواع الفنون التى يمارسها أو يشاهدها . والبعض يجد متعة فى أنواع من الرياضة يتدرب عليها شخصياً ، وقد ينبغ فيها ، أو قد يعجب بأبطالها ، ويجد متعته فى مجرد الفرجة أو تتبع أخبارها .

* * *

وقد يهتم البعض بقوة جسده أو صحته .

ويرى أن العقل السليم فى الجسم السليم ، وأن صحة الجسد تساعد على رفاهية الحياة والبعد عن المرض والألم . وهذا النوع قد يضع لنفسه نظاماً ثابتاً فى الراحة ، لا يتعداه مهما كانت الأسباب ، أو نظاماً فى الرياضة يقوم به يومياً ، أو نظاماً فى التغذية يضبط نفسه فيه إلى أبعد الحدود، وكذلك يتبع نظاماً فى الصحة وفى تقوية جسده .

إن كان رجلاً ، يهيمه قوة جسده وصحته . وإن كانت امرأة ، يهيمها جمال الجسد ورشاقته . وكل من الإثنين يبذل وقتاً من أجل الجسد والإهتمام به .

* * *

وغالبية الناس - من الناحية الفردية - يهيمهم النجاح فى الحياة .

سواء الطالب فى دراسته ، أو الموظف فى عمله ، أو رجل الأعمال فى مشروعاته ، وبالمثل العالم والمفكر . كذلك رب الأسرة يهيمه أن يكون ناجحاً فى حياته العائلية . وصاحب كل مسئولية يهيمه النجاح فى مسئوليته .

ولكن يختلف الناس فى مستوى النجاح الذى يسعون إليه : هل هو نجاح عادى ، أو

متفوق ، أو هو نجاح عبقري له رقم قياسي . كما يختلف الناس أيضاً في طريقة الوصول إلى هذا النجاح .

البعض قد يقيس نجاحه بالمركز الذى يصل إليه فى حياته العملية . والبعض الآخر يقيس نجاحه بمدى إتقانه للعمل الذى يعمله ، مجرداً من عنصر المكافأة عليه ... كل هذا وما يشبهه يدخل فى المستوى الفردى .

المستوى الإجتماعى :

الفضائل التى يمارسها الإنسان على المستوى الإجتماعى ، هى الفضائل التى تُمارس وسط الناس أو فى العلاقات مع الناس . ولها أمثلة كثيرة منها :

١ - فضيلة الإحتمال وعدم الغضب أو الترفزة .

سواء الغضب داخل نفسه من تصرفات تحدث له من آخرين ، أعنى الغضب المكبوت، أو غضب تائر لا يستطيع ضبطه ، ويكون له أثره فى علاقاته مع غيره ، مع ما يصاحب هذا الغضب من أخطاء ومن قرارات لها خطورتها .

* * *

فالإنسان الفاضل على المستوى الإجتماعى يضبط نفسه وقت الغضب . ويحرص على ألا تصدر منه إهانة لغيره أثناء غضبه ، ولا جرح لشعوره . لا بكلمة شتيمة ولا بكلمة تهديد . كما يحرص على ألا يعطى صوته ، ولا يفقد أعصابه . إنما يكون متزناً مالكاً لنفسه ، لا تزعه إساءة غيره ولا تهبط بمستواه . كذلك فى غضبه لا يستخدم العنف الجسمانى ، كالذى يدخل فى عراك يستعمل فيه الضرب واللكم أو ما هو أسوأ من ذلك .

فإن هذا كله يهبط بمستواه الإجتماعى . وبعض الناس - حتى من غير المتدينين - يحترسون جداً ، فلا يهبطون إلى هذا المستوى من الترفزة ، حرصاً على كرامتهم الإجتماعية وسمعتهم وسط الناس .

* * *

٢ - البعد عن الغضب فضيلة سلبية ، تقابلها إيجابياً البشاشة والوداعة . فالإنسان الفاضل إجتماعياً يكون بشوشاً ، له ملامح مريحة تجعل الآخرين يحبونه .

وقد يتصف بالمرح البريء وباللطف وبروح الدعابة ، فيفرح من يختلط به ، وتلذ له عشرته . وتتبسط على جلسته مع الآخرين روح الصفاء والود .
ويتصف بالوداعة وطيبة القلب ، وسعة الصدر في التعامل مع الآخرين . ولا يسمح بأن تتأزم الأمور بينه وبين غيره . وما أسهل أن يرد على إساءة الغير بفكاهة تجعله يبتسم، وينصرف روح التوتر . وهكذا ينطبق عليه الوصف العامي بأنه (إنسان بحبوح) .

وهكس نك كله - من الناحية الإجتماعية - الإنسان النكدى .

الذي يروح النكد يخسر الناس ، ويبعد الآخرون عن عشرته خوفاً من أن يفقدوا سلامهم الداخلي . ومن أمثلة ذلك الزوجة النكدية التى تقابل زوجها بالبكاء والحزن ، والتحقيقات الكثيرة ، والعتاب الشديد على أفعه الأمور ... وبهذا تجعل زوجها يهرب من منزله ، ويفضل قضاء الوقت مع أصدقائه بعيداً عن النكد ...

٣ - من الفضائل الإجتماعية أيضاً التعاون وحسن التعامل وخدمة الغير ...

فهو لا يعيش لنفسه فقط ، إنما يكون خدوماً ، يساهم مع الآخرين فى أمورهم ، ويتعاون معهم . ولا يدخل فى مشاكل مع أحد ، ويتحاشى كل ما يضر بالغير . بل يجدون فيه حسن التعامل ، فيطمئنون إليه ويحبونه ، ويتبادلون معه نفس الروح والأسلوب . ويرتبط بالصدقة مع كثيرين .

٤ - ومن الفضائل الإجتماعية ما يتعلق باللسان والكلام .

طبعاً فضائل اللسان لا تكون إطلاقاً على المستوى الفردى ، لأن الكلام يكون مع الآخرين . والكلام له خطورته كما قال الرب " بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان " (مت ١٢: ٣٧) . فإنسان بكلامه يدخل نفسه فى مشاكل ، وتكرهه الناس أو تتحاشاه . وإنسان آخر له الكلمة الحلوة التى تجذب الناس إليه . فهو اللسان النقى ، الذى لا يجرح ولا يجرح ...

ومن فضائل اللسان : الصدق .

فالإنسان الصادق هو موضع ثقة الناس ، يطمئنون إلى صحة كلامه وشهادته ، وإلى صحة ما ينقله من أخبار ، وبخاصة إذا كان يتصف بالدقة التامة ويعدم المبالغة . أما

الكذب فيفقد ثقة الآخرين ، وبخاصة إذا إنكشف ، فصار يغطى كل كذبة بقولها بكذبة أخرى . والكاذب يفقد إحترام الآخرين ، مهما كان مركزه . بينما الإنسان الصانع يحترم الناس شخصيته ، كما يحترمون كلمته .

* * *

ومن فضائل اللسان أيضاً عفة الكلام .

فهناك ألفاظ لا يستطيع الإنسان العفيف أن ينطق بها ، إن كانت خارجة عن حدود الأدب أو الذوق ، أو تخدش مسامح الآخرين .

ولذلك فالإنسان الفاضل إجتماعياً يكون مهذباً فى ألفاظه ، ينتقيها إنتقاء .. حتى إن تحدث عن شئ ردى ، ينتقى اللفظ الهادئ غير المكشوف غير الجارح . ومن أمثلة ذلك قول السيد المسيح للمرأة السامرية " كان لك خمسة أزواج . والذي لك الآن ، ليس هو زوجك " (يو: ٤ : ١٨) . وكلمة الرب هنا لها عمقها الإجتماعى ، وعمقها الروحى أيضاً ... وعفة اللسان أيضاً ، تبعد عن الألفاظ الجنسية ، وعن الفكاهات الرديئة ، وعن الشقمة والسباب ، وعن التشهير ومسك سيرة الآخرين ، وتبعد عن ألفاظ المجون ، وعن تناول الآخرين بالتهكم والحط من قيمتهم ...

كل هذه يبعد عنها الإنسان الإجتماعى الفاضل ، حتى لو لم يكن متديناً .

* * *

والإجتماعى الفاضل تكون لسانه أيضاً إيجابيات .

فالذى يستمع إليه ، يستفيد من علمه ومعرفته ، بل ومن أسلوب كلامه أيضاً . وهو لا يضيع وقت غيره فى ثرثرة ، ولا يتحدث فى أمور ليست من تخصصه ، بل يقول الكلمة المتزنة ، الكلمة الموثوق بها التى لها مراجعها ، والكلمة التى تضيف إلى سامعه نفعاً يحتاج إليه ، ربما وصل إليه المتكلم بعد دراسة وفحص وتحقق ...

* * *

• - ومن الفضائل الإجتماعية أيضاً : العطاء ، والشفقة ، والإخلاص .

كما لو كان هذا الإنسان الإجتماعى كل من يقابله يأخذ منه شيئاً .. إن لم يكن نفعاً مادياً ، فعلى الأقل يدرك أنه يشعر به وباحياجاته ، ويحس ظروفه ويتعاطف معه فى إشفاق . ويعامله بكل إخلاص .

ونحن نرى أن المؤسسات الإجتماعية هدفها هو الإشفاق على الناس ، وسداد

إحتياجاتهم ، ووسيلتها العطاء باستمرار ، فى غير إحراج ، وفى غير بخل وتقتير ...

٦ - كذلك فالإنسان الإجتماعى الناجح هو إنسان عادل منصف .

يعطى كل ذى حق حقه ، لا يظلم أحداً ، ولا ينحاز إلى أحد ضد أحد . بل يكون منصفاً فى كل أحكامه ومعاملاته . ويأخذ حق الآخرين حتى من نفسه . ولا يمكن أن يرتفع على حساب غيره ، أو يرتاح على تعب غيره . وهو مستعد أن يعتذر لأى إنسان له حق عليه ، وينصفه ويعطيه حقه . بهذا يكون محترماً ومحبوياً ...
ما أكثر الفضائل الإجتماعية التى ترتبط بالتعامل . ولكن هناك صفة ترتبط بالشخص الإجتماعى نفسه وهى :

٧ - الإنسان الإجتماعى الناجح ، ينصف بالنشاط والحيوية .

فلا يكون أبداً خاملاً فى المجتمع الذى يعيش فيه . إنه هو شعلة من نشاط ، أينما حلّ ساء المكان حركة وبركة . وكل مسئولية يقوم بها ، يظهر فيها إتجاهه وإنتاجه . ويشعر الكل أنه دائماً يعمل ، لا يكسل ولا يبحث عن راحته بقدر ما يبحث عن نجاح العمل . وهكذا يعجب الناس بحيويته ، فيصبح موضع ثقة فى كل ما يتولاه من مسئوليات ، ويرشحونه لمسئوليات أكبر .

نتنقل بعد هذا إلى المستوى الروحى :

المستوى الروحى :

وهو يختص بالقلب ونقاوته . وبالروح ومدى علاقتها بالله .

غير أن البعض قد يهتم فى حياته الروحية بعلاقات خارجية مع الله فى الصلاة والصوم ، وقراءة الكتاب المقدس ، وحضور الكنيسة وممارسة أسرارها ، مع بقاء القلب بعيداً لا صلة له بالله ، ولا مشاعر حب ، ولا حتى مشاعر خشوع . بل ينطبق عليهم قول الرب :

" هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (أش: ٢٩ : ١٣) (مت: ١٥ :

. (٨

هذا الوضع رفضه الرب في العهد القديم أيام أشعيا النبي (اش ١: ١١-١٦) . وأيضاً هذه المظاهر الزائفة رفضها السيد المسيح من الكتبة والفريسيين المرائين ، الذين " لعة يطيلون صلواتهم " (مت ٢٣: ١٤) . وقال عنهم إنهم " مثل قبور مبيضة: تظهر من الخارج جميلة، وهي من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة " (مت ٢٣: ٢٧) .

* * *

وهذا النوع الذى يهتم بالمظاهر ، ربما يركز إهتمامه فى الخير الخارجى ، إما لمجرد أن يكون قدوة لغيره ، أو لينال مديحاً من غيره ، أو لكى يبعد عن نقد الناس ، ولا يكون عثرة لهم ... بينما محبة الخير ليست فى قلبه !! مثل الذى يقدم إحساناً لفقير ، ومحبة الفقير ليست فى قلبه ولا أيضاً محبة الإحسان ... أو مثل الذى يصوم فى شكلية الصوم دون روحانيته ، وتظهر محبة الطعام أثناء صومه - بأنواع وطرق شتى ... هذه المظاهر التى تأخذ شكلاً روحياً ، ليست هى المستوى الروحى الذى نعنيه ...!

* * *

إنما المستوى الروحى يتركز فى محبة الله ، ومحبة الخير ، ومحبة الناس محبة عملية .

هذا هو المستوى الذى يصلى فيه الإنسان فى حب لله، وفى خشوع قدامه، وبكل حرارة ويكل إيمان . كما يقول المرتل فى المزمور " محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى " (مز ١١٩) . ويقول له أيضاً " كما يشواق الإيل إلى جداول المياه ، كذلك اشتاقت نفسى إليك يا الله " (مز ٤٢: ١) . " عطشت نفسى إليك " (مز ٦٣: ١) .

وهو حينما يصوم ، يكون ذلك زهداً فى الطعام ، وليس مجرد إمتناع عنه . فتصوم نفسه كما يصوم جسده ، ويرتفع عن مستوى المادة لكى تسيح روحه فى الإلهيات والسمويات .

* * *

وهذا المستوى الروحى تكون العبادة فيه مجرد ثمرة للإيمان الذى فى القلب . ولا يكتفى الإنسان فى هذا المستوى بالعبادة ، بل تكون له ثمار الروح أيضاً " (غل ٥: ٢٢) ، (٢٣) .

نقول ذلك لأن البعض يظن أن الروحيات هى مجرد الصلاة والصوم والكنيسة .

وينمى ما قاله الرسول " ثمر الروح : محبة فرح سلام ، طين أنسة ، لطف ، حياء ، إخاء ، إيمان ، وداعة ، تعفف " (غل: ٥: ٢٢، ٢٣) ... هذه الثمر هي تعبير عن الإيمان الحى . لأنه كما يقول السيد الرب " من ثمارهم تعرفونهم " (مت: ٧: ٢٠) لأن كل شجرة جيدة لا بد تصنع ثمرأ جيداً .

* * *

والمستوى الروحى هو حياة القداسة التى تنمو حتى تصل إلى حياة الكمال . ولا تقتصر محبتها لله على ذاتها ، بل تنشر محبته أيضاً وسط الآخرين . وإذا وصل الإنسان إلى المستوى الروحى ، يأخذ عنده المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى معنى أعمق ... فيصبح المستوى الفردى عنده من أجل ملكوت الله . ويصل به الإهتمام بالذات إلى بذل هذه الذات . ويضع أمامه قول السيد الرب " من وجد نفسه يضيعها . ومن أضاع ذاته من أجلى يجدها " (مت: ١٠: ٣٩) .

* * *

والمستوى الروحى أيضاً يعطى المستوى الاجتماعى طابعاً روحياً . يكون الشخص الروحى فى المجتمع ، إنساناً خدوماً عن حب ، يتعاون مع الكل ولكن فى كل ما هو خير وير . ويعطى كل من يقابله حباً روحياً ، وأمثلة طيبة ، ومعونة بكل كرم بل وبكل بذل ، وفى الخفاء أيضاً . ويكون محترماً من الكل لنقاوة قلبه وعفة لسانه ، ليس لطلب مديح من الناس وإنما لأن " الرجل الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات " (مت: ١٢: ٣٥) .

* * *

المستوى الروحى هو المستوى العالى الذى يمهد له المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى . فيعلو فوقها دون أن يلغوها ، بل يمنحها مسحة من روحانيته .



الروحانية والمقارنة بالمستوى النفساني والمستوى الجسدي

الروحانية هي أولاً سلوك بالروح .

وقد ورد الكثير عن هذا الأمر في رسالة بولس الرسول إلى رومية إذ قال " لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح " (رو ٨ : ١). وقال أيضاً " فإن الذين هم حسب الجسد ، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ، فيما للروح (يهتمون) . لأن إهتمام الجسد هو موت. ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله .. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله .

* * *

إذن الروحانية هنا هي إرتفاع عن مستوى السلوك بالجسد .

هنا وأحب أن أقول لكم إن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر : الروح والنفس والجسد. وقد وضع القديس بولس هذا الأمر، حينما قال في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي " إله السلام نفسه يقدسكم بالتمام. ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم ... " (١ تس ٥ : ٢٣) .

* * *

إن الإنسان يتكون من روح ونفس وجسد . وهنا نقول إن الإنسان الروحاني لا يسلك حسب الجسد ولا حسب النفس . السلوك حسب الجسد واضح جداً للجميع ... كالإنسان الذي يسلك في شهوات الجسد كشهوة الزنى، أو شهوة الطعام ، أو شهوة الملابس .. إلخ . ولكن ماذا إذن عن السلوك النفساني؟ نقول أولاً :

* * *

لقد حارب الآباء الرسل السلوك النفساني وأدانوه .

فالقديس يهوذا الرسول يقول في رسالته " إنه في الزمان الأخير سيكون قوم مستهزئون

سالكون بحسب شهوات فجورهم . هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم " (١٨٩، ١٩) . لاحظوا إذن قوله :

نفسانيون ، لا روح لهم .

هؤلاء " سالكون بحسب شهوات فجورهم " . ولعله يفهم من هذا أن شهوات الجسد تقودها عوامل نفسانية خاطئة ، بعيدة عن إتجاه الروح ...

* * *

والقدّيس يعقوب الرسول يفرق بين الحكمة الإلهية ، وحكمة أخرى يقول عنها إنها ليست نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية " وإنها تسبب الغيرة المرة والتحزب والتشويش وكل أمر ردي (يع: ٣: ١٤-١٦) ... لاحظوا أن وصف نفسانية يرتبط أيضاً بعبارة " أرضية شيطانية " .. ما أصعب هذا الوصف ...

ربما هذا التفصيل غير مستخدم كثيراً . فالناس غالباً ما يتحدثون فقط عن السلوك الروحاني ، والسلوك الجسدي . ونادراً ما يتحدثون عن السلوك النفساني الممقوت ...

* * *

الإيمان للنفساني تقوده النفس وغرائز النفس وعقلية النفس ومشاعرها بدون

روح

وهذا أمر فيه أخطاء وخطايا كما سنرى .

والإنسان الجسداني تقوده شهوات الجسد ورغباته .

فماذا إذن عن الإنسان الروحاني ؟

* * *

الإيمان الروحاني يتصف بصفتين وهما :

١ - ينتصر على الجسد وعلى النفس ، ويسلك حسب الروح .

٢ - الصفة الثانية أن روحه تخضع لروح الله ...

يوجد إنسان في داخله صراع بين شهوات الجسد وشهوات الروح (غل: ٥: ١٦، ١٧) . أما الروحاني فقد خضع فيه الجسد تماماً للروح . ولكن هذا وحده لا يكفي ، لأن أخطاء الإنسان ليس سببها فقط شهوات الجسد . فهو قد يخطئ بروحه وحدها .. ولا تتعجبوا من هذا فالشيطان روح ، ومع ذلك فقد أخطأ . فهو روح متمردة وروح شريرة .

والكتاب يتحدث كثيراً عن الأرواح الشريرة .

والسيد المسيح أعطى تلاميذه سلطاناً على إخراج الأرواح تشريرة ، أى أرواح الشياطين . إذن ممكن أن الأرواح تخطئ . وممكن أن الإنسان يخطئ بروحه ...

* * *

أما الإنسان الروحي ، فإنه لا يخطئ بروحه ، لأن روحه خاضعة تماماً لروح الله ...
إن الإنسان الروحي : نفسه وجسده يخضعان لروحه، وروحه تخضع لروح الله .
ولذلك نقرأ فى الرسالة إلى رومية عبارة جميلة جداً وهى " لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أولاد الله " (روم : ٨ : ١٤) . هؤلاء هم الروحانيون ، الخاضعون لروح الله . الذين يقودهم روح الله ، وهم طائعون لقيادة روح الله . ولكي تتقاد بروح الله ينبغي أن يكون روح الله ساكناً فيك .

* * *

من أجل هذا ، جعل الله روحه يسكن فينا .
فقال الكتاب " أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم " (١كو٣ : ١٦) .
وروح الله الذى فيك يعطى روحك معرفة، ويعطيها إرشاداً . يقودها فى الطريق ..
يخبرها على خطية، ويحثها على الخير، ويذكرها بكل ما قاله الرب ويعلمها كل شئ
يو١٤ : ٢٦) .

* * *

لذلك الكنيسة تمنحك المسحة المقدسة ، مسحة الروح .
وعن هذه المسحة تحدث القديس يوحنا الحبيب مرتين فى رسالته الأولى ، فقال " وأما أنتم فلستم مسحة من القديس وتعلمون كل شئ " وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه،
ثابتة فيكم " (١يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) . ونحن ننال هذه المسحة فى سر الميرون المقدس .
وكانوا ينالونها فى بداية العصر الرسولى بوضع اليد .

* * *

إننا نعتمد على قيادة روح الله لك ، وليس على الحكمة البشرية وحدها ...
الحكمة البشرية وحدها هى جهالة عند الله (١كو٣ : ١٩) . وقد شرح القديس بولس الرسول هذا الأمر بعمق شديد وتفصيل ، فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، فى الإصحاح الثانى ...

أمثلة للمستويات الثلاثة :

الشهوة

هناك شهوات للجسد والنفس والروح .

شهوة الجسد هي الخطيئة كشهوة الحواس ، وشهوة الزنى، وشهوة البطن .
وشهوة النفس أحياناً تكون نوعاً من الذات وحب النفس. ولنضرب مثلاً في كل ذلك
بسليمان الحكيم .

لقد سلك في هذه الشهوات فقال " مهما اشتتهته عيناى ، لم أمنعه عنهما " (جا ٢: ١٠) .
وشرح تفاصيل ذلك فقال " بنيت لنفسى بيوتاً . غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات
وفرايس ، وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر . عملت لنفسى برك مياه . فنييت عبيداً
وجواري .. جمعت لنفسى خضة وذهباً .. اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات وتعمات بنى
للشهر سيدة وسيدات " (جا ٢: ٤ - ٨).

* * *

هنا شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وشهوات باقى الحواس .. هذه هي شهوة
الجسد ، ووجدتها باطلّة وقبض الريح .
وماذا إذن عن شهوات النفس ؟ يقول " لم أمنع قلبى من كل فرح . لأن قلبى فرح بكل
تعبى . وهذا كان نصيبى من كل تعبى... " ... وهنا نقول :
فرح سليمان بكل غناه وشهوات جسده كان فرحاً نفسانياً .
ولم يكن فرحاً روحياً على الإطلاق . فما هو الفرح الروحى .

الفرح

الفرح النفسانى ، هو فرح بشهوات الجسد ، كما فرح سليمان بكل متعه وغناه . أما
فرح الروح فهو الذى يقول عنه الكتاب :
" افرحوا فى الرب كل حين ... " (فى ٤ : ٤) .
الفرح بالرب هو فرح روحانى .

تفرح لأنك عرفت الله ، تفرح لأن لك صلة بالله وعشرة ، تفرح بسكنى روح الله فوق وإرشاده لك . تفرح لأنك نلت مذاقة الملكوت ، تفرح لانتصار روحك التى حررها الله (يو: ٨: ٣٦) . تفرح لأنك استطعت أن توصل الناس إلى الله .

تقرأ عن فرح سليمان فى (جا ٢) . فلا تجد إسم الرب إطلاقاً!! إنه فرح بالجنات والفرانيس ، والشجر ، والبقر ، والذهب ، والفضة ، والسيدات والمغنيات .. وليس بروحه وصلة روحه بالله. إنه مجرد فرح نفسانى ، باطل وقبض الريح .. لهذا نحن نفرق فى أمور الفرح بين تعبيرات عديدة مثل اللذة (وهى خاصة بالجسد والحواس) ، والسرور ، والفرح (وبعضها خاص بالنفس والآخر بالروح) .

تلاميذ المسيح وقعوا أحياناً فى الفرح النفسانى .

إنه فرح ليس من نوع فرح سليمان ، بل هو نوع أرقى منه ، ولكنه مرفوض أيضاً . رجع السبعون إلى الرب فرحين ، بعد إرساليتهم التبشيرية، وقالوا له " حتى الشياطين يارب تخضع لنا بإسمك" (لو ١٠: ١٧) فوبخهم الرب على هذا الفرح النفسانى ، وقال لهم "لا تفرحوا بهذا، إن الأرواح تخضع لكم. بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى السموات" (لو ١٠: ٢٠) . وهكذا فرق الرب بين نوعين من الفرح : نوع وبخ عليه ، ونوع دعا إليه .

مثال آخر وهو فرح البعض بموهبة الألسنة وما يشابهها .

إنه فرح بشئٍ بمجده أمام الناس ويرفع شأنه !! يريد أن يتعظم على حساب مواهب الله... وكان الأفضل أن يهتم بنقاوة قلبه وإمتلاء القلب بثمار الروح . وفى ذلك قال الرسول " لو كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، وليس لى محبة ، فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن " (١كو ١٣) .

إن افرح بثمار الروح ، أكثر مما تفرح بالمواهب .

ثمار الروح التى هى " محبة وفرح وسلام ، وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف" (غل ٥: ٢٢، ٢٣) . وهذه توصلك إلى الملكوت بينما المواهب والآيات

والرؤى ربما لا توصل !.. يقول السيد الرب :
كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب ، أليس بإسمك تتيانا وبإسمك
أفرجنا شياطين، وبإسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرح لهم: إبنى لم أعرفكم قط .
أذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .
قيل عن القديس يوحنا المعمدان ، إنه لم يصنع أية واحدة (يو ١٠ : ٤١) . ومع ذلك
شهد له الرب إنه أعظم من ولدته النساء (يو ١١ : ١١) . وفى التبشير بمولده قيل عنه إنه
من بطن أمه بمتلى من الروح القدس " (لو ١ : ١٥) . فلا تفرح إذن بالآيات .

* * *

القديس بولس الرسول خفف من كثرة الرؤى والإستعلانات .
لأنها خطيرة ، ربما ترفع قلبه . وذلك قال " ولنلا أرتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت
شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليظمنى لئلا أرتفع " (٢كو ١٢ : ٧) . وصلّى ثلاث
مرات أن يرفع الله عنه هذه الضربة ، ولم يقبل صلاته فى ذلك ...

* * *

لم يعقوب ويوحنا الرسولين وقعت فى الفرحة النفساني الباطل .
فجاءت إلى السيد الرب تطلب إليه أن يجلس أحد إبنها عن يمينه ، والآخر عن يساره
فى ملكوته (مت ٢٠ : ٢٠ ، ٢١) . ولكن الرب لم يشأ أن يكون لها فرح بالعظمة ، بل أن
يكون لإبنها فرح بالألم. فقال لهما " لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس
التي أشربها ، وأن تصطبغا بالصبيغة التي أصطبغ بها " (مت ٢٠ : ٢٢) .
واستجاب الرب لطلبه هذه القديسة ، فكان إبنها أول الشهداء من الرسل الإثنى عشر
(أع ١٢ : ٢) ، وجلس مع الرب عن يمينه ..

* * *

حقاً إن الفرحة بالألم هو جزء من الفرحة الروحي .
ولذلك بعدما سجنوا للتلاميذ وجلدوهم ، يقول الكتاب عنهم " وأما هم فذهبوا فرحين ،
لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه" (أع ٥ : ٤١) .
ويقول القديس بولس الرسول " لذلك أسرّ بالضعفات والشكائم والضرورات
والإضطهادات لأجل المسيح" (٢كو ١٢ : ١٠) .. وهكذا كان سرور الشهداء والمعترفين
القديسين بملاقة العذابات والموت. إنه فرح روحاني .

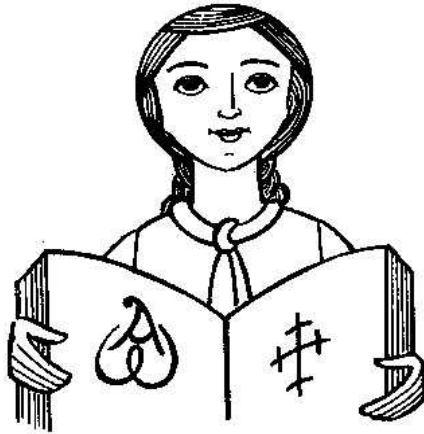
ولعل من الأمثلة البارزة تلك القديسة العظيمة التي نجوا أبناءها الخمسة على حجرها
وهي تشجعهم على الإستشهاد ، لكي يفرحوا مع الرب في ملكوته. وهي أيضاً فرحت
باستشهادهم .

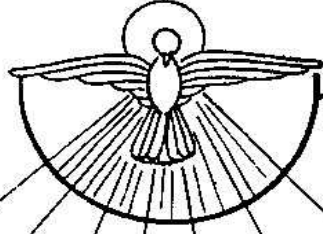
* * *

إن الذي يفرح بأن ينال موهبة المعجزات والآيات ، هو ما يزال في مستوى الفرحة
النفسانية . أما الفرحة الروحانية، فهو الفرحة بالرب وليس بمواهبه ، وما تجلبه المواهب
من عظمة ..

* * *

إن المستوى الروحي ، والمستوى النفساني ، والمستوى الجسداني يمكن تطبيقها على
كثير من المشاعر والأعمال ، وعلى كثير من إتجاهات البشر وأعمالهم .
ولكننا ذكرنا ما ذكرناه كمثال .. والأمثلة كثيرة ...





البَابُ الثَّالِثُ

تفصيل

حَوْلَ حَيَاةِ الْفَضِيلَةِ

تأثير حياة الفضيحة بالقراءة والسمع وبافتى الحواس

الفكر والحواس

فكر الإنسان أمر هام في حياته الروحية ،
والفكر ينبع من مصادر ، ويصب في أخرى .
وحواس الإنسان هي من منابع الفكر .

وما يقرأه أو يسمعه يولد له أفكاراً . وما يراه أيضاً ينشغل به العقل والفكر .. الحواس
توصل للعقل أفكاراً . وما يفكر فيه العقل ، يوصله إلى القلب كمشاعر وأحاسيس . وما
أسهل أن مشاعر القلب تصل إلى الإرادة ، ومنها إلى العمل ...

* * *

الحواس لا تؤثر على العقل الواعي فقط ، إنما على العقل الباطن أيضاً .
ما تجمعها العين والأذن ، من مناظر وسماعات وقراءات ، كثيراً ما تنطبع - حسب
عمقها - في العقل الباطن . وتظهر فيما بعد كأحلام أو ظنون أو أفكار أخرى . لأن الفكر
يولد فكراً ، أو أفكاراً كثيرة . والعقل دائم العمل لا يتوقف ...

* * *

حسب الغذاء الذي تقدمه للعقل ، تكون أفكاره ...
قد تجلب له الحواس أفكاراً خيرة ، وقد تجلب له أفكاراً شريرة .. وحسب نوعية
الوقود ، تكون النار ... فاحرص على حواسك ، لتضمن سلامة فكرك . واسأل نفسك أى
نوع من الفكر يدور في عقلك ؟ أهو فكر روحى ، أو فكر خطية ، أم فكر تافه ، من أمور
العالم الزائلة ؟؟

* * *

والكنيسة تستخدم الحواس كواسطة روحية :

تجدد في الكنيسة الأيقونات مثلاً . تقف أمام الأيقونة وتتأملها ، فتأتيك أفكاراً عن حياة صاحبها ، وقداسته وجهاده وآلامه .. نسمع عن المهاتما غاندى أكبر زعيم روحى للهند: أنه عندما زار فرنسا ، وقف أمام أيقونة السيد المسيح المصلوب وبكى ...

الكنيسة أيضاً تقدم للحواس الألمان والموسيقى ، ولها تأثيرها في القلب والفكر . وتقدم البخور، وهو مساعد إلى فوق برائحة زكية . وتقدم للعين أيضاً الملابس الكهنوتية البيضاء، والشموع المضاءة ، وتحركات الكهنة والشمامسة ، ومناظر الوقوف والركوع والسجود ... وكل ذلك يجلب للعقل أفكاراً ، وللقلب مشاعر وأحاسيس ... وهكذا مع باقى الطقوس الكنسية ...

وبالإضافة إلى هذا القراءات ، وتأثيرها :

القراءات

القراءات تؤثر كثيراً في حياتك وشخصيتك .

* يمكن أن تغرس في النفس مبادئ وقيماً ، حسب نوعية القراءة . فالشاب الذى يقرأ كثيراً عن الحرية ، تغرس فيه أفكار غير الذى يقرأ عن الواجبات والالتزام والتضحية . والذى يقرأ عن النمسك والزهة والموت عن العالم ، تكون أفكاره غير الذى يقرأ عن الغيرة والعمل والحماس والجهاد ... إن القراءة يمكنها أن تشكل شخصية الإنسان.

* كذلك القراءة توسع الفكر ، وتعمق مفاهيم معينة ، وتزيد المعارف. وما أصدق شاعر الذى قال عن القراءة في التاريخ :

ومن وعى التاريخ في صدره
أضف أعماراً إلى عمره

* * *

* القراءة تستطيع أن تبعد الفكر عن التوافه .

فالمراة التي لا تقرأ ، ربما لا تعرف سوى الحديث عن الطبخ والملابس والحفلات وأخبار الناس ، بعكس المراة المثقفة التي تجيد الكلام في موضوعات لها عمق .. وبالمثل الرجل الذى لا يعرف سوى المقهى والنساذى ودور اللهو ، تكون شخصيته سطحية، وأحاديته بلا نفع أو قد تضر، وعلى عكسه الرجل الذى يقرأ ويدرس ويتقف نفسه ...

ولهذا نحن نفرح بتعليم المراة ، ونحث الناس على القراءة حتى الأطفال .. ونشجع

على تكوين المكتبات . ونطلب من الآباء والمرشدين أن
التي تفيدهم والتي تناسبهم .

* * *

★ الكتب النافعة تؤثر على الروح ، وتقودها إلى الله .

ولا ننسى مطلقاً كيف تأثر أوغسطينوس بقراءته لحياة القديس الأنبا أنطونيوس .
وقادته إلى التوبة . كذلك تأثر الناس بعظات القديس يوحنا ذهبي الفم ، وأشعار مارافرام
السرياني . والروحانيون إذا قرأوا كتباً روحية ، يرتفع مستواهم ويزداد عمقهم بما يقرأون .
المهم أن الناس يتخبروا ما يصلح للقراءة وما ينفع .

* * *

★ والقراءة تمنح العقل لونا من النمو والنضوج .

فهى تشرح للعقل موضوعات ما كان يعرفها ، وتناقش معه أفكاراً ربما كان يتقبلها
بالتسليم ، فأصبح يدخلها فى نطاق الحوار .

وما كنا نقوله منذ سنوات عن مراحل السن عند الأطفال ، تغير حالياً عن ذى قبل
تغيراً كبيراً جداً ، بقدر ما يقدمه المجتمع للطفل والشباب من معلومات ، وما يقدمه أيضاً
لرجل الشارع . ويزداد المطبوعات سواء فى الكتب أو الجرائد أو المجلات ، تغير الفكر
عن ذى قبل ، بحسب نوعية القراءة ونوعية الثقافة ...

* * *

مستوى المعرفة قد ازداد . ولكن أية معرفة ؟

حسب قراءاتك تكون معرفتك ، وحسب معارفك تتأثر حياتك . فما هو نوع قراءاتك؟
أقصد القراءة الأكثر والأعمق؟ هل هى القراءة العلمية والمعارف العامة؟ أم القراءة فى
السياسة والاقتصاد والأخبار ؟ أم القراءة عن الجرائم والأحداث والإتحافات؟ أم القراءة
فى العقيدة والإيمان؟ أم القراءة فى الروحيات ؟ أو فى النسك أو فى سير القديسين ... ؟

* * *

ما تقرأ سيؤثر فيك ، ويدفع حياتك فى إتجاه معين .

لا تقل أنا لا أتأثر ، فقد تأثرت عقليات جبارة جداً .

مثال ذلك أوريجانوس ، أعظم عالم لاهوتى فى القرن الثالث ، وعلى مدى قرون
كثيرة، تأثر بقراءاته الفلسفية، وتأثر بالأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة . وظهر ذلك

واضحاً في كتابته عن الأرواح ، وعن الوجود السابق لها . وتأثره في كلامه حتمً عن الملائكة ، وعن الخلاص ، والحياة الأخرى ... وحرمته الكنيسة ، وحرمته مجامع ...!!

* * *

وكثيرون ممن قرأوا كتباً غريبة أو غريبة ، تأثروا بها .
وظهر هذا التأثير واضحاً في أفكارهم .. سواء الذين انحرفوا نحو طوائف أخرى ، أو الذين تأثروا بالقراءات الفلسفية ، أو كتب الشيعوية والإلحاد ، أو بكتب أخرى تغرس الشكوك ، كالذين قرأوا كتب شهود يهوه ، أو كتب السبتيين وأمثالهم ...
ومن هذا النوع كثيرون ، أذكرهم وأنا بالكِ كما قال الرسول ولعل في مقدمتهم شخص كان الأول على كلية اللاهوت ، ثم وضع كتاباً عنوانه " الإنسان هو الذى خلق الله على صورته " !!

* * *

لهذا كله كانت الكنيسة تحرم كتب الهرطقة :
لا تحرم الهرطقة فقط ، وإنما كتبهم أيضاً ، وتأمراً بحرقها . وهكذا قيل في سفر أعمال الرسل " وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر ، يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع " (أع: ١٩ : ١٩) .
لهذا كله ينبغي تنقية المكتبات في الكنائس ، حرصاً على أفكار القراء وعلى إيمانهم .
ليكون القراء تحت إرشاد .

ومن يعرض - على سبيل نشر المعرفة - فكرياً خاطئاً ، ينبغي في نفس الوقت أن يقدم الرد عليه ، ويكون الرد قوياً .. كذلك من يتعرضون للنقد الكتابي Biblical Criticism لابد أن يكونوا على مستوى القوة في مناقشة الأفكار .

* * *

هناك أمثلة كثيرة للمعرفة الخاطئة المضللة :
ولعله بسببها قال الحكيم في سفر الجامعة إن الذى يزداد علماً ، يزداد غمّاً (جا : ٨) .
يقصد العلم بأشياء تضر أو تشكك أو تتعب الفكر . ولعله عن تلك المعرفة الضارة قال إفسثوس الوالى للقديس بولس الرسول " الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان " (أع: ٢٦ : ٢٤) .
طبعاً كان يظلم القديس . فهذه العبارة ما كانت تنطبق عليه . ولكنها يمكن أن تنطبق على غيره .

الهدف من القراءة

- ★ هناك من يقرأ لمجرد الرغبة في المعرفة .
 - ★ ومن يقرأ للدراسة ، وللبحث عن الحقيقة .
 - ★ وهناك من يقرأ مقررات مفروضة عليه كالطلبة في الجامعات والمدارس، وذلك لكي ينجحوا ويحصلوا على شهادات .
 - ★ نوع آخر يقرأ للتسلية وللمتعة ، كمن يقرأ قصصاً وحكايات .
 - ★ وآخر يقرأ للتدريب على الذكاء ، كمن يقرأ الألغاز لحلها .
 - ★ نوع آخر يقرأ لإشباع شهوة معينة في نفسه .
 - ★ وآخر يقرأ لمعالجة نفسه من شهوة أو من فكر ضاغط ، وذلك باستبداله فكر بفكر، لعل قراءته تنقله إلى جو آخر من التفكير ، وتخلصه من أفكاره التي تتبعه ، أو من الشهوات التي تضغط عليه ، أو تقيم توازناً في فكره .
 - ★ وهناك من يقرأ للهروب من الفراغ أو لقتل الوقت .
 - ★ ومن يقرأ للتعلم في العقيدة والإيمان ، أو لتدريس ما يقرأه للغير .
 - ★ ونوع آخر يقرأ لبناء نفسه ، وللتفوق على غيره في المعرفة .
 - ★ والنوع الأسمى هو الذي يقرأ لفائدته الروحية ، لكي تكون القراءة له روحاً وحياة
- كما قال الرب عن كلامه (يو: ٦: ٦٣) .
- فمن أي نوع أنت ؟ وهل تستفيد روحياً من قراءتك ؟

كيف تقرأ ؟

- ★ أولاً إقرأ بفهم ، وبفحص ، ولا تعتق كل ما تقرأ .
- فكثير من الناس يقبلون كل ما يقرأون باقتناع تلقائي ، دون دراسة ودون تفكير، كما لو كان مكتوباً بوحى !! أما أنت فضع أمامك قول القديس بولس الرسول " امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن " (١ تس: ٥: ٢١) . وأيضاً قول القديس يوحنا الرسول " لا تصدقوا كل روح . بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله ؟ " (١ يو: ٤: ١) . وأعرف أن " الحكيم عيناه

في رأسه ، أما الجاهل فيسلك في الظلام " (جا ٢ : ١٤) . لذلك لا تقبل كل شيء . وحبذا لو
أنك وزنت كل ما تقرأه في ضوء كلمة الله التي تحكمك للخلاص (٢تى ٣ : ١٥) .

★ ولا تنشر كل ما تقرأه ...

لأن البعض لا يكتفون بتأثرهم بأفكار معينة ، بل يتحمسون لها بالأكثر لدرجة أنهم
ينشرونها في كل المحيط الذي يعيشون فيه وربما يكونون بذلك عثرة لغيرهم من جهة

★ ولا تعجب بكل جديد مما تقرأ .

لهم أن هذا الجديد لا يتعارض مع المسلمات القديمة الثابتة في الكنيسة التي تسلمناها
من الآباء القديسين . والكتاب يأمرنا قائلاً " لا تتقل النخم القديم الذي وضعه آباؤك " (أم ٢٢ : ٢٨) (أم ٢٣ : ١٠) . وهنا تبدو الأصول القوية في الكنائس التقليدية التي تحافظ
على الإيمان المسلم من القديسين (يه ٣) فلا تضيف إليه ما يتعارض معه ...

★ ولتكن قراءتك باتضاع ...

لأنه أحياناً " العلم ينفخ " (١كو ٨ : ١) كما قال الرسول :
وكثير من الناس يرتفع قلبهم بقراءاتهم ، ويرون أنهم صاروا أعلى فكرياً وأوسع عقلاً
من الآخرين . فينتفخون ، ويتعالون على غيرهم ، ويصفون الغير بالجهل . وتكون لهم
المعرفة مجالاً للافتخار . ويفقدون إتضاعهم حتى في حديثهم مع من هم أكبر منهم .

السماعات

أنت تسمع كثيراً ، في الاجتماعات العامة والخاصة ، وفي محيط الأصدقاء والأصدقاء
والمعارف . وتسمع من وسائل الإعلام: الراديو، والتلفزيون، والفيديو، والكاسيتات. ولكن
المهم هو أمران :

أن تتخير ما تسمع ، وتتحكم فيما تسمع :

الله وهب لك أذنين ، لكي تسمع الراى ، والراى الآخر . ولا تكون عبداً لراى واحد،
لو لكل ما تسمع . فبين أذنك وضع الله العقل ليزن ويحكم ، ويفحص وينفق ، ويقبل ما

يصلح ، ويرفض ما يضر ، فلا تجعل عقلك فى أذنك ، ولا تكن سماعاً ... ولا تصدق كل ما تسمعه . بل افحص كل شئ ، وابحث عن الحقيقة .

* * *

تذكر أن أول خطية للبشرية جاءت نتيجة السماع .

حينما سمعت أمانا حواء كلاماً خاطئاً معترأ من الحية ، وكانت الحية أحيى حيوانات البرية (تك ٣) . وأخاب الملك أضاع نفسه نتيجة سماعه سماعاً خاطئاً ظالماً من زوجته إيزابل (١مل ٢١) . ونحن نقول فى القديس على المتأمرين الخاطئين " بدد مشورتهم يا الله ، الذى بدد مشورة أختوفل " فلا يكون فى حياتك أختوفل يضرک ...

* * *

ولتكن أذنك مصغية إلى السماع المفيد .

إلى كلمة النصح ، وكلمة المنفعة ، وكلمة للتوبيخ المخلص ، وكلمة الإرشاد من الحكماء ، وعموماً إلى الكلمة التى تبني ... تبنيك روحياً وفكرياً ، وتثبتك فى الحياة مع الله .

واحترس من كلام المديح الضار ، أو الملق ، أو كلام الإغراء ...

* * *

فى السماع أيضاً لا نفس تأثير الموسيقى .

وقد إهتمت الكنيسة بالأحان والموسيقى ، لأن لها تأثيرها العميق فى النفس . وقال الرسول عن ذلك " مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتساييح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب " (أف ٥ : ١٩) .

ليتك تجعل التساييح والأحان من الوسائط الروحية التى تبنيك .

واهتم بالترتيل وتأثيره ، على أن تكون أحنانه سليمة ، وليست مأخوذة من الأغانى

العالمية كما يفعل البعض .

* * *

واحترس مما يسميه البعض " غسيل المخ " .

وذلك بوقوع البعض تحت تأثير فكرى معين ، يضيع منه كل ما أخذه من قبل ، وكل ما آمن به واقتنع . ويزرع فيه شكوكاً لا تحصى ، ويغرس فيه أفكاراً أخرى ، دون أن يعطيه فرصة لمعرفة الرد أو الإتصال بالرأى الآخر .. إلى أن يخرج آخر الأمر شخصاً

مختلفاً تماماً عما كان ، بفكر آخر غير فكره الأول في كل شيء ...
وهذا ما كانت تفعله للشبوعية وغيرها من المذاهب .

* * *

وإذ لك أيضاً تخير أصدقائك الذين تسمع منهم وتسمع لهم .
وتخير مرشدك بحيث يكونون مرشدين صالحين يفصلون كلمة الحق باستقامة ،
ويكلمونك دائماً بكلمة الله .

* * *

ولا تردد كل ما تسمع وتصيه في آذان غيرك .
إلا بعد أن تتحقق من صحة وفائدة ما قد سمعته ، لئلا تصبح عثرة لغيرك وتفقده
فضيلته . احترس إذن من أسلوب البيبغاوات ، لئلا تنقل شائعات أو معلومات قد تكون
ضارة .

بأقي الحواس

احترس من النظر وتأثيره عليك .
وتذكر أن خطية داود الكبرى ، كان النظر هو بدايتها (٢صم ١١ : ٢) . والنظر قاد إلى
الشهوة التي قادتته إلى الزنا والقتل .
وربما نظرة تقود إلى خطية إدامة . ونظرة تقود إلى خطية حسد .
النظر يؤثر على مشاعر القلب . وكذلك فإن مشاعر القلب تشكل نوعية النظرة . ولا
نفس في خطية أمنا حواء ، أنها - بعد أن تغير قلبها بجديث الحية - نظرت فإذا الشجرة
جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، وأنها شهية للنظر (تك ٣ : ٦) .
وقد قال القديس يوحنا الرسول عن محبة العالم التي هي عداوة لله " كل ما في العالم
شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة " (١يو ٢ : ١٦) .

* * *

وكما تؤثر حساسة النظر ، تؤثر أيضاً حساسة اللمس وحاسة الشم .
لكل هذا ، دقق القديسون على حفظ الحواس ، وضبط الحواس ، حتى لا تقود الإنسان
إلى مشاعر معينة تخرجه عن حياة البر .

حياة الفصيحة تتبرهن بالاختبارات

لابد من إختبارات يجتازها كل شخص لكي يثبت أنه فاضل بالحقيقة إن نجح في تلك الإختبارات التي تقيّم بها شخصيته ، وتتحدد بها أديته ، ودرجته في تلك الأبدية .

قد تكون فترة الإختبار قصيرة بالنسبة إلى البعض :

يوحنا المعمدان مثلاً ، ربما فترة خدمته كانت حوالى سنة أو ربما أزيد قليلاً ، ولكنه عبّر فيها عن نجاح هائل في الخدمة ، وتواضع وإنكار ذات ، وشجاعة ... وقد إكتفى الله بفترة الإختبار القصيرة هذه ، وأخذة إليه وهو في سن الثانية والثلاثين تقريباً .

نفس الوضع بالنسبة إلى فترة إختبار القديسين مكسيموس ودوماديوس ، اللذين إنتقلا إلى الفردوس فى شبابهما . وكذلك القديس ميصائيل السائح الذى وصل إلى درجة السباحة، وهو فى حوالى الخامسة عشرة من عمره .

كانت فترة إختبار قصيرة ، ولكنها كافية ...

كافية للتعبير عن نوعية الشخصية ، وروحانياتها ، وجهادها ، ومدى المحبة الكائنة فى القلب من نحو الله ...

أيتساءل أحد ويقول : لماذا يارب تأخذ مثل هذه النفوس الطاهرة ، فى هذه السن المبكرة ؟ فيجيب الرب : لقد نجحوا فى إختبارهم ، ويكفى هذه الجهاد ...
بالمثل الإختبار الذى تم بالنسبة إلى بعض الشهداء والمعترفين .

لقد تم إختبار إيمانهم ، وثباتهم فيه ، وإحتمالهم من أجله ... ربما فى أيام أو شهور .. وكان ذلك يكفى ، إنتقلوا بعده إلى الفردوس .

على أنه بصفة عامة ، نقول بالنسبة إلى إختبار الناس :

إنه تؤخذ الحياة كلها للإختبار ، وليست مجرد فترة منها .

لأن البعض قد تمر عليه فترة ضعف مثلاً ، ولكنها لا تدل على طبيعة حياته كلها ، وإنما هى فترة فتور أو سقوط ، استقام بعدها ونما فى النعمة .

وربما تكون فترة البداية سيئة ، مثل أوغسطينوس أو موسى الأسود أو مريم تقبطية .
ولكن تدخل التوبة وتغير مجرى الحياة كلها ... ولذلك قال الرسول :
" انظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم " (عب ١٣: ٧) .
إن الله يأخذ الحياة في جملتها ، وبخاصة في نهايتها ... لأنه في إختبار الإنسان يعطيه
فرصة لتصحيح مسلكه ، أو فترة للنمو . ولا يأخذه فجأة في ساعة ضعف طارئة ...!

* * *

وكل إنسان إجتاز الإختبار بما في ذلك أبونا الأولان .
لختبرهما الله بوصية تبدو بسيطة .. إنهما لا يأكلان من ثمرة معينة . وهذه الوصية
تبين مدى طاعة الإنسان ، ومدى إلتزامه بالوصية ، ونوعية القلب أمام الإغراءات
والشهوة والحروب الخارجية ...

* * *

المهم ليس في نوع الإختبار ، إنما في موقف الإنسان منه .
أدم وحواء لختبرا بالإمتناع عن ثمرة ، أما أبونا ابراهيم فكان إختباره أصعب . أن
يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه ، ويخرج " وهو لا يعلم إلى أين يذهب " (عب ١١: ٨) .
وكان الإختبار الأصعب من ذلك لطاعة أبينا ابراهيم هو تقديم ابنه محرقة للرب (تك ٢٢:
١، ٢) .

* * *

يوسف الصديق وداود لختبرا بالنساء .
واحد منهما كان أعزب ، وضغطت عليه الحرب من الخارج بشدة ، ومع ذلك نجح في
الإختبار . والثاني كان متزوجاً وله عدد كبير من الزيجات ، ومع ذلك فشل ، وأضاف
إلى خطيئته مع المرأة خطايا أخرى تبعت ذلك .
ولعل البعض يتساءل : لماذا سمح الله أن يدخل داود في إختبار يعرف مقدماً أنه
سوف يفشل فيه .

نقول إن هذا السقوط ، كان سبباً لانسحاق داود وإتضاعه .
حيث بكى طول عمره بسبب هذه السقطة ، وبلل فراشه بدموعه (مز ٦) واتضع بسببها
كثيراً ، وانتقع روحياً .

* * *

ونقول أيضاً إن الله لم يجرب داود بذلك .

وكما يقول القديس يعقوب الرسول " لا يقل أحد إذا جُرب : إني أجرب من قبل الله ..
ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته .. " (يع: ١٣ ، ١٤) .
وكذلك لم يجرب الله يوسف بامرأة فوطيفار ، إنما شر هذه المرأة كان إختباراً له ..
إن ظروفاً معينة قد تحدث في حياة إنسان ، وتكون إختباراً له ...

* * *

وقد يأتي الإختبار من حسد الشياطين وحيلهم .

وحدث ذلك في قصة أيوب الصديق ، حينما اشتكى عليه الشيطان ، وطلب أن يقع في
يديه ، مدعياً أنه إن زالت نعمة الله عنه " فبته في وجهه يجذف عليه " (أى: ١ : ١١) . وما
أكثر الإختبارات التي يقع فيها الإنسان نتيجة لحروب الشياطين ومؤامراتهم ..

* * *

وقد يأتي الإختبار بسبب مضايقات من البشر .

ربما تعيش امرأة مع زوج قاسٍ متعب ، وتصرخ إلى الله " يارب لماذا تتركه يتبعني
هكذا ؟ " . وقد تكون إجابة الرب " مثل هذا الزوج هو إختبار لإحتمالك .. وإن نجحت في
الإحتمال ، إما تكسبين الزوج ، أو على الأقل تتأين أكاليل ...

* * *

والأكاليل هي إحدى منافع الإختبارات ...

وعلى رأى أحد القديسين ، الذي قال " لا يكلل إنسان إلا إذا إنتصر . ولا ينتصر إلا
الذي حارب " ...

نفس الوضع نقوله بالنسبة للتلميذ أو طالب العلم ، توضع له إختبارات . وهذه تبيين
نوع عقليته وذاكرته وجهده في تحصيل العلم . وبناء عليه يكافأ بالنجاح أو التفوق ..
وفي كل مناحي الحياة ومجالات العمل ، نجد إختبارات لكفاءة الإنسان ومقدرته ...
وفي السماء يأخذ الإنسان الأكاليل المعدة للغالبين .

كما ورد ذلك في رسالة من رسائل الرب إلى الكنائس السبع . وقد سجل ذلك في سفر
الرؤيا (رؤ: ٢ ، ٣) .

* * *

والإختبارات هي تقييم لحياة الإنسان وعمله وروحانيته .

تبين صلابته أو ليونته ، قوته أو ضعفه ... فإن فشل ينطبق عليه قول الوحي الإلهي
وُزِنَتْ بِالْمَوَازِينِ فَوُجِدَتْ نَاقِصًا * (دا: ٢٧) . وهذا واضح في مثل البيتين ...
البيت للمبنى على الصخر ، اختبرت صلابته الرياح والأمطار .
هبت كلها عليه فلم يتزعزع ، وظل ثابتاً بعكس البيت المبنى على الرمل . لما صدمته
الرياح وسقطت عليه الأمطار ، سقط وكان سقوطه عظيماً .. هذه الرياح والأمطار كانت
إختباراً للبيت ... أظهرته على حقيقته .

* * *

والله يعرف حقيقتنا دون أن نختبرنا ...

الإختبار إذن ؟ وما حكمته ؟

على الأمل ، بهذا الإختبار يعرف الإنسان ذاته ، وإن سقط يعرف ضعفه . وإن عوقب
لا يشك على عدل الله . وإنما يقول مع اللص اليمين " نحن بعنل جوزينا " (لو ٢٣:
٤١) . وأيضاً إذا عرف ضعفه ، يتضع ويحترس ويدقق فيما بعد ...

* * *

وقد يكون إختبار الشخص الناجح درساً لغيره .

إن الله كان يعرف قدرة أيوب على إحتمال الإختبار . فسمح بذلك لكي يعطى به درساً
للأجبال به تطوب الصابرين (يع: ٥: ١١) . وكان السيد المسيح يعرف تماماً قدرة المرأة
لكنعانية على سماع كلمة صعبة (مت: ١٥: ٢٦) وأنها ستججج في الإختبار ، فسمح بذلك ،
وقال لها بعد إجابتها المنسحقة " عظيم هو إيمانك " . وصارت بإجابتها درساً لنا .

طرق للإختبار :

١ - قد يختبر الإنسان بنقطة ضعف فيه :

الشاب الغنى كان يحفظ الوصايا منذ حداثة ، وكان يشناق إلى الحياة الأبدية ويسعى
إليها . وعلى الرغم من هذا ، كانت فيه نقطة ضعف ، وهي محبته للمال . وقد اختبر في
هذه النقطة بالذات " اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء ... " (مت: ١٩: ٢١) . فمضى
حزيناً ، وفشل في الإختبار ...

إبحث إذن : ما هي نقطة الضعف التي فيك ، التي تسقطك .

* * *

٢ - وقد يختبر الإنسان بأخذ شئ منه :

مثال ذلك أن يطالبك الرب بالعشور وبالبحور ، ويرى هل تنفع أم لا ، وهل تتحائل على الأمر ؟ وهل تعتذر بأسباب ؟ أو على الأقل هل تؤجل ؟ وما هو مدى التزامك بالوصية .

وقد يختبرك بيوم الرب . هل تحفظه وتعطى وقتك للرب ؟

* * *

٢ - وقد يختبر الإنسان بالأمراض :

كما حدث في تجربة أيوب (أى ٢) . وكما حدث بالنسبة إلى بولس الرسول الذى قال " ولنلا أرتفع من فرط الإعانات، أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليطنى لئلا أرتفع " (٢كو١٢: ٧) .

ويرى الله هل الإنسان يحتمل أم لا ؟ هل يقبل أم يتذمر ؟

* * *

٤ - وقد يختبر الإنسان بعدم استجابة الصلاة .

كما صلى بولس الرسول من أجل أن يخلصه الله من هذه الشوكة التى فى الجسد . وقال " إلى الله تضرعت ثلاث مرات " . ومع ذلك استبقى الله الشوكة فى القديس بولس ، وقال له " تكفيك نعمتى " (٢كو١٢: ٨ ، ٩) . ولم يتذمر هذا القديس .

* * *

٥ - وقد يختبر الإنسان بتأخر الله عليه !!

أقصد ما يظنه هذا الإنسان تأخراً .. ويختبر الله هذا الإنسان ماذا يفعل ؟ هل يلجأ إلى الطرق البشرية ، مثلما لجأت سارة إلى هاجر ، لما تأخر حبيلها (تك١٦: ٢) . ومثلما لجأت رفقة إلى حيلة بشرية لخدع اسحق ، حتى يمنح البكورية ليعقوب (تك٢٧) . أم أن الإنسان لا يتعبه التأخر ، ويستمر فى اللجاجة ، مثلما فعل إيليا النبى ، لما صلى من أجل سقوط المطر ، فلم يستجب الرب إلا فى الصلاة السابعة (امل١٨: ٤٤) . إذ استمر فى صلاته ولم ييأس ...

* * *

٦ - وقد يكون الاختبار بالإضطهاد أو سوء المعاملة :

كما اختبرت الكنيسة بعصر الإستشهاد الذى استمر من عهد نيرون إلى حكم

ديوقلديتوس ، أكثر من ٢٥٠ سنة، بأقصى ألوان التعذيب ... وصعدت الكنيسة في هذا الإختبار ، ونجحت ، فكوفنت بمرسوم ميلان سنة ٣١٣ .
أما عن سوء المعاملة ، فهو إختبار يحدث في محيط المجتمع ، أو الأسرة ، أو العمل، في جو الرؤساء أو الزملاء . ويرى به معدن الإنسان ...

* * *

٧ - وقد يكون إختبار إنسان عن طريق العتاب أو الصراحة :
فهناك أشخاص لا يحتملون العقاب ويشورون وينفعلون . وأشخاص لا يحتملون الصراحة ، ويعتبرونها إتهاماً أو إهانة . وتظهر طبيعتهم التي كانت تخفيها عبارات المجاملة أو المديح . ولذلك قال أحد أصحاب أيوب له " إن امتحن أحد كلمة معك ، هل تستاء " (أى ٤ : ٢) .

* * *

٨ - والإغراءات هي إختبار آخر للإنسان :
سواء كانت إغراءات جسدية ، أو مالية ، أو خاصة بالمناصب والألقاب ، أو أية شهوة أخرى يتعرض لها الإنسان . والشهداء لم يحاربوا بالتعذيب فقط ، وإنما بالإغراءات أيضاً،

* * *

٩ - كذلك فإن النجاح والعظمة هي إختبار للإنسان .
هل يرتفع قلبه إن نجح في حياته ؟ وهل يتعالى على غيره ؟ وهل يفقد تواضعه أم يبقى كما هو .. كما قال أحد الأديباء عن من ينجح في هذا الإختبار إنه " يكبر دون أن يتكبر، ويحتفظ بثباته في وثباته .. " .
وقد فشلت هاجر في هذا الإختبار . فلما صار لها ولد ، بل مجرد حبلت ، صغرت مولاتها في عينيها (تك ١٦ : ٤) .

* * *

١٠ - المواهب أيضاً إختبار للإنسان :
أولاً كيف يستخدمها : هل في الخير أم الشر ؟ كالذكاء مثلاً ، والجمال والفن ... وثانياً هل يرتفع قلبه بها ؟ كما حدث أن التلاميذ في بعثتهم التبشيرية الأولى ، فرحوا بإخراج الشياطين ، وقالوا للرب " حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك " فوبخهم قائلًا " لا

تفرحوا بهذا ... " (لو ١٠: ١٧ ، ٢٠) .

هل يستخدمونها لبنيان الكنيسة (١ كو ١٤ : ٥) لتبشير الأمم الذين لهم لسان آخر ... لم يرونها مجالاً للظهور وللإفتخار والمجد الباطل .

* * *

١١ - من الإختبارات التي تتعرض لها البشرية التمدن (الـ **Modernism**) :

فهل في زحمة التهاقت على التجديد ، يحتقرون كل ما هو قديم ، من عرف وثقاليد ، بل من تراث عظيم مجيد ، ويريدون أن يجددوا كل شئ بتحطيم كل التخم القديمة (أم ٢٢ : ٢٨) ... ويدخل (التجديد) حتى في اللاهوتيات والمعائد .

* * *

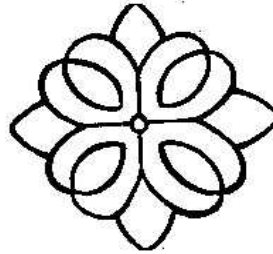
١٢ - يدخل الإختبار أيضاً في المحبة :

وكما قال القديس يوحنا الرسول " لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق " (١ يو ٣ : ١٨) . إن بطرس الرسول قال للسيد المسيح : إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك ... ولو إضطرت أن أموت معك لا أنكرك ... (مت ٢٦ : ٣٣ ، ٣٥) . ولكن لما اختبرت محبته ، أنكر وجذف ، وقال " لا أعرف الرجل " (مت ٢٦ : ٧٤) .

* * *

وبنفس الوضع تختبر الطاعة ، إذا تلقى الإنسان أمراً لا يوافقه .

لأنك إن تلقيت أمراً يوافق رغبتك وأطعته ، ربما تكون قد نفذت رغبتك وليس الأمر الصادر إليك . أما إذا تلقيت أمراً ضد رغبتك ، فهنا تظهر الطاعة . وإذا غيرت رغبتك بسبب الأمر ، ورأيت أن العكس هو النافع لك ، تكون قد ارتفعت من مستوى الطاعة إلى التسليم ...



الثمر

فنى حياة الفضيلة والبر

أهمية الإثمار

الحياة الروحية لا بد أن يكون لها ثمر فى حياتنا ، بل وفى حياة الآخرين أيضاً .
وقد اهتم الرب بهذا الثمر فقال " أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام. كل غصن فى لا
يأتى بثمر ينزعه. وكل ما يأتى بثمر ، ينقيه ليأتى بثمر أكثر .. أنا الكرمة وأنتم
الأغصان.

* * *

ووصية الإثمار موجودة من بدء الخليقة، إذ قال الرب :

" إثمروا وأكثروا ، واملأوا الأرض " (تك ١: ٢٨) .

وإن كانت هذه الآية تتعلق بالإثمار الجسدى ، أى التوالد ، إلا أنها من الناحية الرمزية
يمكن أن نتناولها بمعنى روحى .. كأنها دعوة إلى المؤمنين أن يثمروا روحياً ، ويكثر
عملهم الروحى حتى يملأ الأرض ...

وفى قصة الخليقة يقول سفر التكوين أيضاً أن تثبت الأرض "شجراً ذا ثمر يعمل ثمرأ
كجنسه" " شجراً يعمل ثمرأ بذره فيه كجنسه " (تك ١: ١١ ، ١٢) .

* * *

إن ينبغى أن يكون كل منا شجرة مثمرة فى جنة الرب، شجرة ذات ثمر، تصنع
ثمرأ بذره فيه كجنة ...

ومادنا أشخاصاً روحيين ، إذن لا بد أن يكون ثمرنا روحياً ، وليس جسدياً . فالكتاب
يقول " من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح، فمن الروح
يحصد حياة أبدية " (غل ٦: ٨) .

* * *

وهكذا يحدثنا الكتاب عن ثمر الروح .

فيقول " وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة، لطف، صلاح ، إيمان، وداعة ، تعفف " (غل: ٥: ٢٢، ٢٣) .

* * *

ويشدد الكتاب على أهمية الثمر ، وعقوبة من لا يثمر ، فيقول:

" كل شجرة لا تصنع ثمرأ، تقطع وتلقى في النار " .

هذا قاله السيد المسيح في العظة على الجبل (مت: ٧: ١٩) . ونفس الكلام قاله أيضاً يوحنا المعمدان : " والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة . فكل شجرة لا تصنع ثمرأ جيدأ، تقطع وتلقى في النار " (مت: ٣: ١٠) .

وقد لعن الرب شجرة التين التي ليس فيها ثمر (مت: ٢١: ١٩) .

الثمر الجيد

شدد الرب على أهمية الثمر الجيد ، " اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدأ " " لأن من الثمر تعرف الشجرة " (مت: ١٢: ٣٣) . وقال :

" من ثمارهم تعرفوهم " (مت: ٧: ٢٠) .

" كل شجرة جيدة تصنع أثمارأ جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارأ رديئة . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارأ رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثمارأ جيدة " (مت: ٧: ١٧، ١٨) ... "لأنهم لا يجتنون من الشوك تينأ ، ولا يقطفون من العليق عنبأ " (لوقا: ٤٣، ٤٤) .

* * *

إنن يا أخى ، أنظر ما هو نوع ثمرك ؟ وما مقداره ؟

قال الرب عن الأرض الجيدة إنها " أعطت ثمرأ : بعض مئة ، وآخر ستين، وآخر ثلاثين " (مت: ١٣: ٨) . من تواضع الرب أنه ذكر الثمر الذى أعطى ثلاثين .. ! طوبه لأنه ثمر ، ولو أنه قليل .. إنن لا بد أن تعطى ثمرأ ولو قليلاً .. وماذا يصنع الرب إن وجدك تعطى ثمرأ ولو كان قليلاً؟! يقول إنه :

" ينقيه ليأتى بثمر أكثر " (يو: ١٥: ٢) .

إذن لابد أن تكون أرضك جيدة ، وتعطى ثمرأ. وماذا أيضاً ؟ يقول الرب " أنا اخترتكم وأقمتكم ، لتذهبوا وتأتوا بثمر ، ويدوم ثمركم " (يو ١٥ : ١٦) . ومع دوام هذا الثمر ، ينقيه الرب ليأتي بثمر أكثر ..

فإن ينهي أن يكون لك ثمر دائم ، غير منقطع .

وما ألبس للصورة التي رسمها القديس يهوذا غير الإسخريوطى إذ قال " أشجار خريفية بلا ثمر ميتة " (يو ١٢) . فاعتبر أن الشجرة التي بلا ثمر هي شجرة ميتة .. ولقبها بشجرة خريفية ، أي من النوع الذي يتساقط ورقه في الخريف .

ولذلك حسناً قبل عن للشجرة الجيدة في المزمور الأول :

" تعطى ثمرها في حينه ، وورقها لا ينتثر " (مز ١ : ٣) .

"في حينه" أي لا يتأخر في إعطاء الثمر ، أو في حينه، بمعنى أن يعطى الثمر في وقته المناسب .. ولماذا وصف الشجرة بهذا الوصف الجميل؟ يقول : لأنها " مغروسة على مجاري المياه " ... وهنا نتحدث عن عوامل الإثمار :

عوامل الإثمار

١ - لكي تعطى الشجرة ثمرأ ، لابد أن تكون الأرض جيدة .

وهذا ما قاله الرب في مثل الزارع ، فقال عن البذار " وسقط البعض على أرض جيدة، فأعطى ثمرأ .. " (مت ١٣ : ٨) . فلا تكون الأرض محجرة، على الطريق ، ولا مملوءة بالأشواك، ولا ضحلة بغير عمق، كما ورد في المثل ...

فالكلام الذي قاله الرب للشباب الغنى ، لم يقع على أرض جيدة، وإنما على نفسية مُحبة للمال، لذلك سمع الشاب الكلام " ومضى حزينا " (مت ١٩ : ٢٢) ... بينما نفس العبارة سمعها في الكنيسة شاب آخر غنى ، ولكن أرضه جيدة ، فمضى وباع كل أملاكه ووزع على الفقراء. وصار له ثمر كثير .. عشرات الآلاف من الرهبان، ومن النسائك، تبعوا طريقه ، وملكوا مثله، لأن بزره كان يصنع ثمرأ كجنسه (تك ١ : ١١) .

الأرض الطيبة تعنى أن الإنسان يميل إلى الخير بطبيعته ، يقبل كلمة الرب بفرح وباستعداد للعمل ، ويعطى ثمراً . أما الأرض المحجرة، فتمثل القلب القاسى الذى لا يتأثر بسرعة ، وربما لا يتأثر إطلاقاً ، مهما سمع من عظات ، ومهما قرأ من كلام روحى . لذلك يقول الرسول عن نداء الله فى القلب " إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم" (عب ٣: ٨، ٧) .

الأرض الطيبة تكون من الداخل غير محجرة . ومن الخارج لا تحيط بها الأشواك وتخلق زرعها .

سليمان الحكيم كان أرضاً طيبة . ومع ذلك أحاطت به الأشواك، أعنى زوجته الأجنبية غير المؤمنات " اللاتى أملن قلبه وراء آلهة أخرى" ، فلم يعد قلبه كاملاً أمام الرب وخطأ كثيراً، وأقام مرتفعات لآلهة الأمم " (١مل ١١ : ٤ - ٨) .
وشمشون فى أول حياته " ابتداء روح الرب يحرکه" (قض ١٣ : ٢٥) . وحل عليه روح الرب (قض ١٤ : ٦) . ثم أحاطت الأشواك بهذه الأرض الجيدة، أعنى صاحبتة نليلة، حتى فقد نذره، وقص شعره، وقلعوا عينيه، وصار يطحن فى بيت السجن (قض ١٦ : ٢١) وقيل وقتذاك " إن الرب قد فارقه " (قض ١٨ : ٢٠) .

٢ - ومن عوامل الإثمار أن يتمتع الشجر بالغذاء والرى .
ومن أمثلة هذا الغذاء ، ما قيل عن الشجرة التى لم تصنع ثمراً ثلاث سنوات " أتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً، فإن صنعت ثمراً، وإلا فخيما بعد تقطعها" (لو ١٣ : ٨ ، ٩) . والزبل هو من أجود أنواع السماد البلدى .. إن كل إنسان يحتاج إلى غذاء روحى لكى يثمر ...

والأغذية الروحية اللازمة للإثمار كثيرة ومنها :

قراءة الكتاب المقدس والكتب الروحية ، كلمة الله التى يحيى بها الإنسان (مت ٤ : ٤) .
كذلك التأملات الروحية ، والتدريبات الروحية، والصلاة، والتناول من سر الإقهارسقىا المقدس ... لقد قيل عن الشجرة التى لا تعطى ثمراً فى حينه " إنها مغروسة على

مجري المياه " . والماء يمثل عمل الروح القدس في القلب (يو: ٧: ٣٨) . إنه الماء الحي الذي يروي النفس .

* * *

إذن لكي تثمر لابد من عمل الله فيك .

لا بد من ثباتك في الله ، كما يثبت الغصن في الكرمة . ولهذا قال السيد الرب " كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته، إن لم يثبت في الكرمة ، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا في " الذي يثبت في، وأنا فيه ، هذا يأتي بثمر كثير .. إن كان أحد لا يثبت في، يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار، فيحترق " (يو: ١٥ : ٤ - ٦) . تثبت في الله معناها أن تثبت في محبته (لو: ١٥ : ٩) ، ومعناها أيضاً أن تشترك مع روحه في العمل ، فتدخل في شركة الروح القدس (٢كو: ١٣ : ١٤) .

* * *

فهل حياتك الروحية مغروسة على مجرى المياه ؟

وهل باستمرار تمتص من الله الماء الحي (أر: ٢) ؟

هل تأخذ من الماء الحي الذي وعد به المرأة السامرية ؟ (يو: ٤ : ١٠ ، ١١) هذا الماء الذي " ينبع إلى حياة أبدية " .. وهل أنت مستمر على غذائك الروحي ، لا ينقطع عنك، بل تنمو به نفسك .. وماذا أيضاً :

* * *

٣ - لكي تعطى الشجرة ثمرأ ، لابد أن تمنع عنها الآفات .

سواء الآفات البشرية أو الأعشاب المتطفلة المؤذية ، أو الأمراض الزراعية. وهكذا تتلف الأرض ويتلف الشجر ، فيثمر ولا يتلف ثمره ...

افحص نفسك ، ما هي الآفات التي تعطل ثمرك الروحي ؟ وهل أنت تلاحظ نفسك، وتحرص أن تتنقى باستمرار من هذه الآفات : سواء كانت أخطاء روحية أو نفسية أو فكرية ، أو عادات مسيطرة عليك، أو صداقات تجرك إلى أسفل .. وتذكر قول الشاعر:

متى يبلغ البنين يوماً تامه إذا كنت تبنيه وغيرك يههم

* * *

ما فائدة أن تعطى أرضك الطيبة غذاءها الروحي ، ثم يأتي الطير فيلتقط ثمرها ، أو تحل عليه لطم تفسد الثمر ، أو تدخل الديدان فتأكله أو تتعرض لقول الكتاب " إن

المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو١٥ : ٣٣) .

فهل نتعرض إلى عثرات تفسد كل تأثيراتك الروحية ؟

★ لابد أن تموت نفسك عن كل أمور العالم . وكما يقول الكتاب عن حبة الحنطة إنها

" إن ماتت تأتي بثمر كثير " (يو١٢ : ٢٤) .

ثمار متعددة

هناك أنواع كثيرة من الثمر في حياة الإنسان : بعضها نافع له والبعض غير نافع ...

هناك ثمر عقلى ، مجرد فكر يعمل ، وله إنتاج فكرى ، ولا علاقة له بالروح ، وليس

له ثمر في حياة الإنسان الروحية .

وهناك ثمر إجتماعى : إنسان دائم العمل داخل المجتمع ومشاكله . وقد يكون لهذا

النشاط الإجتماعى ثمر في حياته ، وقد لا يكون .

وهناك ثمر روحى ، وهو خاص بروحك ، أو بعلاقتك بالله ، أو بعلاقتك بالناس :

فالثمر الخاص بعلاقتك بالله هو المحبة والإيمان .

والثمر الخاص بك هو الفرح والسلام والصلاح .

والثمر الخاص بعلاقتك بالناس هو الوداعة والتعفف واللطف ، وطول الأناة ، والمحب

أيضاً . كل هذه ثمار روحية (غل٥ : ٢٢ ، ٢٣) . إذا ظهرت في حياتك يعرفك الناس بها .

وهذه الثمار يسمونها أحياناً ثمر البر .

وعن هذه يقول الرسول " لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح ، مملوئين

من ثمر البر الذى يبسوع المسيح لمجد الله " (فى١ : ١٠ ، ١١) . ويقول الكتاب " وثمر

الروح يزرع فى السلام " (يع٣ : ١٨) ...

ومن ثمر البر ، ثمار التوبة ، كما قال المعمدان :

" اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة " (مت٣ : ٨) .

وثمر التوبة يظهر فى إنسحاق القلب وفى الدموع ، كما قيل فى المزمور الخمس :

"القلب المنسحق والمتواضع لا يرنله الله" . وكما قيل أيضاً " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج " (مز ١٢٥) . ومن ثمار التوبة الحريارة الروحية ، والعمل على إصلاح الأخطاء الماضية، والشفقة على المخطئين وعدم إدانتهم (عب ١٣: ٣) . وبهذه الثمار وأمثالها، لا يعود التائب يرجع إلى الوراء .

ومن الثمار الروحية أيضاً ما قال عنه القديس بولس الرسول إن الرب " لم يترك نفسه بلا شاهد . وهو يفعل خيراً . يعطينا من السماء أمطاراً ، وأزمنة مثمرة ، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً " (أع ١٤: ١٧) . إذن الأزمنة القاحلة هي الخالية من كل خير . أما المثمرة فهي المملوءة بالعمل الصالح ... البعيدة عن " أعمال الظلمة غير المثمرة " (أف ٥: ١١) .

ومن الثمار الروحية ثمر الخدمة في كسب النفوس إلى الرب .
أتراك يا أخى لك ثمر في خدمتك ، وثمر كثير يفرح به الرب، كما يقول الرسول "من رد خاطئاً عن طريق ضلاله ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع ٥: ٢٠) . اعلم إذن أن كل نفس تخلصها ، تكون ثمرة في شجرة حياتك تقدمها حلوة إلى الله...

وهي ثمرة لمجد الله ، كما قال الرب " بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى " (يو ١٥: ٨) . بل حتى حياتنا الروحية وأعمالنا الصالحة، يكون ثمرها تمجيد الله أيضاً ، كما قال الرب أيضاً " لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات " (مت ٥: ١٦) .

* * *

إن الكلمة الطيبة ، كلمة المنفعة أو كلمة التسبيح ، يسميها الكتاب ثمر الشفاه .
فيقول " فلنقتم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح ، أى ثمر شفاه معترفة باسمه " (عب ١٣: ١٥) . فما هي الثمار التي تقدمها شفثاك للرب . كما يقول الكتاب " الصديق ينبوع حياة " (أم ١٠: ١١) " فم الصديق ينبت الحكمة " (أم ١٠: ٣١) .
ومن أمثلة الثمار فى الخدمة ، أرسل القديس بولس الرسول إلى أهل رومية يقول لهم "قصت مراراً كثيرة أن آتى إليكم .. ليكون لى ثمر فيكم أيضاً كما فى سائر الأمم " (رو ١: ١٣) .

أخيراً يا إخوتى ، إن الثمر بركة من الرب .

كما قال الرب لمن يطيع وصاياه " مباركة تكون ثمرة أرضك، وثمره بطناك، وثمره بهائمك : نتاج بقرك وإناث غنمك" (تث ٢٨ : ٤). ويقول فى المزمور "إمرأتك مثل كرمه مثمرة فى جوانب بيتك" (مز ١٢٨ : ٣) .

حقاً إنها بركة من الرب ، ولكنها بسبب رضاه . ورضا الله بسبب حياة الإنسان الصالحة المقبولة أمامه . فانسلك إذن حسناً قدامه ، لكيما يعطينا ثمرأ فى حياتنا الروحية، وثمرأ فى خدمتنا .. يعطينا ثمر الروح للقدس العامل فى أرواحنا البشرية، هذا الذى شرحه للقديس بولس الرسول فى (غل : ٥ ، ٢٢ ، ٢٣) .



أكاليل لمكافحة

حياة الفضيلة والبر

حياة الفضيلة والبر ، هي حياة جهاد مع النفس ، وجهاد ضد المادة والعالم والشيطان .
والغالبون أو المنتصرون يكلون في الأبدية بأكاليل ..
والسيد المسيح في رسائله إلى الكنائس السبع التي في آسيا ، يقول لملاك كنيسة
فيلادلفيا * تمسك بما عندك ، لئلا يأخذ أحد إكليلك " (رؤ ٣: ١١) . ونود اليوم أن نتحدث
عن هذه الأكاليل .. لكيما تسأل نفسك أي إكليل ستحصل عليه ، أو أية أكاليل ...

أكليل البر :

يقول القديس بولس الرسول * جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي ، حفظت الإيمان ،
وأخيراً وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الذي العادل . وليس لي فقط ،
بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً * (٢ تي ٤ : ٨) .

* * *

فما هو إكليل البر هذا ؟ ما معنى أن نتكلل بالبر ؟

معناه أننا نحيا في البر الدائم . لا نعود نخطئ . نتكلم طبيعتنا البشرية بالبر ، فنتتهي
علاقتها تماماً بالخطية . ونصير كالملائكة الذين جازوا فترة الإختبار وانتصروا ، فتكلمت
طبيعتهم بالبر ، وما عادت تخطئ ، بعكس الشياطين الذين سقطوا وما زالوا يخطئون .

* * *

الأبرار في الأبدية ، ليسوا فقط لا يقعون في خطية ، إنما حتى مجرد معرفة الخطية
تزول من ذاكرتهم تماماً .

كان آدم في الفردوس باراً . وكان بسيطاً طاهراً لا يعرف شراً ، وكذلك حواء ولكنها
لما أكلتا من شجرة معرفة الخير والشر ، تعكروا صفو الطبيعة البشرية ، وبدأت تعرف
الشر ، ثم تطورت إلى أن صارت تشتت في الشر ، ودخلت محبة الخطية إلى النفس
البشرية . فهل ستظل الخطية قائمة أو سائدة إلى الأبد ؟ طبعاً لا .

الأبرار فى الأبدية ، ستنتهى علاقتهم بالخطية . سوف لا يعرفون سوى أخير فقط ،
تنتهى الخطية من معرفتهم ومن ذكرتهم ومن عقولهم .
يعود المنتصرون إلى البساطة الأولى التى كانت للبشرية حينما كانت على صورة الله
مثاله ، قبل الخطية . بل يصيرون فى بساطة ونقاوة أسمى من حالة آدم وحواء .. أبوانا
دولان كانا فى حالة بساطة كاملة ونقاوة كاملة . ولكن معها حرية قابلة للسقوط ...

أما حرية الأبرار فى الأبدية، فهى حرية غير قابلة للسقوط.. إنها "حرية مجد أولاد
الله" (روا: ٢١) . لأن الخليقة "ستعق من الفساد" ، وتتكلل بالبهر .
هذا العتق من الفساد ، يشمل القلب والفكر والإرادة ، يشمل الحياة كلها .. وبالبهر نحيا
لى المتعة بالله باستمرار . هنا إكليل آخر وهو :

إكليل الحياة :

إنه الذى وعد به السيد المسيح ملاك كنيسة سميرنا ، حينما قال له " كن أميناً إلى
الموت، فسأعطيك إكليل الحياة " (روا: ١٠) .
إكليل الحياة يعنى أن يحيا الإنسان إلى الأبد ، ويحيا فى الرب . ففى الأبدية تنتهى
الخطية ، وينتهى أيضاً الموت .
وكما قال الرسول فى الإصحاح الخاص بالقيامة " آخر عدو يبطل هو الموت "
(١كو١٥: ٢٦) . وهذا طبيعى ، لأنه مادامت " أجرة الخطية هى موت " (روا: ٦: ٢٣) .
فحينما تبطل الخطية فى الأبدية ، يبطل معها الموت .

ولا يعنى (إكليل الحياة) مجرد الخلود ، أو الحياة الدائمة ، التى يشتبهها الكل ولا يعنى
فقط مجرد إنتهاء الموت ، الذى يخافه كل إنسان مهما علا قدره فى العالم .
إنما إكليل الحياة ، يعنى أيضاً الحياة فى الله ، ومعه .
لأن " فيه كانت الحياة " (يو١: ٤) ، وهو الذى قال " أنا هو القيامة والحياة . من آمن
بى ولو مات فسيحيا " (يو١١: ٢٥) . حقاً ما أجمل قول الرسول " لى الحياة هى المسيح "
(فى١: ٢١) " المسيح يحيا فى " (غل٢: ٢٠) .

حقاً ، إن الحياة فى الأبدية ، حياة غير عادية . إنها إكليل .
كيف تكون هذه الحياة ؟ هذا سر لم يعلن لنا بعد . إنها " ما لم تراه عين ، ولم تسمع به
أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ، ما أعده الله للذين يحبونه " (١كو٢ : ٩) .
إنها حياة للذين تعبوا هنا واحتملوا . يقول فى ذلك معلمنا يعقوب الرسول " طوبى
للرجل الذى يحتمل التجربة . لأنه إن تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب الذين
يحبونه " (يع٢ : ١٢) .

* * *

إن إكليل الحياة ، هو للذين يحبون الرب .
الذين كانوا من أجل محبته يسلمون دائماً للموت ، والموت يعمل فيهم (٢كو٤ : ١١ ،
١٢) . ولكنهم بالموت ههنا من أجله ، يحيون معه إلى الأبد .. ولن تمنح أسماؤهم من
سفر الحياة (رؤ٣ : ٥) . بل يأكلون من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله (رؤ٢ : ٧)
نتنقل إلى الكلام عن إكليل آخر وهو :

إكليل المجد :

فى الواقع إن الله حينما خلق الإنسان ، إنما خلقه للمجد ، فجعله على صورته ، وجعل
له سلطاناً على الطبيعة (تك١ : ٢٦) . وعن هذا قال المزمور "بالمجد والكرامة كللته ،
وعلى أعمال يديك أقمته ، أخضعت كل شئ تحت قدميه " (عب٢ : ٧ ، ٨) ، (مز٨ : ٥) .
فكانت لأدم خشية على كل الكائنات ، وهكذا كان نوح أيضاً فى الفلك ...
الإنسان فقد كرامته بالخطية . ولكن الله فى الأبدية ، سيرده إلى رتبته الأولى ،
يعيد إليه الصورة الإلهية ، ويكلله بالمجد .

* * *

قد يعترض البعض ويقول " المجد لله وحده " . ونحن نقول فى صلواتنا " لأن لك
المجد والقوة .. " فنجيب : إن مجد الله شئ آخر ، مجد غير محدود ، ولا ينطق به .
ومع أن الله له المجد ، إلا أنه من محبته للإنسان ، منحه أيضاً مجداً : " الذين سبق
فعرّفهم ، سبق فعينهم . وهؤلاء دعاهم أيضاً ، وبررهم ، ومجدهم أيضاً " (رو٨ : ٣٠) .
بل ما أروع وأجمل قول السيد المسيح لله الأب :

" وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني " (يو ١٧: ٢٢) .

نعم ، إن كنا نتألم معه ، فلنكن نتمجد أيضاً معه " (رو ٨: ١٧) . وفي ذلك يقول الرسول أيضاً " إن آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا " (رو ٨: ١٨) " لأن خفة ضيقتنا الأرضية ، تتشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً " (٢كو ٤: ١٧) .

كان عربون هذا المجد على جبل التجلي (مر ٩: ٣ - ٥) .
وهناك أيضاً مجد القيامة ومجد الأبدية .

فمن القيامة يقول الرسول " نزرع في هوان ، ونقام في مجد " . ويشرح ذلك بأن الجسد سيقام جسداً روحياً ، وجسداً سماوياً (١كو ١٥: ٤٣ - ٥٠) " على صورة جسد مجده " (في ٣: ٢١) . ويقول القديس بطرس الرسول للرعاة " ومتى ظهر رئيس الرعاة ، تتلون إكليل المجد الذي لا يبلى " (ابط ٥: ٤) . ويقول الكتاب أيضاً " الفاهمون يضيئون كضياء الجلد . والذين ردوا كثيرين إلى البر ، كالكوكب إلى أبد الدهور " (١٢١د: ٣) . ويشبه الأبرار في السماء بالنجوم ويقول " لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد " (١كو ١٥: ٤١) .

* * *

ومن المجد الذي يهبه الله لمحبيه ، أنهم يجلسون على عروش معه في مجده !
قال لرسله القديسين " متى جلس إين الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على إثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر " (مت ١٩: ٢٨) . والقديس يوحنا في رؤياه ، رأى عرش الله " وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً ، ورأى عليها أربعة وعشرين قسيساً جالسين متسربلين بثياب بيض ، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب " (رؤ ٤: ٤) . أي أكاليل مجد هذه ١٤! ولكن لئلا يظن البعض أن هذا المجد هو للرسل فقط ومن في مستوهم ، هوذا الرب يقول :

" من يقب ، فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي ، كما غلبت أنا وجلست مع أبي في عرشه " (رؤ ٣: ٢١) .

* * *

وهذا المجد أيضاً سيكون في المجيء الثاني ، حينما يأتي الرب " على سحب السماء بقوة ومجد كثير " (مت ٢٤: ٣٠) . " وجميع الملائكة القديسين معه " (مت ٢٥: ٣١) . وليس مع هؤلاء فقط ، بل سيأتي " في ربوات قديسيه " (يه ١٤) . والقديسون سلبسون

ثياباً بيضاً (رو ٣: ٩) . رمزاً لبرهم ...
حقاً عن مجد الأبدية قال المرثى " وبعد إلى مجد تأخذنى " (مز ٧٣: ٢٤) . وماذا غير
إكليل المجد ؟ .

إكليل البهاء (الجمال) :

الذين لم ينالوا جمالاً على الأرض ، سينالونه فى الأبدية .
فى الأبدية كل شئ جميل .. جمال فى الجسد الروحانى النورانى السماوى ، وجمال
فى الروح أيضاً - وليس فقط فى الأبدية ، بل حتى على الأرض . يقول الرب للخاطئة
أورشليم فى عمل نعمته معها " وضعت تاج جمال على رأسك . فصلحت لمملكة . وخرج
لك إسم لجمالك ، لأنه كان كاملاً . ببهائى الذى جعلته عليك ، يقول السيد الرب " (حز ١٦: ١٢ ، ١٣) .

* * *

ما أعجب أن بهاء الله ، يجعله على إنسان .
ولعل هذا يذكرنا بعبارة عجيبة قالها أشعيا النبى " فى ذلك اليوم يكون رب الجنود
إكليل جمال ، وتاج بهاء ، لبقية شعبه " (أش ٢٨: ٥) . ولعله يذكرنا بالثياب التى أمر
الرب بصنعها لهارون رئيس الكهنة، إذ قال لموسى النبى "أصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك
للمجد والبهاء" (خر ٢٨: ٢) وكذلك لبنيه " تصنع لهم قلانس للمجد والبهاء " (خر ٢: ٤٠) .
ماذا أيضاً غير إكليل المجد والبهاء ...

أكاليل أخرى :

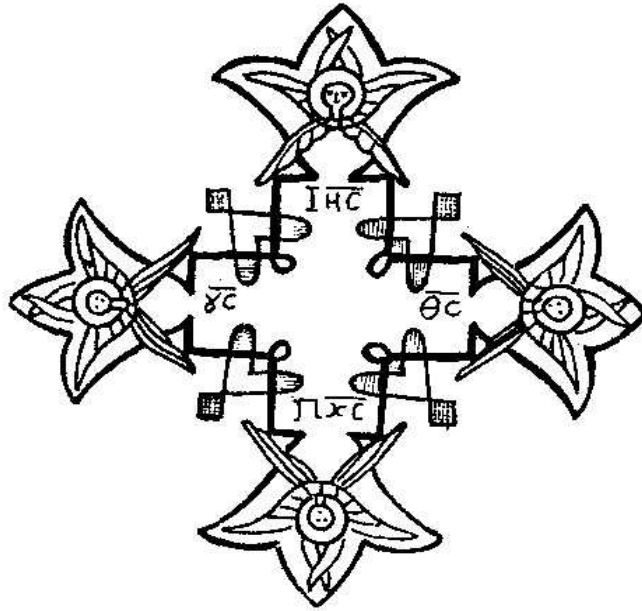
لعل شخصاً كبولس الرسول قد تحلى بأكاليل كثيرة : منها إكليل الرسولية ، وإكليل
الكهنوت ، وإكليل البتولية ، وإكليل الجهاد ، وإكليل الشهادة ، بالإضافة إلى إكليل البر .
إن القديس بولس الرسول يعتبر خدمته إكليله .
فيقول لشعبه فى فيلبى " يا سرورى وإكليلى " (فى ٤: ١) .

* * *

ولعل أول إكليل يناله الإنسان يكون في المعمودية ، حينما يخرج منها في بز ، وقد
لبس المسيح " (غل ٣: ٢٧) . وهكذا يلبس المعمدون أكاليل ذهب ، أكاليل فضة أكاليل
حجر كريم ، وضعها الرب على المعمدين الأطهار .. "

إن أجمل إكليل قد لبس ، هو إكليل الشوك الذي لبسه السيد المسيح له المجد
(مر ١٥: ١٧) .

وبهذا الإكليل في الألم والبذل ، يمنحنا كل الأكاليل الأخرى .



فضائل ولكنها وحدها لا تكفي

لحياناً يقول البعض : إننى أصوم وأصلى ، واعترف وأتناول ، وأقرأ الكتاب المقدس
والكتب الروحية ، وأخدم وأتصدق ، وأسلك فى فضائل كثيرة .. ومع ذلك فحياتى
لروحية متوقفة لا تنمو .. ! فلماذا ؟

لعلها فضائل ناقصة . تنقصها صفة جوهرية .
إما ناقصة فى طبيعتها أو فى هدفها ، أو تنقصها فضائل أخرى يجب أن ترتبط

وعلى هذا الأساس ، سنتناول فضائل كثيرة ونظلمها ...

للصوم :

فى فترة الصوم : كثيراً ما يقول الواحد منا : صمت هذا الصوم سنوات عديدة ، كما
صمت غيره من الأصوام أيضاً . ومع ذلك فحياتى كما هى ! لماذا إذن لم استقد من
صومي ؟

إن الصوم لاشك فضيلة كبيرة ، حتى أنها تساعد على إخراج الشياطين حسب قول
الرب (مت ١٧ : ٢١) . ولكن أى صوم تصوم أنت ؟

* * *

ربما تظن أن الصوم هو صوم الجسد . وربما تظن أن الصوم هو الإمتناع عن الأكل!
ولكن الإمتناع عن الطعام وحده لا يكفى . إن الزهد فى الطعام هو الأهم .
الزهد هو الذى يدل على إرتفاع القلب فوق مستوى المادة ، وفوق مستوى الأكل ،
وهذا هو الأهم ، وهو المفيد لك روحياً ... لأنك بهذا تدخل فى روحانية الصوم .
وصوم الجسد وحده لا يكفى ، لا بد أن يصحب الصوم بصوم النفس .
لا بد أن تصوم فكرياً عن الأخطاء ، وتصوم قلبك عن المشاعر والعواطف الرديئة ،
وكذلك تصوم لسانك عن الكلام الباطل .

* * *

ومع ذلك فكل هذه الفضائل في الصوم لا تكفى . إنها تمثل فقط العنصر السلبي من الصوم ، وهو البعد عن أخطاء الفكر واللسان والقلب وشهوات النفس .
صوم الجسد والنفس لا يكفى . لابد أن يضاف إليه غذاء الروح .
ولذلك نقول فى صلوات القديس الإلهي " الصوم والصلاة هما اللذان يخرجان الشياطين " ، وليس الصوم وحده . إننا نصوم لكي نخرج من نطاق الجسد والمادة ، وندخل فى نطاق الروح ... فيجب أن نعطي الروح فرصتها أثناء الصوم . ويجب أن تعرف حقيقة هامة وهى :

الصوم ليس فضيلة للجسد ، إنما هو فضيلة للروح .

* * *

ننتقل بعد هذا إلى مثال آخر ، وهو :
الصلاة فضيلة من أهم الفضائل ، حتى أن كثيراً من القديسين تفرغوا لها .. ولكن ما هى الصلاة فى مفهومك ؟ أتراها مجرد الكلام مع الله ؟!
إن الكلام مع الله وحده لا يكفى .

فهناك خصائص روحية ، إن لم ترتبط بالصلاة ، فالصلاة وحدها لا تكفى ! ينبغي أن يضاف إلى الصلاة عنصر الحب ، كما قال داود النبي " محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى " (مز ١١٩) " باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " .. والصلاة بغير حب ليست صلاة ، وهى غير مقبولة من الله الذى قال " هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (مر ٧ : ٦) .

* * *

يجب أن تضاف مشاعر كثيرة للصلاة ، لأنها وحدها لا تكفى .
الحب ، والخشوع ، والفهم ، والحرارة ، والإيمان .. وكذلك أيضاً نقاوة القلب ، لأن "صلاة الأشرار مكرهة للرب " كما يقول الكتاب . وقد قال الرب لبني إسرائيل أيام أشعيا ، النبي " حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع . أيديكم ملأته دماً " (اش ١ : ١٥) .

* * *

إن الصلاة وحدها لا تكفى ، بدون نقاوة القلب .
ولا يقل إنسان " أنا أصلى " ، ويظن أن الصلاة مجرد ألفاظ !

الإعتراف :

الإعتراف بالخطية فضيلة ، وله فوائد كثيرة ، روحياً وعقائدياً .. ومع ذلك الإعتراف وحده لا يكفي ، إذ ليس هو مجرد سرد للخطايا في سمع الأب الكاهن وفي كلمات الصلاة ...

ينتهي أن يضاف إلى الإعتراف عنصر الندم والخزي .

مثلاً فعل العشار الذي وقف من بعيد ، لا يجسر أن يرفع عينيه نحو السماء وقرع صدره قهقراً : لرحمني يا رب فإني خاطئ (لو ١٨ : ١٣) . لذلك خرج مبرراً . إن بطرس الرسول بعد خطيته بكى بكاءً مرأً (مت ٢٦ : ٧٥) . وداود النبي بلل فراشه بدموعه (مز ١٠١) . وأنت هل تعترف بعين جافة ، وبلا ندم . انظر إلى دانيال النبي وهو يقول " لك يا سيد البر . أما لنا فخرى الوجوه .. لنا خزي الوجوه .. لأننا أخطأنا إليك " (د ٧ : ٨ ، ٧) .

* * *

هكذا الإعتراف وحده لا يكفي ، إن كان بلا توبة .

لذلك سر الإعتراف في الكنيسة يسمى سر التوبة .

يلزمه الإيمان بروح التوبة ، بعزيمة صادقة أنه لا يعود إلى الخطية مرة أخرى ، بدلاً كل جهده في ضبط نفسه وفي البعد عن كل أسباب الخطية وعثراتها .

* * *

وفي إعترافه يحاول أن يصلح نتائج خطيته .

مثلاً قال زكا العشار في اعترافه وتوبته : إن كنت ظلمت أحد في شيء ، أرد أربعة أضعاف " (لو ١٩ : ٨) . وهكذا لا يقتصر الإعتراف على الماضي ، وإنما يتدرج للعمل بكل جهد من أجل المستقبل .

* * *

والإعتراف مفيد إن كان مصحوباً أيضاً بالإلتضاع .

إنسان معترف بخطيته ، يعامل نفسه كخاطئ ، وغير مستحق . لا يرتفع على غيره ولا يتعالى ، لأنه عارف بضعفه وبأنه أيضاً خاطئ . ولا يعود يفتخر في المستقبل ، لأنه ينكر ماضيه . ويضع خطيته أمامه في كل حين (مز ٥٠) . ويحتمل كل ما يأتيه ، لأنه معترف بخطيته وشاعر بأنه يستحق كل جزاء .. مثلاً حدث لداود النبي لما شتمه شمعي

بن جيرا ، وسبّه باملوب جارح .. فقال هذا النبي العظيم المعترف بخطيته : " الرب قال له سب داود " (٢صم١٦ : ١٠) .

من كل هذا يبدو أن الإعتراف وحده لا يكفي .
فرعون قال أكثر من مرة " أخطأت " ولكن بلا توبة .
قال لموسى وهرون " أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما . والآن اصفحا عن خطيتي هذه المرة فقط .. " (خر ١٠ : ١٦) . وقال قبل ذلك " أخطأت هذه المرة . الرب هو البار ، وأنا وشعبي الأشرار " (خر ٩ : ٢٧) .. ولكنه كان اعترافاً بلا توبة ، وبلا رجوع الى الحق . وظل قلبه قاسياً وهلك ...

القراءة :

القراءة في الكتاب المقدس والكتب الروحية لها تأثيرها الكبير في القلب . وهي فضيلة نافعة ، لأنها واسطة من وسائط النعمة .
فالقراءة وحدها لا تكفي ، بلا فهم ولا روح ولا تطبيق .
فالمفروض أن الإنسان الروحي يقرأ بعمق ، ويدخل إلى روح الكلمة ، ويحولها الى حياة ، كما قال الرب " الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة " (يو ٦ : ٦٣) .
لذلك لكي تكون القراءة الروحية نافعة ، ينبغي أن ترتبط بالممارسة العملية والتدريب الروحية ، ولا تكون مجرد معلومات ، أو مادة للوعظ أو التباهي بالمعرفة ، أو لمجرد الدراسة . وإنما الإنسان يقرأ ، ويطبق على نفسه ويجعل القراءة تكشف له أخطائه ، وتحنه على تركها ...

العطاء :

العطاء فضيلة جميلة جداً ، بسببها قال الرب لكثيرين " تعالوا يا مباركي أبي ، رث الملك المعد لكم .. لأنني كنت جوعاناً فأطعمتموني ، عطشاناً فسقيتموني ، عرياناً فكسوتموني .. " (مت ٢٥ : ٣٤ ، ٣٥) . ومع ذلك فالعطاء وحده لا يكفي . لماذا ؟

لا بد أن يمتزج العطاء بالفرح ، ولا يكون بتذمر . كقول الكتاب :

" المعطي المسرور يحبه الرب " (١كو٩: ٧) .

لأن كثيرين يعطون عن إضطرار ، ويدفعون العشور بتضرر .. !

* * *

كذلك ينبغي أن يكون العطاء فى الخفاء وأن يعطى الإنسان بسخاء . ولا يقتصر فى عطائه على ما يفضل عنه ، أو يعطى فقط الأشياء المرفوضة .

* * *

وتظهر فضيلة العطاء ، إن كان الإنسان يعطى أفضل ما عنده ، أو يعطى من أعوازه.

كما أعطت الأرملة من أعوازها ، فامتدحها الرب (مر١٢ : ٤٤) .

كما قدم هايبيل محرقة من أبقار غنمه ومن سمانها (تك٤ : ٤) .

كذلك يشعر فى عطائه أنه سيعطى المسيح ، ويقول له فى عطائه " من يدك أعطيناك "

(١أي : ٢٩ : ١٤) .

والعطاء بغير هذه المشاعر كلها ، يكون فيه نقص كفضيلة .

الإيمان :

بظن البعض أن الإيمان كل شئ ، ويقتصر على مجرد الإيمان النظرى أو الإسمى

بالمسيح . ولا يفيد هذا الإيمان كثيراً ، كما قال القديس يعقوب الرسول :

" إيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) .

* * *

وليضاً قال القديس بولس الرسول " إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، وليست

لى محبة ، فلست شيئاً " (١كو١٣ : ٢) . فماذا ينتفع الإنسان إن كان له إيمان بدون ثمر؟!

إن كان إيمانه غير عامل بالمحبة؟! " (غل ٥ : ٦) .

* * *

لا يخلصك مجرد الإيمان بالمسيح ، إنما بالأكثر أن يحيا المسيح فيك .

وفى ذلك تترنم مع القديس بولس قائلاً " لكى أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فى " (غل ٢ :

٢٠) .

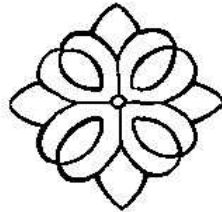
تؤمن بالمسيح ، هذا حسن جداً ، ولكنه لا يكفي . بل ينبغي أن تتبناه ، وكما سلك
ذلك، تحاول أن تسلك أنت أيضاً (١ يوحنا : ٢ : ٦) . ويكون لك شركة معه ، وتتناول من
دمه ، وتموت وتقوم معه ، وتكون لك أيضاً شركة مع الروح القدس . وتسلمه
حتى يعمل هو فيك . ثم تنظر إلى كل ما عمله فيك .
أنا يارب من ذاتي لم أعمل شيئاً . وإنما كل شيء بك كان ، وبغيرك لم يكن شيء
كان (يوحنا : ١ : ٣) .

العبادة :

العبادة فضيلة بلا شك . ولكنها وحدها لا تكفي ، إن كانت بعيدة عن الله ، ولا تص
عن نقاوة قلب . وقد وبخ الرب شعبه على هذه العبادة الباطلة في أيام أشعياء النبي
لهم عن هذه العبادة " أبغضتها نفسي . صارت عليّ ثقلاً . مللت حملها " .
تأتون إليّ بتقدمة باطلة .. لست أطيق الإثم والاعتكاف " (أش : ١ : ١٣ ، ١٤) .
كذلك العبادة لا تكفي ، إن كانت بلا روح ، بلا حكمة ، بلا إتضاع .

النشاط :

ما أكثر الذين يملأون الدنيا حيوية ونشاطاً ، ولهم الكثير من الإنجازات والأعمال
مجالات متعددة ...
ولاشك أن هذه فضيلة ، ولكنها وحدها لا تكفي ، إن لم تكن مقرونة
والهدوء . لأن النشاط الذي يرتبط بالافتخار والمجد الباطل ليس فضيلة . وكذلك
الذي يحثك فيه الإنسان بالغير ويجور عليه ، ليس فضيلة ...



إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال

(مت ١٨ : ٣)

إنها وصية عجيبة وخطيرة كشرط أساسى وهام لدخول ملكوت السموات، بحيث إن لم نسلك فى الطفولة الروحية فلن ندخل الملكوت .

خطورة الوصية

هناك أمور جوهرية تمنع الملكوت .

مثال ذلك قول الرب " إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت لله " (يو ٣ : ٥) . وقوله أيضاً " إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم " (يو ٦ : ٥٣) . وقوله كذلك " إن لم تؤمنوا بى أنا هو، تموتون فى خطاياكم " (يو ٨ : ٢٤) . وكذلك " إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون " (لو ١٣ : ٣، ٥) . وهكذا جعل الرب هذه الأمور كلها لازمة للخلاص: المعمودية، والتناول، والإيمان، والتوبة .

ونراه يضع شرط الرجوع إلى شبه الأطفال لازماً لدخول الملكوت .

بنفس عبارة " إن لم .. " التى قالها عن المعمودية والتناول والإيمان والتوبة، إذ يقول لتلاميذه للقديسين " الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات " (مت ١٨ : ٣) .

وهذا يدل على خطورة هذه الوصية . ويجعلنا نتساءل :

* * *

ما هى الصفات التى يتصف بها الطفل ،
حتى نحاول أن نتشبه به ونصير مثله ؟

نحن نظن أننا نعظم الأطفال ، ونقف أمامهم كقدوة ، وهذا الرب يعكس الأمر، ويضع الأطفال أمامنا كقدوة، حتى نتشبه بهم ، وإلا .. فإنه يقدم لنا تحذيراً خطيراً ، وهو عدم دخول الملكوت .

* * *

طبعاً لا نتشبه بالطفل في العقل ، وإنما في القلب والروح والنفسية . والمقصود طبعاً أن نتشبه بالطفل السوي ، وليس الذي ولد بميول أو طباع منحرفة ، سواء بالوراثة ، أو لأسباب أخرى .

صفات الأطفال

* أول صفة للأطفال هي البراءة والبساطة .

وهكذا كان أبونا آدم قيل أن يعرف وهكذا كانت أمنا حواء . إذن كأن الرب يقول لنا : إن لم ترجعوا إلى البراءة والبساطة، فلن تدخلوا الملكوت ...
الطفل في بدء حياته ، لا يشك في شيء . يقبل الأمور في براءة وثقة ، إلى أن يغيره المجتمع ، ويدخل الشك إلى قلبه ، وفي طباعه فتعكر نقارته . وقد يزيد الشك عنده فيصبح مرضاً ، سواء وُجد سبب للشك أم لم يوجد .

* * *

* الطفل يتصف أيضاً بحب المعرفة والتعليم .

فهو يسأل ويريد أن يعرف ، ولا يخجل من السؤال والإقرار بعدم المعرفة . وهو يقبل التعليم، وعن طريقه ينمو في المعرفة يوماً بعد يوم .
أما الكبار ، فقد يمنعهم عن التعليم : إما كبرياء لا تريد أن تظهر أنها لا تعرف ، أو يمنعهم الخجل، أو الإكتفاء بما هم فيه من معرفة . وكلما كبر الإنسان في سنه، قد يخجل من التعلم ، لئلا يخطئ أثناء تدريبه فيخجل من خطئه . لذلك فالطفل أقدر على تعلم اللغة من كبير السن ، لأنه لا يخجل أن ينطق ولو نطقاً خاطئاً يصححه له معلمه ، بينما الكبير لا يفعل .

* * *

حاول إذن أن تنمو في المعرفة ، وأقصد المعرفة النافعة لك .

و مادامت قد كبرت في السن ، أمامك ألوان أساسية في المعرفة غير ما يسعى إليه

الطفل . عليك أن تعرف نفسك ، وأن تعرف الله، وتعرف الحق، وتعرف الطريق السليم الذى يوصلك . وليكن لك التواضع الذى به تسأل وتطلب المعرفة ، دون أن تخجل. ودون أن ترتى فوق ما ينبغى ، ظاناً أنك تعرف .. ودون أن تكون حكيماً فى عينى نفسك ...

* * *

* من صفات الطفل أنه دائم النمو .

قيل عن يوحنا المعمدان فى طفولته " أما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح . وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل " (لو ١ : ٨٠) . وقيل أيضاً عن الطفل يسوع " وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " (لو ٢ : ٥٢) .
من جهة القامة ، يصل الكبار إلى حد معين لا تنمو فيه قامتهم. ولكن هناك مجال آخر ينبغى أن يمارسوا فيه صفة النمو . وهو النمو فى الروح، فى العقل ، فى المعرفة ، فى الحكمة، فى كل فضيلة وعمل صالح .

* * *

* تعجبني فى الطفل أيضاً صفة البشاشة .

هو باستمرار يحب البشاشة ، يحب المرح ، يحب أن يضحك، ويحب من يضحكه. إنه لا يحمل هموم الدنيا فوق كتفيه كما يفعل الكبار. ولا يحمل همأ ، ولا يفكر فى مشاكل الغد ومشاكل المستقبل، إنما يلقى كل ذلك - إن صادفه - على أبيه أو أمه، ويملك السلام على قلبه، حتى فى أشد الأوقات خطورة. تجد البيت كله منزعجاً، متوقفاً شراً ، ما عدا الطفل .

أريد لك يا أختى هذا السلام وهذا الفرح ، فهما من ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) .

* * *

* من الصفات الجميلة فى الطفل أنه لا يحمل حقداً .

قد يوجد ما يغضبه أو يضايقه أو يحزنه - ولكن هذا كله يأخذ وقته وينتهى فى وقته ، دون أن يحزنه فى قلبه أو فى مشاعره. وما أسرع أن يتصافى ويلعب مع طفل آخر كان يتعارك معه منذ لحظات .

الذين يخزنون الإساءة هم الكبار ، فى ذاكرتهم التى كثيراً ما تتسى الخير ، ولكن لا تتسى الإساءة . ويتحول الغضب عندهم إلى حقد وإلى عداوة، وربما رغبة فى الإنتقام. وهؤلاء يقول لهم الرب " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال .. " .

إن الطفل سريع التصالح . وقد يضربه أبوه أو أمه . ويسرعة يأتى فيرتدى فى
حضنها . وفى العطف والحنان الذى يأخذه، ينسى كل ما حدث .

* * *

★ ليتنا نكون أيضاً مثل الطفل فى حبه الكبير .

الحب الذى يتسع لكثيرين . والذى فيه يتصادق بسرعة مع كثيرين، ويزيد عدد معارفه
وأحبائه . ويجعل الآخرين يحبونه، دون أن يعرف تحزباً . وقد يتشاجر الأب والأم معاً .
بينما الطفل يحب الإثنين معاً بل قد يعمل على مصالحتهمما ...

* * *

★ والطفل عنده الإيمان والثقة .

بعض الطوائف لا تعتمد الأطفال ، وتنتظر إلى أن يؤمنوا أولاً . ولكننى أقول ليتنا
جميعاً نكون مثل الأطفال فى عمق إيمانهم . الأطفال الذين يقبلون كل حقائق الإيمان دون
أدنى شك أو سؤال .

إن الطفل يولد مؤمناً ، تقول له نصلى ، يصلى . ترفع يدك إلى السماء وتقول يارب،
يفعل مثلك . يؤمن أن الله قادر على كل شئ، ولا يشك فى ذلك . بل يؤمن أن أباه الجسدى
يقدر أن يعطيه كل شئ، وأن يحميه من كل خطر ولا شك ... إيمان الطفل إيمان عجيب،
لا يفسده إلا الكبار ، حينما يدخلون إلى ذهنه أموراً تؤذيه .

* * *

★ الطفل أيضاً يتميز بالصدق ، ولا يجامل على حساب الحق .

وهو لا يعرف الرياء . فإن كان يحبك يقول لك إنه يحبك . ويكون ذلك من قلبه، وهو
صادق فيما يقول . وإن كان يخافك أو قد آذيتة قبلاً ، لا يمكن أن يجاملك كذباً ويقول لك
إنه يحبك . بل يقول لك رأيه فىك بصراحة . إنه لا يعرف النفاق . هو صادق فى التعبير
عن مشاعره .

* * *

★ محبة الأطفال محبة حارة أكثر من محبة الكبار .

وهى محبة بريئة وظاهرة . إنه يرتدى فى حضن من يحبه بكل عواطفه .
وقد يبكى من كل قلبه ، لأن أباه قد غاب عنه، أو أمه قد غابت عنه . ولا يستريح إلا
إذا وجد من يحبه . ليتنا نحب مثلما الأطفال يحبون .

★ والطفل يشتهي المثل العليا .

إنه يستطيع أن يميز بفطرته . لذلك فهو يحب الخير بطبيعته . وله ضمير لم يفسده المجتمع يميز به بين من يحبه ومن لا يحبه ، وبين الإنسان الخير الذى يتصف بالروح الطيبة وغير ذلك . وهو يستطيع أن يحكم عليك من مجرد النظر إلى ملامحك . يعرف داخلك من نظرة عينيك، ومن تقاطيع وجهك ، ومن نبرة صوتك . وهو حساس جداً ، وحسه سليم . إنه لا يقبل أن يرى أباه غاضباً أو ثائراً، مقطب الملامح أو الجبين ، أو محتد الصوت . كل هذا ضد مثله العليا .

★ ومن الأشياء الجميلة فى الطفل أن فضائله طبيعية تلقائية .

بلا تصنع ، بلا تمثيل ، بلا جهاد فى الوصول إلى الفضائل ، فهى فيه بالفطرة .. لا يحاول أن يظهر فى زى فضيلة ليست فيه . لا يجاهد ليحصل على البساطة ، فهو بسيط بطبيعته . وهكذا باقى الفضائل .

★ الطفل ليس عنده غرور .

حتى عندما تمدحه . يرضى لكى يشعر بأنه تصرف حسناً ، دون أن يتكبر . الغرور رذيلة تتعب الكبار ...

المسيح والأطفال

كان السيد المسيح يحب الأطفال . وكان يحتضنهم ويباركهم (مر ١٠ : ١٦) . وكان يحذر الناس من أن يسببوا لهم عثرة . وهكذا قال " من أعتز أحد هؤلاء الصغار ، فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويفرق فى لجة البحر " (مت ١٨ : ٦) . وقال فى محبته للأطفال " أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار .. " (مت ١٨ : ١٠) . بل جعلهم مثلاً يتشبه الكبار بهم .

والتاريخ وضع أمامنا أمثلة لأطفال قديسين .

مثل الطفل أبانوب الذى تبنى على اسمه كنائس فى مصر والمهجر . ومثل الطفل قرياقوص ابن القديسة يوليطة . ومثل صموئيل الطفل الذى كلمه الله وأرسله يحذر على

الكاهن العظيم . ومثل القديس شنودة رئيس المتوحدين في طفولته ... والأمثلة كثيرة. ليتنا نرجع ونصير مثل الأطفال في فضائلهم .

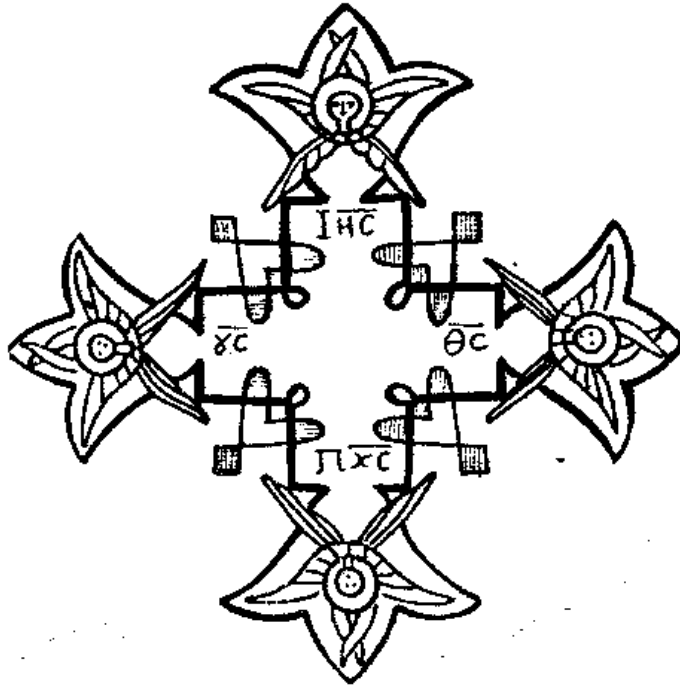
* * *

إن طبيعة الطفل الفاضلة هي أمثلة طيبة قبل أن تفرس فيه البيئة والتربية صفات أخرى لم تكن من طبيعته الأصلية .

وقبل أن يتعلم ممن حواليه أموراً يريدونها له لكي يصبح مثلهم في طباعهم ، وقد لا تكون طباعهم مقدسة ولا صالحة ولا فاضلة!..

* * *

إنما السيد المسيح حينما أوصانا أن نرجع ونصير مثل الأطفال، إنما قصد أن نرجع عما اكتسبناه من صفات غرستها فينا البيئة والتربية والتعليم ، ونصير في الطبيعة التي أرادها الله لنا ، في البراءة التي كانت لأدم وحواء قبل الخطية، وقبل أن يأخذا من مصدر خارجي هو الحية ...



فضيلة ضبط النفس

قال سليمان الحكيم "البطئ الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير ممن يملك مدينة " (أم ١٦ : ٣٢) .

فمن هو إذن الذي يملك روحه ؟ أى الذى يضبط نفسه ؟

لاشك أن ضبط النفس يشمل عناصر كثيرة منها :

ضبط اللسان ، وضبط الفكر ، وضبط الحواس ، وضبط البطن (من جهة الأكل) ، وضبط الرغبات والشهوات ، وضبط الأعصاب (من جهة الغضب) ، وضبط كل تصرفات الإنسان .

ضبط اللسان :

يقول الحكيم أيضاً " كثرة الكلام لا تخلو من معصية ، أما الضابط شفثيه فعاقل " (أم ١٠ : ١٩) . ويقول القديس يعقوب الرسول " وأما اللسان فلا يستطيع أحد أن ينلله . هو شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً " (يع ٣ : ٨) . لذلك قال الرسول أيضاً :

إن كان أحد لا يعثر فى الكلام ، فذلك رجل كامل ، قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً " (يع ٣ : ٢) .

ومن أجل هذا كان المرئم يلتمس معونة الله قائلاً :

" ضع يارب حافظاً لى ، باباً حصيناً لشفتى " .

* * *

والذى يضبط لسانه يتجو من خطايا عديدة جداً .

فلا يقع فى إهانة الآخرين بالشتيمة أو التهكم أو التوبيخ القاسى ، أو التهديد ، أو الترفع عليهم . ولا يقع فى الكذب ولا المبالغة ولا الحلفان ولا التجديف ... ولا فى كلام المجون ، ولا فى التثرثرة ... ولا فى المعلومات الخاطئة ، ولا فى الإفتخار والبر الذاتى ، والحديث عن النفس ، ولا فى إدانة الآخرين ، ولا كلام الغضب بل أن الكتاب يقول :

" بل الأحمق إذا سكت ، يحسب حكيماً " (أم ١٧ : ٢٨) .

وضبط الشفتين له فوائد إيجابية كثيرة :

فالذى يضبط شفتيه ، يعطى نفسه فرصة للتروى والتفكير قبل أن يتكلم ، ويأخذ فرصة أيضاً لإنتقاء الألفاظ واختيار الكلمة المناسبة ، وحسبان ربود الفعل لكل ما يقول .

* * *

لأن الكلمة التى نقولها تحسب عليك ، مهما اعتذرت عنها .
فأدمنت قد لفظتها ، ووصلت إلى آذان الناس وإلى أذهانهم ومشاعرهم ، لم تعد ملكاً لك وحدك تتصرف فيها ! لقد كنت تحكم عليها قبل أن تقولها . أما بعد كلامك فقد أصبحت هى التى تحكم عليك " لأنه بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان " (مت ١٢ : ٣٧) .
يكفى أن القديس أرسانيوس قال مرة :

" كثيراً ما تكلمت فندمت . أما عن سكوتى فما ندمت قط " .

* * *

لذلك اضبط لسانك . القديسون أيضاً كانوا يسكتون لكى يعطوا أنفسهم فرصة للصلاة وللتأمل ، كما قال الشيخ الروحانى " سكت لسانك لكى يتكلم قلبك " وأيضاً "كثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل ، أى من عمل الصلاة " . قال حكيم :
" ليس كل ما يسمع يقال . وليس كل ما يقال يكتب " .
فليس كل ما تسمعه ، تردده على أذان غيرك ، وإلا فإنك قد توقع بذلك بين الناس .
وتصل إلى النعمة أو إلى الغيبة ؟ وأخطر من ذلك ما تكتبه ، لأنه يصير وثيقة عليك .

ضبط الفكر :

فاحرس إذن أفكارك . ولا تقبل كل فكر يأتى إليك . واحرص على أن تكون أفكارك نقية . وإن وصل إليك فكر خاطئ ، احذر من التعمد فيه والتعامل معه . اطرده بسرعة لئلا يسيطر عليك ، ويتحول إلى مشاعر فى قلبك .

* * *

احذر من أفكار الغضب والإنقام والشهوة ، ومن أفكار الإدانة وأفكار الأباطيل ، وأيضاً من فكر الحسد والغيرة والحقد ، ومن أفكار الكبرياء والمجد الباطل ... ومن كل فكر لا يمجده الله . وإن لم تستطع ، فانصت إلى المثل الذى يقول :
إن لم تستطع أن تمنع الطير من أن يحوم حول رأسك ، فعلى الأقل لا تجعله يعيش فى شعرك .

لا تستيق في داخلك فكراً خاطئاً . وحاول أن تشغل ذهنك باستمرار بأفكار نافعة ، أو بتأملات روحية ، حتى إن حارب الشيطان أفكارك لا يجدها متفرعة له ...
وهناك وسيلة أخرى لحفظ الفكر وهي ضبط الحواس :

ضبط الحواس :

الحواس هي أبواب للفكر . فأحرص هذه الأبواب :
اضبط السمع والنظر واللمس ... حتى لا تدخل إليك فكراً خاطئاً . ولتكن حواسك طاهرة . وما تقع عليه حواسك بدون إرادتك ، لا تفكر فيه ، ولا تعد إليه بإرادتك ...
قد تكون النظرة الأولى مصادفة أو بغير إرادتك . ولكن النظرة الثانية لاشك أنها إرادية تحاسب عليها .

اعرف أن حواسك لا تجلب لك أفكاراً فقط ، وإنما قد تترسب في عقلك الباطن ،
وتتحول إلى أحلام وظنون ...
فضبط الحواس يساعد إذن على نقاوة الفكر ، ونقاوة الأحلام والظنون . بل يساعد
على نقاوة المشاعر أيضاً .

ضبط المشاعر :

لتكن مشاعرك منضبطة . وإن وجدت شعوراً خاطئاً قد دخل إلى قلبك ، فلا تتجارب
معه . بل أطرده بسرعة ، قبل أن يرسخ فيك . وحاول باستمرار أن تحتفظ بنقاوة قلبك .
لا تستسلم لأية شهوة أو رغبة خاطئة .
بل قاومها ، قال القديس بولس الرسول " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد
الخطية " (عب ١٢ : ٤) .

لا تجعل الأمر يتطور معك إلى أسوأ ...
اضبط حواسك حتى لا تجلب لك فكراً . وإن وصل إليك الفكر ، اضبطه حتى لا
يتحول إلى شعور وإلى شهوة . وإن وصلت إلى مستوى الشهوة ، اضبطها حتى لا تتحول

إلى عمل ... وإن تدرجت إلى العمل ، فامتنع عنه بسرعة ، حتى لا يتحول الى عادة
ويسيطر عليك ...

أغضب نفسك باستمرار :

واعرف أن التغضب يدريك على قوة الإرادة ...
اغضب نفسك على تنفيذ الوصية ، وعلى الطاعة والخضوع .
اضبط نفسك في طاعة الرب ، وفي طاعة لقانون والنظام العام . ولا تتحايل على
مخالفة قانون ، أو مخالفة ضميرك ، ولا تجلب لنفسك الأعذار . ولا تسمح أن يتسع
ضميرك لقبول أشياء كثيرة ...

* * *

اعرف أن الأعتار والتبريرات هما عنوان خطيران لضبط النفس .
فلا تعثر نفسك في أى خطأ من الأخطاء . وبدلاً من أن تكلل نفسك ، حاول أن
تقومها، وترغمها على عمل الخير ، وتبعدها عن كل شر وشبه شر .

محبة الذات :

اضبط نفسك من جهة محبة الذات . فقد قال الرب " من يحب نفسه يهلكها . ومن
ييغض نفسه في هذا العالم ، يحفظها إلى حياة أبدية " (يو ١٢ : ٢٥) .
ابعد عن محبة الذات ، وعن محبة النصيب الأكبر ، وعن محبة المتكآت الأولى . ولا
تفضل ذاتك على غيرك . ولا تجعل راحتك على تعب الآخرين . وإن وجدت ذاتك منقاداً
في طريق خاطئ ، اضبط مسيرتها .

* * *

واضبط نفسك من جهة الإنفعال والتهور ، ومن جهة إتخاذ أى قرار سريع .
إن وجدت نفسك منفعلاً ، اضبط أعصابك ، واضبط لسانك ، واضبط ملامحك
واضبط حركاتك ، ولا تسمح لنفسك بأن تخطئ في حق غيرك ، مهما أخطأ هو في حقك .

* * *

واضبط نفسك من جهة استخدام الحرية .
حسن أن تتمتع بالحرية . ولكن لتكن حريتك منضبطة .

لتكن حرية ظاهرة لا تفعل فيها ما لا يليق . ولتكن حرية مسالمة وعاقلة ، لا تتعدى فيها على حريات الغير ولا على حقوق الغير ، ولا على النظام العام .
ليتحرك قلبك أولاً من كل خطأ . فإن تحررت من الداخل ، يمكنك أن تستخدم حريتك الخارجية بحكمة وسلام .

الضبط الخارجي :

اعرف أنك إن لم تتضبط من الداخل ، فسوف ترغم على الإنضباط من الخارج .
كإنسان يرغمه على الإنضباط : القانون والعرف والعقوبة . وكابن لا ينضبط من تلقاء نفسه ، فيضبطه التأديب وتربية والديه له . وكأى إنسان يضطر إلى الإنضباط بطريق الخوف ...

وهناك من يضطر إلى الإنضباط بدافع الخجل من الناس ، أو الخوف من الإنكشاف ومن الفضيحة .

أو لص يضطر إلى الإنضباط مؤقتاً خوفاً من الحراس .
أو إنسان يضطر إلى الإنضباط نتيجة للتوبيخ .
أو نتيجة لوجود موانع كعدم وجود قدرة ، أو عدم وجود فرصة ، أو لمقاومة الآخرين له . وكلها أسباب غير روحية .

أما الشخص الروحي فينضبط من الداخل ، بإرادته ، حباً منه للتخير ، وحباً منه لله وتقويماً منه لنفسه .

وإنضباطه الداخلى يساعده على الإنضباط من الخارج أيضاً . أو أن إنضباطه الخارجى يكون هو التعبير العملى على الإنضباط الداخلى .

على أنه باستمرارية الإنضباط الخارجى ، سواء أكان الإنسان مرغماً عليه من الخارج ، أو أنه يغضب نفسه على ذلك . بهذا الإستمرار قد يتعود الإنسان أن يكون منضبطاً ...

نفوس مريجة ونفوس غير مريجة

النفوس المريجة هي التي تريح غيرها .

قد يجلس إنسان معك ، فتستريح لوجوده معك ، وتود لو أن جلسته تطول مهما مر الوقت . بينما يجلس إليك آخر ، فتظل تعد الدقائق وتتمنى لو أنه رحل عنك . ذلك لأن أحدهما مريح والآخر متعب .

إنسان يمرّ عليك كالنسيم الهادئ أو النسيم العطر .

وآخر يمرّ بك ، وكأنه عاصفة هوجاء .

فما هي إذن النفس المريجة ؟ وما هي صفاتها ؟

ولماذا تكون نفوس بعض الناس متعبة وغير مقبولة ؟

★ ★ ★

أول نفس مريجة في تاريخ كل إنسان هي أمه .

يرى الطفل راحته في صدرها الدافئ ، وفي رضاعته منها ، وفي نظراتها الحانية ،

وفي إبتسامتها، وفي إستجابتها لإحتياجاته... ومعها يشعر بالإطمئنان والأمن .

والطفل الرضيع الذي نظن أنه لا يدرك شيئاً ، من العجيب أنه يستطيع أن يميز أمه -

أو مرضعته - عن أى امرأة أخرى . فهي حينما تحمله تبتسّم له، وبتبسم هو لها فى فرح

وبشاشة وبراءة . بينما تحمله امرأة أخرى ، فيصرخ ...

* * *

الطفل حساس جداً من جهة ملامح الناس .

هو لا يتضايق مما يقال له من كلام ، لأنه لا يفهمه ، ولكنه يفهم الملامح : يميز

النظرة المريجة من النظرة المتعبة . ويميز الملامح البشوشة من الملامح المزعجة .

يطمئن إلى النفس المريجة من نوع النظرة ، وشكل الملامح ، ونبرة الصوت . ويميز

النفس المريجة التى تداعبه وتلاعبه . لذلك احترسوا فى ضبط ملامحكم حينما تقابلون

الأطفال . واحترسوا من جهة الإنتهار والتوبيخ، لأن الملامح فيه لا تكون مريجة .

★ ★ ★

وصدقونى ، نفس الأمر يكون فى معاملة الكبار .

هم أيضاً يحتاجون إلى التعامل مع النفوس المريحة . يريحهم شئ الإنسان : كما تريحهم أيضاً ملامحه ، ومعاملاته . وربما ترى شخصاً لأول مرة ، فلا تستريح إليه ... لا تستريح إلى تعبيرات وجهه، ولا إلى نبرة صوته، ولا إلى حركاته ، ولا إلى شكله جملة ... يوحى إليك بعدم الإطمئنان وعدم الثقة .

ويحدث هذا أحياناً في إختيار الأصدقاء . هناك من تتجذب إليه، وتشعر من أول مرة كما لو كنت تعرفه منذ زمان . وآخر تنفر منه تلقائياً .

★ ★ ★

نفس الكلام نقوله أيضاً عن الأطباء.

هناك طبيب يستريح إليه المريض : فى بشاشته من جهة، وفى شرحه للمرض ولللاج . وفى إعطائه بريقاً من الأمل والرجاء مهما كان خطيراً . ويشعر المريض بالإطمئنان إلى أنه فى يد أمينة ، ومع قلب عطوف ... بينما طبيب آخر - بعد مقابلته للمريض - يخرج المريض منهراً .

* * *

ونفس الوضع بالنسبة إلى أب الإعراف .

أب الإعراف المريح ، هو الذى يعرف نفسية المعترف وظروفه وحروبه ، ويعطيه من الإرشادات ما يمكنه تنفيذها ، ويقود إلى التوبة وإلى الحياة الروحية فى هدوء وفى تدرج معقول . ويشعره بالحب والحنو ، ويفتح له باب الرجاء مهما كانت خطاياها . ويقوده إلى فتح قلبه فى الإعراف بكل إطمئنان .

أما أب الإعراف غير المريح ، فهو الذى يرتبك المعترف أمامه، ولا يدري ما يقول . وربما يخاف ولا يستطيع أن يكمل إعرافه . يخشى إنتهاره له، أو فسوته عليه ، أو تغيير فكرته عنه، أو حرمانه من التناول ، أو قسوة عقوبته ... بينما أب الإعراف المريح ، قد يعاقب ولكن فى إجمال المعترف ، مقنعاً إياه بأن العقوبة نافعة له فى تقويم حياته وفى إراحة ضميره ...

من صفات النفوس المريحة :

✽ الإنسان البشوش نفسه مريحة .

الناس يحبون البشاشة، ويستريحون للوجه البشوش، الذى من فيض سلامه القلبى

يفيض بالراحة والسلام القلبي على كل من يقابله ...

البشاشة هي فرح ينتقل من نفس إلى نفس . لذلك فإن غالبية الناس يحبون أصحاب النفوس المرححة التي تدخل البهجة إلى القلب. ومن أمثلة ذلك الفنانون الذين يرسمون الرسوم الكاريكاتيرية مع فكاهات لطيفة ، طالما أن الفكاهة بريئة ولطيفة ولا خطأ فيها .

* * *

ولأن البشاشة والفكاهة تريح النفس ، لذلك فإن المصورين قبل أن يلتقطوا الصور يطلبون إلى الناس أن يبتسموا أولاً ، لأن الوجه المبتسم هو وجه مريح لمن يراه . والبعض يبتسمون بطريقة مصطنعة أثناء التصوير . غير أن البعض لهم بطبيعتهم وجوه مبتسمة بشوشة في كل المناسبات ، وبدون تصنع . هؤلاء أصحاب نفوس مريحة .

* * *

✧ كذلك الإنسان الوديع الهادئ هو من النفوس المريحة .

بهدهوئهم يدخلون الهدوء إلى قلوب الآخرين . ومهما كانت الأمور تبدو صعبة ، يعملون على تهوينها وتخفيف وقعها ، وبهذا يريحون غيرهم . وفي جو من الطمأنينة يبحثون معهم الأمور بهدوء للوصول إلى حل . كذلك الإنسان الوديع هو إنسان مريح في معاملته . لأنه يأخذ الأمور ببساطة . لا يغضب أحداً ، ولا يغضب من أحد . ويتعامل مع الناس في سهولة ويسر، ولا تتعقد الأمور مطلقاً في التعامل معه

* * *

✧ المبشرون بالخير هم من أصحاب النفوس المريحة .

إن الناس يحبون من يبشرهم بخير طيب ... يعتبرونه بشرة خير . ويستبشرون به . ولذلك يقول الكتاب " ما أجمل قدمي المبشر بالخيرات " (أش : ٥٢ : ٧) (نا : ١ : ١٥) . بعكس الذي يجلب الحزن للنفوس بأخبار سيئة ينقلها إليهم . إنهم يعتبرونه كالبوم التي تنذر بالخراب . ومن أمثلة هؤلاء من ينقلون أخباراً بتعليقات متعبة للنفوس . إن الأخبار التي تنشر في الجرائد ، تختلف من واحدة إلى أخرى .. فمنها ما تريح النفوس بأخبارها ، ومنها ما تزعج الناس وتخيفهم ، وتشعرهم بأخطار مقبلة ومصائب يتوقعونها .

* * *

« صانعو الخير هم من أصحاب النفوس المريحة :

وفى ذلك ما أجمل ما قيل عن السيد المسيح إنه كان يجول يصنع خيراً (أع: ١٠: ٣٨) .
كان يكرز بالإنجيل ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب * (مت: ٤: ٢٣) . وهكذا
كان تلاميذه، وهكذا كان القديسون فى كل زمان ، يصنعون الخير ويقومون بأعمال البر
نحو كل أحد .

إن الناس يحبون من يعمل معهم خيراً .
عكس ذلك الذين يهتدون الأمور ، والذين يكون بإمكانهم أن يصنعوا خيراً ولا يفعلون .
ما أنظر قول الكتاب * من يسمع صراخ المسكين ولا يستجيب ، يصرخ هو أيضاً ولا
يستجاب له .

من صفات النفوس غير المريحة :

١ - من صفاتها القسوة .

سواء القسوة فى الألفاظ ، أو القسوة فى الأحكام، وفى التعامل مع الأخطاء بطريقة
تتعجب المخطئين دون أن تقومهم، أو بأسلوب يحطم نفسياتهم ، ويتسبب فى هبوط
مخوياتهم .

وقد يحدث هذا من بعض الآباء والأمهات فى توبيخهم ومعاقبتهم على أخطائهم
بأسلوب ربما يحطهم يبحثون عن صدر حنون خارج البيت، مع ما يترتب على ذلك من
نتائج خطيرة .

وربما تصدر هذه القسوة من الذين يقومون بأعمال الإدارة، فيصدرون الجزاء على
أتفه الأخطاء. أو قد تصدر هذه القسوة من الذين يشرفون على أعمال التدريب أو على
الإختبارات الشخصية، فيحكمون على الشخص بعدم الصلاحية . أو قد تصدر من بعض
الأساتذة والمدرسين ، فيخشى الطالب أن يقع فى يد أحد منهم .

ولكن من الأمثلة الصالحة ، ما قلناه عن الأرشيدياكون حبيب جرجس .

يا حكيماً أدب الناس وفى زجره حب وفى صوته عطفاً
لك أسلوب نزيه طاهر" ولسان" أبيض الألفاظ عفاً

لم تتل بالذم إنساناً ولم تذكر السوء إذا ما حلّ وصف
إنما بالحب والتشجيع قد تصلح الأعوج ، والأكدر يصفو

* * *

٢ - ومن صفات النفوس غير المريحة : النكد .

هناك أشخاص - وبخاصة في المجال العائلي - يحاولون حلّ المشاكل عن طريق النكد ، ويضفون على المنزل جواً من الكآبة والحزن، يبحث بعض أفراد الأسرة عن سلامتهم القلبي بالهروب من البيت . وقد ينتهي الأمر بالزوجين إلى محاكم الأحوال الشخصية أو إلى المجلس الإكليريكي . ويشعر كل طرف في الأسرة أنه يتعامل مع نفوس غير مريحة.

* * *

٣ - ومن صفات هذه النفوس غير المريحة : كثرة التحقيقات.

بحيث يشعر الشخص أنه محاصر بجو من الأسئلة تضيق الخناق عليه لتعرف تفاصيل التفاصيل . ماذا فعلت ؟ وأين كنت ؟ ومن قابلت ؟ ومتى ؟ وما موضوع الحديث ؟ وماذا قلت وماذا قال ؟ وما النتيجة ؟ وماذا فعلت ؟

ومهما بدا على الشخص أنه تضايق ، تلاحقه التحقيقات بغير هوادة ، وبغير مراعاة لنفسيته وأحاساساته ، مما يؤدي به الأمر إلى الهروب من أمثال هؤلاء الأشخاص الذين لهم هذا الأسلوب من التحقيق . وربما لا تكون لبعضهم صفة تسمح له بكل هذه الأسئلة . ويقودنا هذا إلى نقطة أخرى وهي .

* * *

٤ - التخلل في خصوصيات الغير .

كل إنسان له خصوصياته التي يحب أن يحتفظ بها ، ولا يحب أن يكشفها لكل أحد . بل يجب أن يحترمها الآخرون .

لهذا نجد في كثير من البلاد الغربية : إذا وصل خطاب لإبن في البيت، لا يستطيع الأب أو الأم أن يفتحه. وكذلك إن وصل خطاب للزوجة، لا يفتحه الزوج . وإنما بالحب الذي بين أفراد الأسرة ، صاحب الخطاب يكشف ما جاء فيه ، أو بعضاً مما جاء فيه لأسرته دون أن يطالبوه بذلك .

* * *

ولكن المتعب أن بعضاً من المعارف يتدخلون في خصوصيات غيرهم بطريقة يريدون بها أن يعرفوا كل شيء عنه ، سواء في حياته الخاصة ، أو حياته العائلية ، أو في مجال العمل ، كما لو كانوا يترصّدون حركاته ، ويرهقونه بالأسئلة أو يرسلون من يتتبع أخباره ويقولها لهم . بحيث يشعر أن هؤلاء يتطفلون على حياته وخصوصياته ، بغير وجه حق وبطريقة متعبة ...

وإن لم يخبرهم يتهمونه بعدم الحب ، وبعدم الإخلاص في صداقته، ويسألونه: ما هذا الشيء الذي نكتمه ؟ وهل فيه خطر أو خطأ؟ قل لنا ونحن ننصحك .
إنه لون من التطفل غير مقبول ، ويتعب النفس ، ويسئ إلى العلاقات .

* * *

٥ - من صفات النفوس المتعبة أيضاً : الشك .

هناك نفوس من طبيعتها الشك : يشكون في صدق غيرهم، وفي محبته. ويشكون في أقواله وفي أخباره . بل يشكون أيضاً في سلوكه . ويبدو الشك في طريقة كلامهم ، وفي لهجة صوتهم ، وفي نظراتهم ، وفي نوع أسئلتهم .

ويندر أن يقبل أحد أن يكون موضع شك . لذلك يعتبر الذين يشكون فيه من النفوس غير المريحة ، ويحاول أن يتجنبهم . ويعتبر شكهم نقصاً في محبته . فالكتاب يقول المحبة لا تظن السوء " (١كور١٣ : ٥) .

* * *

٦ - وعكس ذلك الذي يقابل غيره بروح الثقة والإحترام .

إنها صفة من صفات النفوس المريحة . والثقة تولد ثقة، وتدل على الإحترام. كما أن الإحترام يولد إحتراماً. وهكذا يعيش الناس مع بعضهم البعض بأسلوب سوى. وكل إنسان يستريح للذي يثق به .

* * *

٧ - أيضاً من صفات النفوس غير المريحة: الإلحاح، والمجادلة.

هناك أشخاص - في كل ما يريدون - يستخدمون أسلوب الإلحاح والضغط . فإن أرادوا شيئاً من أحد ، يلحون عليه بطريقة متواصلة متتابعة ، في كل يوم ، وربما مرات كل يوم . ولا يعطونه فرصة للتفكير أو التدبير . ولا يعطونه مجالاً للإعتذار ، وربما ما يطلبونه يكون فوق طاقته ، أو لا يريح ضميره ... ويتوالى إلحاحهم وضغطهم بطريقة

متعبة ، ربما تجعل من يلحون عليه يهرب من لقائهم بكافة شتى .
وربما يكون الإلحاح والضغط في معرفة بعض خصوصياته، كما حدث مع دليلة في
معرفة سر قوة شمشون (قضى ١٦) .

* * *

٨ - ومن صفات النفوس غير المريحة أيضاً : فرض الرأى .
وفى هذا ضغط على الفكر، وضغط على التصرف . ومحاولة من هؤلاء أن يسير
غيرهم فى تيارهم الفكرى أو السلوكى على الرغم منه، مما يشكل ضغطاً على حريته
الخاصة، بشئ من السيطرة .
وقد يحدث فرض الرأى من أحد الأبوين ، بالنسبة إلى زواج ليلتهما، ضغطاً عليها فى
الزواج بمن لا تحب ، مما يتسبب عنه تعاسة أو فشل فى حياتها الزوجية .
وفى فرض الرأى نوع من السيطرة هو صفة أخرى للنفوس غير المريحة .

* * *

٩ - ومن الصفات الأخرى للنفوس غير المريحة : كثرة الجدل
بحيث لا يمر أمر من الأمور سهلاً ، مهما كان بسيطاً . كل فكر وكل تصرف
يتخذونه موضوعاً للجدل ، ربما يستغرق وقتاً طويلاً ، كما أنه يرهق الأعصاب ويضيع
لوقت .
أمثال هؤلاء قد لا يحاول أحد أن يفتح لهم موضوعاً أو يبدي رأياً ، لأنه لن يخلص
من مجادلاتهم العقيمة . وإن تكلموا هم، ربما يلجأ إلى الإجابات للتغلبية : " مثل ربنا
يعمل ما فيه الخير " نشكر ربنا على كل حال " أو أن يقول " هذا الموضوع لا أعرفه ،
وليس لى فيه رأى يقينى " . كل ذلك ليهرب من الجدل وصدق الكتاب حينما قال " افعلوا
كل شئ بلا مدممة ولا مجادلة " (فى ٢ : ١٤) .
وقد يسأم الإنسان ويقول لمثل هؤلاء " ألا يمكن أن يتم شئ بدون مجادلة؟! أو يقول
فيما بينه وبين نفسه " هل يستحق هذا الأمر البسيط كل هذا الجدل والنقاش " .

* * *

نصيحتى لك : لا تجادل إلا فى أمر هام أو أمر خطير يستحق ذلك . وأيضاً لاحظ فى
نقاشك هل الذى تناقشه يقبل الكلام أم لا يقبله ، أو هو يريد النقاش لمجرد حب الجدل
وتفضية الوقت ، أم ينطبق على هذا النقاش قول الرسول " المباحثات الغيبة والسخيفة ،
اجتنبها ، عالماً أنها تولد خصومات " (٢تى ٢ : ٢٣) .

وقد يكون الغرض من المجادلة هو فرض الرأي .

كإنسان يريد فرض رأيه في إدارة الأمور ، أو في تصريف أمور الكنيسة إن كان المناقش عضواً في لجنة ما في كنيسته، أو مجرد فرض رأيه كشخص يقول إنه صاحب رأى ، وإنه باستمرار على حق وذو علم ومعرفة .
وربما يكون فرضه لرأيه مصحوباً بالتهديد وبالتشهير .

* * *

١٠ - ومن النفوس غير المريحة من لا تقدر ظروف الآخرين

كأن يكلمك إنسان في وقت أنت مشغول فيه ، فتعذر إليه بضيق الوقت ، وتؤجل الموضوع إلى موعد آخر ، فيصر إصراراً شديداً لأن الموضوع مهم ولا يحتمل التأجيل ، ولا يبالي بأهمية مشغولياتك ، مما يجعلك تستمع إليه مضطراً وأنت شاعر بضغطه عليك ، بينما الموضوع لا يستحق ذلك كله .

* * *

وربما يأتيك شخص وأنت مريض ، ويطلب منك ما لا تحتمله ظروفك الصحية . أو يظل يكلمك وأنت على فراش المرض ، مما يؤذيك صحياً وهو غير مقدر لذلك . مما جعل كثير من المستشفيات تحدد أوقاتاً تمنع فيه زيارة بعض المرضى .

* * *

أو قد يكلمك إنسان في التليفون ، وقد تكون مشغولاً . ولكنه لا يبالي ويظل يتكلم ويتكلم مهما طال الوقت . ومهما حاولت أن تؤجل المكالمة أو تشرح ظروفك ، لا يهمه ذلك ويستمر في حديثه . فتشعر أنه من النفوس المتعبة التي لا تقدر ظروف الآخرين ، وتتخذ منه موقفاً في أحاديثه التالية .

* * *

يذكرنا هذا الأمر بالذين يزورون العائلات في أوقات الامتحانات النهائية للتلاميذ . ويتكلمون ويرفعون صوتهم ، ويوجدون جواً من الضوضاء لا يساعد على المذاكرة ، غير مباليين بمشاعر الطلاب وإمتحاناتهم، ويصبحون من النفوس المتعبة . وكذلك الذين يقيمون إحتفالات ويرفعون أصوات الميكروفونات ...

* * *

١١ - من النفوس المتعبة من تتصف بالغضب .

سواء سرعة الغضب ، أو حدة الغضب ، أو الغضب بدون سبب معقول ، أو الغضب المصحوب بأخطاء أو إهانات أو إعتداءات . أمثال هؤلاء الناس يتجنبهم غيرهم لإتقاء شرهم . أو على الأقل عملاً بقول الكتاب : " لا تستصحب غضوباً ، ومع صاحب سخط لا تجئ " (أم ٢٢ : ٢٤) .

من له أذنان للسمع فليسمع

(مر ٤: ٢٣٦٩)

الرسائل التي أرسلها الرب إلى الكنائس السبع التي في آسيا كل منها تشمل عبارة أنا عارف أعمالك، وتنتهي بعبارة " من له اذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس " ونريد اليوم أن نتأمل هذين الأمرين .

رسائل للكل :

جميل أن الله يرسل رسائل للناس ، يبعث كلمته للكل ، للأبرار وللأشرار معاً ، للذين يحبونه وللذين تركوا محبتهم الأولى . يرسل حتى إلى ملاك كنيسة ساردس الذي قال له الرب " إن لك اسماً أنك حي وأنت ميت " (رؤ ٣: ١) . وإلى ملاك كنيسة لاوديكية الذي قال له " لست حاراً ولا بارداً. بل أنت فاتر، أنا مززعج أن أتقيأك من فمي " (رؤ ٣: ١٥ ، ١٦) . ومع ذلك يرسل إلى كل منهما رسالة .

* * *

كل إنسان في الحياة ، لا بد أن تصله رسالة من الله . يتكلم في قلبه، في فكره ، يرسل له كلمة تناسبه بأية الطرق ، عن طريق كتاب، عظة، عن طريق نصيحة من إنسان ...

* * *

تصوروا أنه كلم حتى قايين ، قبل أن يقتل أخاه . وقال له " عند الباب خطية رابضة، وإليك إشتياقها، وأنت تسود عليها " (تك ٤: ٧) . خذ حذرك مازال الأمر في إرادتك. احترس من تلك الخطية.. ومن إشتياقك، احترس من مشاعرك . الله أرسل رسالة حتى إلى بلعام . وفي الرسالة إلى العبرانيين ، يقول الرسول " الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً ، بأنواع وطرق شتى ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه " (عب ١: ١ ، ٢) .. بأنواع وطرق شتى ...

لا تستطيع أن تقول إن صوت الله لم يصل إليك .

البعض قد يكلمهم الله بالرؤى والأحلام . ولكن ليست كل الرؤى والأحلام من الله !

وهناك من كلمهم الله بصوته شخصياً كما حدث للأنبياء ... والبعض كلمهم عن طريق الرسل، والكتاب يقول " إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم " (مز ١٩) . والكل كلمهم الرب عن طريق الوحي المقدس ، الكتاب المقدس ، الذى هو كلمة الله إليك ... وهناك من كلمهم الرب عن طريق الملائكة ... والكل عن طريق الوعظ . كما كان بولس يقول "كان الله يعظ بنا ... نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله " (٢كو ٥: ١٩ ، ٢٠) .

جائز الكلمة التى يرسلها لك الرب تكون كلمة بركة، أو كلمة تعزية، أو تعليم، أو كلمة إنذار ...

وباليتك تسأل نفسك باستمرار : ما هى كلمة الله إلى ؟ إنك تسمع كثيراً من الناس ... ولكن ما هى كلمة الله إليك ؟ تصوروا أن السيد المسيح يقول : اكتب إلى ملاك كنيسة أفسس .. إلى ملاك كنيسة سميرنا .. إلى برغامس .. إلى ثياتيرا .. إلى فلانقيا .. إلى ساردس .. إلى لاوديكية .. اكتب . كل واحد له رسالة ، الله يوجهها إليه .

إنها وصية إلهية : من له أذنان للسمع فليسمع .

هذه العبارة قالها السيد المسيح مرات عديدة فى الإنجيل :

قالها بعد كلامه عن يوحنا المعمدان (مت ١١ : ١٥) ، وبعد مثل الزارع (مت ١٣ : ٩) (مر ٤ : ٩) ، وبعد شرح مثل الحنطة والزوان (مت ١٣ : ٤٣) (مر ٤ : ٢٢) . وبعد كلامه عن الملح الذى يفسد (لو ١٤ : ٣٥) .. وهكذا قال فى سفر الرؤيا للكنائس السبع "من له أذنان فليسمع ما يقوله الروح للكنائس " سبع مرات (رؤ ٢ : ٣) .

وعبارة ما يقوله الروح للكنائس عبارة معزية :

تعنى أن الروح القدس مازال يكلم الكنائس . الروح يعمل فينا، ويرشدنا إلى جميع الحق (يو ١٦ : ١٣) ، ويذكرنا بكل ما قاله الرب لنا (يو ١٤ : ٢٦) ...

أذنان للسمع :

هناك أشخاص كانت لهم آذان تسمع وتستجيب وتطيع .

مثل ابرآم أبو الآباء ، حينما قال له الرب " اخرج من أهلك ومن عشيرتك " (تك ١٢) .
و حينما قال "خذ اينك وحيدك الذي تحبه ، اسحق ، وقدمه لى محرقة .. " (تك ٢٢) . أطاع ،
ولم يناقش . له أذنان للسمع ... لوط لما قال له الملاك اخرج من سادوم ... لا تقف فى
كل الدائرة (تك ١٩) .. سمع وأطاع ..

* * *

من أكثر خلق الله سمعاً لكلامه : الملائكة .

يقول عنهم المرثل فى المزمور " باركوا الله يا ملائكته .. الفاعلين أمره ، عند سماع
صوت كلامه " (مز ١٠٣ : ٢٠) بمجرد سماع الكلمة ينفذون ، سواء للإتقاد أو للعقاب ..
لذلك ونحن نريد أن نكون سامعين لكلمة الله ، منفذين لمشيئته نقول " كما فى السماء ،
كذلك على الأرض " .. أى نطلب أن تكون لنا أذان للسمع ...

* * *

ومن أمثلة الذين سمعوا الكلمة واستجابوا ، تلاميذ المسيح .

متى (لاوى) حالما سمع كلمة الله "اتبعنى" ترك مكان الجباية وتبعه (مت ٩ : ٩) .
وكذلك بطرس وأخوه بندراوس تركا السفينة والشباك والأهل ، حالما سمعا عبارة هلم
ورائى فأجعلكما صيادى الناس (مر ١ : ١٧ ، ١٨) وكذلك فعل يوحنا ويعقوب .. ونفس
الوضع أيضاً مع شاول الطرسوسى (أع ٩) ، ولهذا قال السيد المسيح مطوباً تلاميذه :
" أما أنتم فطوبى لأذانكم لأنها تسمع " .

* * *

ذلك لأن هناك آخرين لهم أذان لا تسمع (مز ٨ : ١١) (رو ٢٨ : ٢١) . وما أكثر الأمثلة
لهذا النوع وما أكثر أسبابها .. السيد المسيح نفسه ، كان كثير من معاصريه ، لهم أذان
ولكنها لا تسمع .

آذان لا تسمع :

أول أذن لم تسمع ، كانت لأنم وحواء .

سمعوا الوصية ، وكانهما لم يسمعا . تذكرنا الوصية بحذافيرها ، وعملا العكس !
(تك ٣) لماذا ؟ لأن كلمة أخرى قالتها الحية ، غطت على كلمة الله إليهما ، وكانت أكثر
تأثيراً وأكثر إغراء ، وإذا كلمة الله وكانها لم تسمع .

إذا وجدت أذنك لا تسمع ، ابحث ما هو السبب ؟

أذهب إلى طبيب أذان يعالجك ، بل اذهب بالأكثر إلى طبيب قلب، يكشف ما فى قلبك من شهوات . مثل أى إنسان يخالف أباه وأمه، ويخالف الوصية والكنيسة، ويخالف القانون أيضاً، لأن هناك شهوة فى قلبه يريد أن يحققها . والشهوة تصم أذنيه عن السماع ...

* * *

أحياناً يكون عدم السماع بسبب قساوة القلب ...

ولذلك يقول الكتاب " إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣: ١٥) .. فرعون كان من هذا النوع القاسى القلب ، الذى لم يستطع أن يسمع لكل إنذارات الله ، ولم تؤثر فيه كل الضربات . وكم من مرة صرخ إلى موسى وهرون، ووعد بأن ينفذ، ثم عاد كما كان . والقساوة تولد العناد . والعناد يمنع من سماع الكلمة .

العناد الذى يغلّق القلب ، ويغلّق الفكر ، ومهما قيل له من كلام نافع ومقنع ، لا يسمع! إنسان متشبث بفكره ، مهما كلمته ، كأنك لم تتكلم . لأن فى التشبث بالفكر نوعاً من الكبرياء . تغلق الأذن عن السماع ، بعكس الوديع المتواضع يمكن أن يسمع . حتى إن أخطأ، يقبل التائب والنصيحة ، ويصلح طريقه ويسمع .

* * *

الهرطقة كانت لهم آذان لا تسمع ، أغلقها العناد والكبرياء .

أريوس مثلاً ، لم يسمع لصوت بطريركه ، ولا لصوت المجمع المحلى الذى عقد فى الأسكندرية من مائة أسقف، ولم يسمع لإقناعات القديس أنثاسيوس ، ولم يسمع لقرار المجمع المسكونى . كان عناده يغلّق أذنيه ، وكانت كبرياؤه تغلق أذنيه . ومات فى هرطقته، دون أن يسمع ... تمنعه العزة بالذات ، والتمسك بالفكر

* * *

وكذلك كل حوار لاهوتى من نفس النوع .

قد تحاور إنساناً ، وتجده متحفظاً للرد قبل أن تكمل كلامك . لسانه أسرع من أذنيه ، لا رغبة لديه فى السماع ، ولا رغبة فى الإقتناع . يمنعه التشبث والعناد . له آذان ولكنها لا تسمع . وبالمثل كل إنسان متمسك بفكره الخاص ، مصر على فكره ، كأنك تكلم صخوراً صلباً . لا توجد منافذ تنخل منها الكلمة ...

* * *

ونفس الوضع مع كل إنسان معز بكرامته .

قد يشعر أن نصيحتك كأنها تهينه ، وتهز كرامته ، وتشعره بخطأه ، وتتعب نفسيته ..
لا يكون مستعداً إطلاقاً أن يسمع ، لأن السماع يحتاج إلى تواضع . ولهذا ليس كل عتاب
تأتي بنتيجة : المتواضع المحب تعاتبه فتكسبه . والمتكبر المعتز بكرامته ، تعاتبه فيزداد
لأمر سوءاً ...

* * *

هيرودس الملك ، لم يستطع أن يسمع كلمة يوحنا المعمدان .
كلام يوحنا المعمدان واضح " لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك " (متى ١٤ : ٤) .
لها وصية إلهية واضحة في موانع الزواج (لا ١٦ : ١٨) . والكتاب يعتبرها نجاسة (لا ٢٠ :
٢١) . ولكن هيرودس لا يسمع . إغراء هيروديا يمنعه . كما كان إغراء دليلة يمنع
ممشون من بقاء وصية النذير في أذنيه (قض ١٣ : ٧) .

* * *

هناك تأثير آخر ، يمنع تأثير كلمة الرب عليه .

هناك محبة أخرى طغت على محبة الله ، فمنعت الأذن من أن تسمع .. كم نسمع كلام
له في القراءات وفي العظات في كل قداس ، وكأننا لم نسمع ، والطبع هو نفس الطبع .
عقب اليهود كانت تتلى عليه البركات من فوق جبل جرزيم ، واللغات من فوق جبل
بيبال باستمرار (تث ٢٧ ، ٢٨) . ومع ذلك ما كان يعياً !!

* * *

السيد المسيح كان يكلم علماء اليهود ، فلا يسمعون ، على الرغم من قوة إقناعاته ،
لكنهم تشبثوا بأرائهم .

كانت الحرفية وتقاليد آباؤهم الخاطئة وتعاليمهم ، تمنعهم من السماع ...

وربما كانت هناك مشاعر الحسد التي في قلوبهم التي كانت تدفعهم إلى محاولة
تخلص من السيد المسيح ، وليس سماع كلامه . وماذا أيضاً . هل هناك أسباب أخرى
منع من السماع ؟

* * *

الخوف أيضاً يسد الأذن أحياناً عن السماع .

بيلاطس البنطي كان مقتنعاً ببراءة المسيح ، وقال إنه لا يجد فيه علة تستوجب الموت
و(٢٣ : ٢٢) . وقد حذرت زوجته قائلة " إياك وذلك البار ، لأنى تألمت اليوم كثيراً فى
لم لأجله " (مت ٢٧ : ١٩) . ولكنه لم يسمع ، لأن الخوف كان يمنعه من السماع . كان

يخاف أن يشكوه إلى قيصر . الخوف على المركز ورغبة النفس الخوف منع أغريباس ثمثك من سماع تبشير القديس بولس الرسول ، مع أنه قال له " بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً" (أع: ٢٦: ٢٨) .. إن قبل أغريباس المسيحية ، سيضيع منه منصب الملك .
كثيرون يضيعون البعض بالخوف .. إن فتحت فمك لتتكلم ، إن هربت مناه، إن كشفت المؤامرة ، إن لم تخضع ، سيحدث كذا وكذا من التهديد . وبهذا الخوف لا تتفع معه كل نصيحة لإتقاده ! تكلمه ، كأنه لا يسمع .. الخوف يسد أذنيه ...

* * *

هناك سبب آخر يمنع الأذن من السماع ، وهو الإستهتار واللامبالاة .
أهل سدوم نصحهم لوط أن يخرجوا من المدينة قبل أن تحترق ، فقابلوا كلامه باستهزاء " وكان كمازح في وسط أصهاره" (تك: ١٩: ١٤) . ونفس الوضع حينما تكلم بولس الرسول في مدينة أثينا ، قابلوه بنفس التهكم قائلين " ماذا يريد هذا المهذار أن يقول" (أع: ١٧: ١٨) . إنه أيضاً نوع من الإستهتار ، لم يأخذوا فيه الكلام بجدية. لذلك لم تكن أذاتهم للسمع ... كإتسان تتصحه ، فيقابلك بتهكم ، أو يحول الجو إلى عبث .. ولا يسمع، بل يتهمك ويهزأ ..

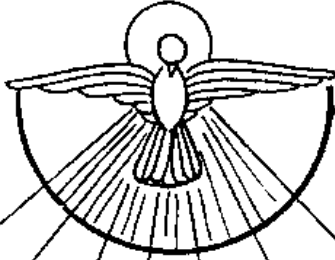
* * *

إنسان أيضاً لا يسمع ، لأنه يعرج بين الفرقتين .
أخاب إن سمع كلمة من إيليا تستطيع إيزابل أن تعمل له غسل مخ ، وتحوله إلى الناحية الأخرى .. فلين أردت أن تعطى نفسك فرصة للسماع ، لابد أن تبعد عن الجو الذي يمكنه أن يحولك ... كشاب يسمع عظة ، فيضيع تأثيرها بسبب أصدقائه .

* * *

أصعب مثل في عدم السماع، هو مثال يهوذا ، الذي كانت تمنعه الخيانة من السماع. كم مرة أنذره السيد المسيح ... ولكن الخيانة كانت تصم أذنيه ، مضافة إليها شهوة المال. القلب كان في تلف ، كذلك تلفت أذناه فلم تسمع .

لكي تسمع أذنك ، ينبغي أن تكون لك رغبة في أن تسمع ، وتكون لك الجدية في التنفيذ ، وتكون مشتاقاً أن تسمع الكلمة ، ولو أدى الأمر أن تبذل حياتك من أجلها . إن أذاك الصوت الإلهي ، احتفظ به في قلبك وفي إرادتك . كما فعل القديس أنطونيوس لما سمع كلمة الرب ، وللحال نفذها في جدية ، بغير إبطاء بغير توان .
ولنحاسب أنفسنا ، كم مرة سمعنا ولم نعمل . وكأننا لم نسمع .



البَابُ الرَّابِعُ

عَوَائِقُ
الْفَضِيْلَةِ

عَوَائِقُ لِلْفَضِيلَةِ ولكنها ليست مَوَانِعَ

حياة البر والفضيلة لا تسير سهلة باستمرار، إنما تصادفها عوائق في الطريق . حتى في سير القديسين صادفتهم في حياتهم عوائق :
لماذا سمح الله بهذه العوائق ؟ ما مصادرها وأسبابها وفوائدها ؟

أسباب العوائق ومصادرها :

١- هناك عوائق سببها الشيطان :

الذى يجول مثل أسد زائر يلتمس فريسة . الذى يلقي الزوان في كل حقل . الذى ألقى نصيحة مهلكة في أذن أمانا حواء .. هذا الى يجب أن نحترس منه ، كما قال معلمنا بولس الرسول " لأننا لا نجهل أفكاره " (٢كو٢: ١١) .
إن القديس أنطاسيوس في جهاده ضد الأريوسية قال " إن غدونا الأول ليس هو الأريوسية وإنما الشيطان " .

من ضمن أسبابها : الأكاليل الناتجة عنها :

فإذا وجدت عوائق ، وانتصر الإنسان عليها ، إنما يدل بذلك على محبته لله ، وإصراره على السير في الطريق الروحي ، مهما صادفته من عقبات . وهكذا ينال أكاليل على محبته وجهاده وإنتصاره .. فلا يقل أحد : تصادفنى متاعب في البيت والعمل والبيئة، نقول له : هذه طبيعة الطريق الروحي .. لابد أن يكون هكذا .. فلماذا ؟

* * *

هناك ما يسمونه " حسد الشياطين " يحسدون الأبرار على برهم .

يحسدونهم على أنهم نجحوا في منهج ، فشلوا هم فيه . يحسدونهم على إختبارهم حياة القداسة والنقاوة ، وعلى علاقتهم الطيبة بالله . ويحسدونهم على النعمة المصاحبة لهم وعلى عمل الروح القدس فيهم .. بل يحسدونهم على الحياة مع الله .. لذلك يثيرون حولهم الزوابع ، لكيما يفشلوا ويصيروا مثلهم ضمن مملكتهم .

فإن وجدت عوائق ، اطمئن ، لأنك سائر في الطريق السليم :
لو كنت سائراً في طريق الشيطان ، ما كان يحاربك بل على العكس يسهل طريقك
ويشجعك . أما محاربتك لك أو محاربة أعوانه ، فنليل أكيد على أن مسالكك يتعب
الشيطان.. ولهذا قال السيد المسيح له المجد :
" لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا
أخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم " ، " إن كان العالم يبغضكم ، فاعلموا أنه قد
أبغضني قبلكم " (يو ١٥ : ١٩ ، ١٨) .. إن بغضة العالم لك ، ومضايقته لطرقك ، أمر
طبيعي ومطمئن ، ووسام على صدرك .

* * *

وقد وصف الرب الباب بأنه ضيق ، والطريق بأنه كرب " (مت ٧ : ١٤) .
إن العمل العظيم هو الذي يستحق المحاربة من عدو الخير ، كذلك فإن البداية الطيبة
تخيفه ، لئلا تنمو وتثمر .. لذلك نرى كثيراً أن البدايات تكون صعبة في كل عمل ناجح.
لأنك كلما تبدأ في عمل الخير ، يبدأ الشيطان وأعدائه عملاً مضاداً لك ...

* * *

حتى في حياة الرسل وكبار الآباء القديسين ، كانت هناك عوائق أمام خدمتهم
وكرازتهم .

قام ضدهم أباطرة وملوك وولاة وحكام وقضاة ، ودفعوا إلى محاكمات وسجون ونفى ،
وتعرضوا لظلم وإضطهادات ووقفت ضدهم الديانات والفلسفات القديمة . ويكفي قول السيد
لهم " وتكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمي " (مت ١٠ : ٢٢) ، وقوله أيضاً " تأتي
ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله " (يو ١٦ : ٢) . ولكننا في كل ذلك نقول :
كانت هناك عوائق ، ولكنها لم تكن موانع :

* * *

قامت ، عوائق كثيرة ضد الكرازة ، ولكنها لم تستطع أن تمنع الكرازة . بل امتد
الإيمان وانتشر ، وتأسست الكنائس في كل مكان . ويكفي في ذلك قول الكتاب " والذين
تشتتوا ، جالوا مبشرين بالكلمة " (أع ٨ : ٤) ، وقيل ما يشبه ذلك في العهد القديم " ولكن
بحسبما أنلوهم ، هكذا نموا وانتشروا " (خر ١ : ١٢) . وقيل أيضاً عن الكنيسة " كل آلة
صورت ضدك لا تتجح " (أش ٥٤ : ١٧) .

وقف العالم كله ضد أتاسيوس الرسولى ، ونفى عدة مرات ، وعزلوه ورجع إلى منصبه. ومع كل ذلك انتصر أتاسيوس على كل مقاوميه .

* * *

٢ - من العوائق أيضاً : العالم ومحبيه ، والحواس وطياشتها .
فالحواس هى أبواب للفكر ، والفكر يوصل إلى القلب والمشاعر ، والعالم يقدم حروباً كثيرة وعوائق فى طريق الروح .. وهكذا الجسد وكل عوائقه .

* * *

٣ - ومن العوائق أيضاً : الأخوة الكذبة والمرشدون المضلون والعشرة الرديئة .
كما قال الرب لإسرائيل ، " مرشدوك مضلون " (أش ٣: ١٢) . وكما وصف الرب الكتبة والفريسيين بأنهم قادة عميان (مت ٢٣) . وقال إن أعمى يقود أعمى ، كلاهما يسقطان فى حفرة ...

* * *

ويدخل فى هذا الأمر المفاهيم الخاطئة ، التى تنتشر فى وسط أى جماعة فتضللها وتعيقها عن الوصول إلى الله . إن بطرس بمفهومه الخاطئ عن الآلام وقف معثرة أمام الرب، فانتهره وقال له " اذهب عنى .. " (مت ١٦: ٢٣) .
ومن ضمن هذه المعوقات للكتب والمطبوعات الخاطئة ..

* * *

٤ - ومن المعوقات أيضاً الطباع الشخصية للإنسان :
وربما تكون بعضها طباعاً موروثة ، أو طباعاً مكتسبة من البيئة ، أو من كثرة الممارسة .. ولكن على الإنسان أن ينتصر عليها ، سواء كان الشخص عضواً أو سماعاً أو متسرعاً .. إلخ .

* * *

٥ - هناك عوائق من شهوات النفس الداخلية :
ومن أهدافها الخاطئة . كما قال الكتاب " لم تصبكم تجربة إلا بشرية " . ونحن نصلى إلى الله أن ينقذنا من كل العوائق أياً كانت مصادرها .
ولكننى فى كل هذه العوائق والمحاربات ، أحب أن أطمئنك وأقول لك : لا تخف ، بل أثبت واستمر . فهناك حقيقة .

أنت لست وحدك في محاربتك . إنما معك المعونة الإلهية :
 الشيطان يعيقك ، والنعمة تشجعك وتقويك .. الله يسمح بوجود العوائق ، هذه نصف
 الحقيقة ، أما النصف الآخر فهو أن الله في نفس الوقت ، يعطيك القوة التي تجاهد بها
 وتتغلب ، بل هو نفسه يقودك في موكب نصرته (٢كو٢: ١٤) .. إنه يسمح بالتجارب ،
 ولكنه " أمين ، لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون . بل يجعل مع التجربة أيضاً
 المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا " (١كو١٠: ١٣) . ولكنك لعلك تسأل : ولماذا يسمح الله
 بالتجربة ؟ ولماذا يسمح بالعوائق ؟ وهذا ينقلنا إلى نقطة أخرى وهي :

الإختبار :

سمح الله بالعوائق لإختبار محبتنا . وإختبار إرادتنا ، وإختبار مدى طاعتنا .
 كل إنسان يمكنه أن يقدم نية طيبة . ووعوداً طيبة ، مثلما فعل بطرس حينما قال :
 " وإن شك فيك الجميع . فأنا لا أشك أبداً " ، " ولو اضطرتت أن أموت معك لا أنكرك"
 (مت٢٦: ٢٣ ، ٣٥) .. ولكن في ساعة التنفيذ ، حينما تبدو المخاوف والمخاطر ، هنا يقف
 الإختبار أمام كل الكلام النظري ، وكل النيات الطيبة .

* * *

وهناك أمثلة كثيرة ، نرىنا كيف تقع العوائق كإختبار :

أ - إنسان متيسر وغنى ، يستطيع أن يعطى ، دون أن يؤثر العطاء على مركزه
 العالى . أما إن وجدت عوائق من الإحتياج أو العوز ، فهنا تختبر فضيلة العطاء ، وهكذا
 ظهرت فضيلة الأرملة التي أعطت من أعوازاها ، منحها الرب (مر١٢: ٤٤) . وهكذا
 أيضاً ظهرت فضيلة أرملة صرفة صيدا ، التي أعطت إيليا النبي - فى أيام المجاعة ما
 معها من دقيق وزيت ، ستعمله ، ليكون أكلتها الأخيرة هي وإينها ، ثم يموتان " (امل١٧:
 ١٢) .. إذن فالذى يدفع للرب - وليس عنده تكون محبته أعمق ، وأجره أكبر ...

* * *

ب - وينطبق العطاء من العوز ، على الوقت . وعلى العشور أيضاً ، كما ينطبق
 كذلك على القوة والصحة .

فالذى يدفع العشور ، وهو فقير ، كل إرادته لا يكفيه ، هذا الذى تنتصر على عائق

الفقر ، وأطاع الوصية على الرغم من العوائق ، بعكس الذى يتخذ العوز عذراً يغطى أو يبرر به عدم طاعته . كذلك الخادم الذى يستمر فى خدمته ، فى عمق أيام الإمتحانات ، وليس لديه وقت على الإطلاق ، بل هو محتاج إلى كل دقيقة .. وكذلك الذى يتعب فى الخدمة ، على الرغم من ضعف صحته .. كل هؤلاء فى إنتصارهم على العوائق . دلوا على أن محبتهم لله وللناس أكثر عمقاً . وبرهنوا على تمسكهم بعمل الخير مهما كانت العوائق ...

* * *

ج - وكذلك من يحتمل غيره ، على الرغم من عمق الإساءة . وعلى الرغم من الإحراج أمام الناس ...

إنه يدل على أن فضيلة الإحتمال التى عنده انتصرت على العوائق .. ولذلك قال السيد المسيح له المجد " لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . وإن سلمتم على أخوتكم فقط ، فأى فضل تصنعون ؟ .. أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعينكم ، احسنوا إلى مبغضيكم .. " (مت ٥ : ٤٤ - ٤٧) .. هنا المحبة والسلام على الرغم من طول المدة فى الإحتمال .. وكذلك من يحتمل خيانة صديق على الرغم من عمق الخيانة ونتائجها :

* * *

د - كذلك من يقول كلمة حق ، مع عوائق من النتائج المتعبة :

سهل أن تقال كلمة الحق ، إن كانت سهلة ، ولا أنية من قولها .. أما من يقول كلمة الحق ، على الرغم من الإضطهاد الذى يلحقه بسببها ، فهذا يدل على مدى إهتمامه بالشهادة للحق ، كما يدل أيضاً على شجاعة وجرأة . ومن أمثلة ذلك القديس يوحنا المعمدان ، الذى قال للملك هيرودس : " لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك " (مر ٦ : ١٨) . وكانت النتيجة أن يوحنا ألقى به فى السجن ، وقطعت رأسه على طبق ...

* * *

هـ - مثال آخر ، هو الشكر على الرغم من العوائق :

كل إنسان يمكنه أن يشكر الله فى حالات الصحة والراحة والسعة والنجاح .. أما إن تشكر الله وأنت فى المرض والألم ، أو تشكره وأنت تحتل ظلماً وإضطهاداً ، أو تشكره وأنت فى الفقر والعوز ، أو تشكره وقد صليت صلوات كثيرة ولم تشعر

باستجابته... ففي هذا كله يظهر عمق فضيلة الشكر عندك ، ويظهر أنك تحب الله من أجل ذاته ، وليس من أجل خيراته ...

* * *

العوائق تظهر مدى ثبات الإنسان في إيمانه ، وفي علاقته بالله والناس .
إن الشهداء أظهروا عمق إيمانهم ، على الرغم من التهديدات والعذابات والسجن والنفى، وعلى الرغم من الإغراءات الكثيرة التي عرضت عليهم .. برهنوا أنهم كانوا أقوى من كل ذلك . وانتصروا على عوائق الألم والإغراء ، ونالوا الأكاليل .

* * *

وأيوب الصديق ظهرت فضيلته على الرغم من فقدته ماله وأولاده وصحته ، كما فقد العطف من أصدقائه وزوجته ، وفقد الاحترام من عبده ، بل فقد كل شيء. لكنه استطاع أن يقول "الرب أعطى ، الرب أخذ ، ليكن اسم الرب مباركاً " (أى: ١: ٢١) .

* * *

كذلك في التعامل مع الأصدقاء والمعارف ، يبدو عمق العلاقة إن استطاع الإنسان أن يحتفظ بمحبته ، ولا يضحى بها بسبب خطأ يحدث ، أو إهمال مقصود أو غير مقصود، أو بسبب تقصير أو زلفة لسان ... إلخ .

* * *

الفضيلة الثابتة على الرغم من العوائق ، تشبه البيت المبنى على الصخر :
ثبات هذا البيت تعرض لعوائق من الرياح والأمطار والأنهار، ولكنه انتصر ولم يسقط (مت ٧)، كذلك الإنسان الروحي الذي يبقى إيمانه ثابتاً ، ولا يفقد هدوءه ولا سلامه ولا محبته ، على الرغم من كل العوائق ... لا يهتز ، ولا يتغير ، ولا يضطرب ، ولا يشك ، ولا يضعف .. تدل الاختبارات على أن معدنه طيب وقوي ، وعلى أنه يحيا حياة الإنتصار باستمرار ...

* * *

مثال ذلك : إبراهيم أبو الآباء ، في كل إختبارات إيمانه :
كانت دعوته الأولى : أن يترك أهله وعشيرته وبيت أبيه (تك ١٢)، ويمضى وراء الله " وهو لا يعلم إلى أين يذهب " (عب ١١: ٨) ، ومع ذلك " لما دعى أطاع " . ولم يناقش ، ثم كان الإختبار الثاني والأصعب ، أن يأخذ ابنه وحده الذي تحبه نفسه ، ويقدمه لله

محرقه على أحد الجبال * (تك ٢٢: ٢) ، ولم يقف هذا الأمر عائقاً أمام محبة إبراهيم لله
ولا أمام إيمانه ولا طاعته ...

* * *

كذلك هناك فرق كبير بين الخدمة السهلة والخدمة الصعبة :

كثيرون يفضلون الخدمة السهلة المريحة . وبلاشك أن أجرها عند الله لا يمكن أن
يكون في مستوى الخدمة الصعبة ، التي بلا إمكانيات ، مثل كرازة مارمرقس في أرض
مصر .. أو تكون خدمة فيها مشاكل ومتاعب من الأوضاع أو من الناس أو من أخوة
كنية، كما حدث لبولس الرسول (٢كو ٤، ٦، ١١) . الذي قال أيضاً " حاربت وحوشاً في
أفسس " (١كو ٣: ٨) . فكلما انتصر الإنسان على عوائق الخدمة لأجل بناء ملكوت الله ،
هكذا يكون أجره عظيماً في السماء .

فوائد العوائق :

١ - العوائق تذكرنا بضعف طبيعتنا ، وتقودنا إلى الإلتضاع .

ربما لو كانت الحياة الروحية سهلة وبلا عوائق ، وسلسلة من الإنتصارات ، لوقع
الإنسان في المجد الباطل والشعور بالقوة . بينما العوائق كثيراً ما توقفتنا أمام حقيقة أنفسنا،
فنشعر بأننا ضعفاء ، وأن الأمر ليس سهلاً ، ويحتاج إلى جهد قد يكون فوق مستوانا .
وهكذا تتضع قلوبنا من الداخل ، وبخاصة إن فشلنا في بادئ الأمر ، كما حدث مع
بطرس ، ومع داود ، ومع شمشون .

* * *

٢ - وهذه العوائق كما تسبب لنا الإلتضاع ، تدعونا إلى الصلاة :

فلا نعتد على أنفسنا ، إنما نعتد على الله ، ونقول مع المرثل : لولا أن الرب كان
معنا .. لابتلعونا ونحن أحياء " (مز ١٢٤) .
ونقول للرب أيضاً " إصغ إلى صراخى ، لأنى قد تنزلت جداً . نجنى من الذين
يضطهدوننى ، لأنهم أشد منى . فصرخت إليك يارب . وقلت أنت هو رجائى وحظى فى
أرض الأحياء " (مز ١٤٢) . والعوائق تجعل صلواتنا أكثر عمقاً وأكثر حرارة .

* * *

٣ - والعوائق أيضاً تعطينا خبرة روحية ، ونلمس يد الله وتدخنها لإقننا .
 أليس هو القائل " بدونى لا تقدرن أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) . نلمس قوله " أنا معكم كل الأيام وإلى إقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ٢٠) . وهكذا نرى عملياً كيف أن الله يحل لنا المشاكل ، ويزيل العوائق والعقبات . وندرك عملياً قول الله عن زربابل " من أنت أيها الجبل العظيم؟ أمام زربابل تصير سهلاً " (زك ٤ : ٧) . ونختبر كيف يحول الله الشر إلى خير ، وكيف يتدخل فى الأحداث ، ويدبرها حسب مشيئته ، ويجعلها كلها تؤول إلى مجد اسمه .

وبخبرتنا فى الإنتصار على العوائق بمعونة إلهية نختبر عملياً تفسير الآية التى نقول :
 " ففوا وانظروا خلاص الرب .. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٣ - ١٤) ..

وإذا بالقصص التى نقرأها فى الكتاب ، تصبح واقعاً عملياً أمامنا ، كقصة الثلاثة فتية فى الأتون ، أو قصة دانيال فى الجب . ونضيف إلى حياتنا سجلاً واقعياً من معاملات الله معنا ، أو مع أقاربنا وأصحابنا وزملائنا .. وبالتالي ، نكتسب شجاعة وقوة ، ولا نعود نخاف من الشدائد ولا العوائق ، ولا من الأمور الصعبة ... ونرى كيف أن الله يسمح بالعوائق ، ولكنه يوجد طريقاً داخلها للفكاك منها ..

٤ - وبهذا على الرغم من العوائق ، ندخل فى حياة الشكر .
 الشكر لله الذى أنقذ ودبر وأزال العوائق : الله الذى يفتح ولا أحد يغلق . الله الذى هو أقوى من فرعون ومن نيرون ومن ديقليانوس . وهكذا نرتل قائلين " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين .. الفخ إنكسر ونحن نجونا عوننا من عند الرب الذى خلق السماء والأرض " (مز ١٢٤) .

ونرى فى كل العوائق أن الذين معنا أكثر من الذين علينا (٢مل ٦ : ١٦) .
 نرى أن الملائكة المحاربين معنا ، أكثر من الشياطين القائمين علينا . ونرى أن عمل الله الهادئ أكثر من قوى الشر الصاخبة . وعمل الروح القدس أعمق من كل الإغراءات المضادة ... إن آدم لم يشعر بقيمة كل الخيرات المحيطة به وهو فى جنة عدن . ولكن

الشعب النانه فى سبناء، عرف قيمة الماء المتفجر من الصخرة، وآمن أنزل من السماء.
لأن الإحتياج يعطى قيمة للشئ أكثر من توافره ...

* * *

٥ - العوائق تنشط أرواحنا للقتال مع العدو .

وهكذا يغنى القلب الذى يواجه العوائق ، ويقول " مبارك الرب .. الذى يعلم يدى القتال، وأصابعى الحرب" (مز ١٤٤: ١) . لولا جليات ما اختبر داود قوة رب الجنود ، ولولا الحروب الروحية ، ما كنا نحصل على تعاليم الآباء الذين جربوا خداع العدو، ووصفوا لنا قتالاته وطريقة الانتصار عليها ... لقد عاش بولس البسيط فى ظل صلوات القديس أنطونيوس الكبير . ثم دعاه القديس أن يسكن بمفرده فى الوحدة " لكى يجرب قتالات العدو " لكى تنشط روحه فى الجهاد ، وتختبر الانتصار .



أكبر عائق للفضيلة هو الذات

خطورة الذات :

ما أسهل أن الذات تضيع الإنسان ، كما قال السيد المسيح :

" من وجد حياته بضيعها . ومن أضاع حياته من أجل ي جدها " (مت ١٠ : ٣٩) .

حقاً ما أخطر أن يركز الإنسان كل إهتمامه على ذاته ، كيف تكبر وتعظم . ويحب أن يكون باراً في عيني نفسه (أع ٣٢ : ١) ، وعظيماً في عيني نفسه وفي أعين الناس (أع ١٢ : ٢١ - ٢٣) . وأن يكون حكيماً في عيني نفسه (أم ٣ : ٧) الأمر الذي نهى الرب عنه .
و حرب الذات من الخطايا الأمهات . تزد كثيراً من الخطايا ، كما سنرى فيما بعد ...

* * *

وهي أول خطية في العالم :

هي الخطية التي سقط بها الشيطان ، حينما قال في قلبه " أصدد إلى السموات ، أرفع كرسي فوق كواكب الله .. أصير مثل العلي " (أش ١٤ : ١٣ ، ١٤) . وبنفس الخطية ذاتها أغرى أبونا الأولين على السقوط ، بقوله لهما " تصيران مثل الله .. " (تك ٣ : ٥) .

* * *

موضوع (الذات) يذكرنا بخطية يونان النبي .

الذي خاف أن تسقط كلمته إلى الأرض . إذ يندر أهل نينوى بانقلاب مدينتهم ، فتكون النتيجة أن يتوبوا فيرحمهم الله ، وتسقط كلمة يونان . ويغتم يونان غماً شديداً ويغتاظ (يون ٤ : ١) .

وثقة الإنسان أنه بار في عيني نفسه ، كانت مشكلة أيوب (أى ٣٢ : ١) . ونفس الوضع من جهة الثقة بالحكمة الشخصية ، إذ يقول الكتاب :

" لا تكن حكيماً في عيني نفسك " (أم ٣ : ٧) .

إذ يثق الإنسان بفكره الخاص وبحسن تدبيره ، دون سماع مشورة من أحد ، ويرى أنه على حق في كل شيء . الأمر الذي نهى عنه الكتاب قائلاً " وعلى فكر لا تعتمد " (أم ٣ :

(٦) . وقال أيضاً توجد طريق تبدو للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت " (أم: ١٤ : ١٢)
(أم: ٣٥ : ٣٥) .

نتائج حرب الذات :

١ - أن تكون الذات في قمة الإهتمامات .

بحيث كل ما يدور في فكر هذا الشخص : مستقبلي ، مركزي ، كرامتي ، رأسي ، شخصيتي... بل تتحول الذات إلى هدف ، وهي محصلة كل أعماله وأقواله وتصرفاته . وتكثر في فكره وفي أقواله عبارة (أنا) .

* * *

٢ - وربما يصل إلى إمتداح نفسه لنفسه .

فيفقد الإتضاع ، ويتعلق بمحبة المجد الباطل ، وهكذا لا يستطيع أن يلوم نفسه في شيء . ويحاول باستمرار أن يبرر نفسه في كل شيء . وقد لا يستطيع أن يحتمل كلمة عتاب من أحد ، وليس فقط كلمة تبكيت ، ولا يكون فقط باراً في عيني نفسه ، إنما يحب بالأكثر أن يكون أيضاً باراً في أعين الآخرين ، ويسعى إلى مدحهم وتطويبيهم ، ويسرّ بذلك . ولأجل هذا ، ولغيره أيضاً ، قال السيد الرب :

" من أراد أن يأتي ورائي ، فليترك نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني " (مت: ١٦ : ٢٤) .
وفي بعض الترجمات " يمجّد نفسه" وفي ترجمات أخرى "يكفر بنفسه" وقال الرب أيضاً " من أضاع نفسه من أجلّي يجدها " (مت: ١٠ : ٣٩) . بل قال كذلك أن يبغض الإنسان حتى نفسه لكي يكون تلميذاً للرب " (لو: ١٤ : ٢٦) .

* * *

٣ - هذه الذات التي تجعل الإنسان يقف أحياناً ضد الله .

يعاديه ويقاومه ، ويفصل عنه ، ويكسر وصاياه ، وينضم إلى أعدائه . كل ذلك لكي يشبع الشخص رغباته ، ويسير حسب هواه .

وإن طلب من الله طلباً ، يصرّ أن يكون الله مجرد منفذ لرغباته ، دون أن يضع في إعتباره حكمة الله ومشينته . وإن تأخر الله عليه ، أو ظن أن الله قد تأخر ، يغضب ويتضايق.. ويشك في محبة الله ورعايته ، ويتذمّر ، ويهدد بترك الكنيسة أو إجتماعاتها..

* * *

بل إن الوجوديين أنكروا وجود الله ، شاعرين أنه ضد رغباتهم وضد تمتعهم
(بالوجود) !!

وهكذا نرى إلى أى حد يمكن أن تكون محبة الذات ..! وقد قادت الشيوعيين أيضاً إلى
الإلحاد ، وقادت كثيراً من الفلاسفة إلى الوثوق بأفكارهم أكثر من الثقة بكلمة الله ، وهكذا
فعلت الذات مع بعض رجال الدين فى الغرب الذين وضعوا عقولهم رقيقة على الكتاب
المقدس نفسه !! يقبلون منه ما يوافق هواهم وفكرهم ، وينكرون الباقي !!

٤ - والذات أيضاً دخلت فى محيط الأبوة الروحية والجسدية .

وأصبح البعض لا يطيع الأب الروحى إلا فيما يوافق هواه ، وإلا يغيره ..! أو أنه لا
يعرض عليه ، إلا ما يعرف مسبقاً أنه سيوافق عليه !!

ونفس الوضع فى محيط الأسرة بالنسبة إلى طاعة الوالدين ، ومن هم فى مرتبتهما من
الكبار فى العائلة ، وحتى فى الكنيسة من المشيرين والمدبرين .

٥ - وكانت للذات أثرها فى مجال الخدمة أيضاً .

من جهة محبة الرئاسة والقيادة والسيطرة وفرض الرأى، الأمر الذى سبب إنقسامات
فى مناطق متعددة . كل (خادم) يحب أن يفرض رأيه ومنهجه وأسلوبه ، هو الذى يقود
ولا يقاد . أو على الأقل يكون له مجموعة تتبعه ، وتقف ضد كل من يعارضه أياً كان
مركزه .

إنه فى الخدمة يبحث عن (ملكوته) هو، وليس عن ملكوت الله !!

حتى لو أدى الإنقسام إلى تدخل الطوائف الأخرى وضياع الخدمة ! وحتى لو أصبح
الإنقسام عثرة للمخدومين وشتتهم ! المهم عند هؤلاء هو الذات وإشباعها من حب السيطرة
وتنفيذ الرأى الخاص والحصول على الكرامة الشخصية ، ولو استوفوا خيراتهم على
الأرض " (لوقا : ١٦ : ٢٥) .

٦ - بل قد تدخل الذات فى محيط العقيدة !

حيث يصر (الخادم) فى محيط التعليم ، أن يكون له فكره الخاص ، ينشره ولو كان

ضد كل التعليم المعروف فى الكنيسة ، وضد التقليد والإجماع العام !! المهم عنده هو فكره ونقته بعلمه . وإن جاءه توجيه ، يقاوم . ويرى نفسه أكبر من كل الموجهين !
حقاً ، كيف ظهرت البدع والهراطقات إلا من الذات والاعتداد بالفكر الخاص ، حتى لو كان الهراطقى قد أُنذر مرة وإثنتين وأكثر . ولكن إلتصاقه بذاته أقوى من كل إنذار ...

* * *

٧ - محبة الذات قد توصل إلى عبادة الذات .

حيث لا يريد الشخص فقط أن يكون الأول، إنما بالأكثر أن يكون الوحيد ، وكأنه يقول " أنا وليس غيرى" !! وقد يصل فى محبته لذاته ، أن يقف ضد الآخرين . وقد يهاجم بعنف . وقد يستخدم أسلوباً عدوانياً . ويهاجم كل من هو ضد رأيه .

* * *

٨ - وتوصله محبة الذات إلى العناد .

وإلى تصلب الفكر ، وعدم قبول أى رأى غير رأيه أو ضد الرأى. إما أنه لا يحب أن يسمع ، أو يسمع ويرفض . أو يصل فى المجادلة إلى التشبث بفكره مهما سمع من إقناعات .

* * *

٩ - والذات هى التى تضيع الأسرة .

وتصبح هى العامل الأول فى الخلافات الزوجية ، إذا تشبث فيها كل طرف بفكره . وإذا بحث أحد الطرفين عن راحته فقط ، ولو على تعب الطرف الآخر . أو إن أصر أن يخضع له الطرف الآخر فى كل ما يقوله أو يريده ، ولو عن غير إقتناع وضد رغبته ، وبدون تفاهم! المهم عنده هو الخضوع ، مهما كان ثمنه ، ومهما كانت نتائجه ...

* * *

١٠ - بل الذات تتلف كل المجتمعات .

فالمجتمع يقوم على تبادل الرأى ، وليس على فرض الرأى . وبينى القرار على الحوار. فإن أراد أحد أن يخضع الجميع لرأيه ، أو إن تجاهل فكر غيره، ينقسم المجتمع ولا يثبت .

والذات تفقد باستمرار إلى الأتانية .

والأتانية لا تبنى أية علاقة إجتماعية ، بل تهدمها ...

مظاهر محبة الذات :

الذى يهتم بذاته ، إما أن يكون من ناحية الجسد ، أو من ناحية النفس ، أو من ناحية الروح .

فمن ناحية الجسد ، يسعى إلى شهوة الجسد وشهوة العين (ايو ٢: ١٦) أى فى محبة العالم والمادة البعيدة عن محبة الله .

* * *

وفى محبة الجسد والمادة وقع سليمان الحكيم ، ففقد حكمته .

قال " بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت لنفسى جنات وفرانيس ... جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً .. اتخذت مغنين ومغنيات وتعمعات بنى البشر سيده وسيدات " (جا ٢: ٤-٨) .

لاحظوا عبارة (نفسى) أى ذاتى ، التى تكررت كثيراً فى كلامه ... وماذا كانت النتيجة ؟ يقول الكتاب فى زمان شيخوخة سليمان ، أن نساءه أملن قلبه إلى آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه " (امل ١١: ٤) .

* * *

ومثل سليمان ، نتكلم عن شمشون وعن داود فى خطية كل منهما . وفى حياة الرفاهية والمال والنساء والعظمة وشهوة الجسد ، وعقوبة الله لكل من هؤلاء . كلهم أرادوا أن يببنوا أنفسهم بطريقة غير روحية . بتحقيق شهواتهم ، بالمغنين والمغنيات ، بالسيدة والسيدات ، بدليلة وبثشبع .. وانطبق عليهم قول الرب " من وجد حياته يضيعها " .

* * *

والضئيلة تكون هنا فى الإنتصار على الذات .

فى ضبط النفس . فى قول القديس بولس الرسول " اقمع جسدى واستعبده ، لئلا بعدما كرزت لآخرين ، أكون أنا نفسى مرفوضاً " (١كو ٩: ٢٧) .

* * *

ومن جهة النفس ، الذى يريد أن يشبع رغبات نفسه ، قد يقع فى الغيرة والحسد ، لأنه يريد لنفسه ما فى يد غيره .. وقد يقع فى مصارعات مع الآخرين .. قد يقع فيما وقع فيه

إخوة يوسف لما حسدوا أخاهم (تك ٣٧) . أو فى الشعور تسمى الذى كان للأخ تكبير تجاء أخيه الأصغر الذى ذبح له أبوه العجل المسمن (لو ١٥) .. أو ما حدث بين يعقوب و عيسو الذى قال " أقوم و اقتل أخي " (تك ٣٧ : ٤١) .. أو ما حدث بين يعقوب ولينة التى قالت " مصارعات الله صارعت مع أختى " (تك ٣٠: ٨) .. هؤلاء كلهم دخلوا فى صراعات ، وانطبق عليهم ما قيل عن إبراهيم ولوط :
" ولم تحتملها الأرض أن يسكنا معاً " (تك ١٣: ٦) .
لذلك فإن ابنا ابراهيم البعيد عن الذات ، ترك للوط حرية إختيار الأرض . واختار لوط لضباعه فيما بعد ، فى سبى سادوم (تك ١٤) وفى حريقها (تك ١٩) .

* * *

إن لصراعات الذات دخل فى شكوى مرثا من مريم بقولها " اختى تركتني أخدم وحدي" (لو ١٠ : ٤٠) . وكانت مريم قد اختارت النصيب الصالح، الشكوى التى قدمت ضدها كانت من جهة صلاحها !!
ولكن الذات تقف حتى ضد الأخوات !!
وضد الأخوة معاً ، والأقارب ، والخدام ...!!

لا أنا :

ما أجمل وما أعمق قول القديس بولس الرسول :
" فأحبنا لا أنا بل المسيح يحيا فى " (غل ٢ : ٢٠) .
هنا النكران الكامل للذات فى كل شئ .. " لنكن لا مشيئتي بل مشيئتك " هكذا كان السيد المسيح يقول للأب ، وهكذا نقول أيضاً فى الصلاة الربانية كل يوم " لنكن مشيئتك " .

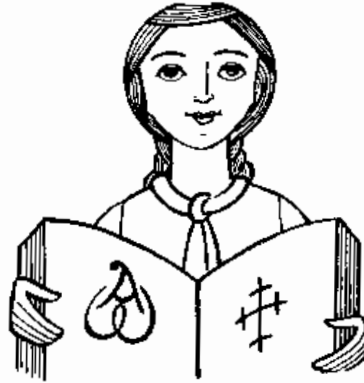
* * *

وهكذا فعل أبونا ابراهيم حينما قال له الرب " اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك " (تك ١٢) . " فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب " (عب ١١: ٨) . وفى طاعته تخلقى عن ذاته وعن كل شئ .. بل فى طاعته لما أمره الله بتقديم ابنه الوحيد محرقة (تك ٢٢: ٢) تخلقى عن عواطفه وآماله . وترك كل ما يتعلق بالذات ، منشغلاً بالله وحده . وفى قلبه أيضاً عبارة (لا أنا) " لا مشيئتي ، بل مشيئتك " .

ومثل القديس بولس وأبيننا ابراهيم ، القديس يوحنا المعمدان أيضاً .
كان يختفى لكي يظهر المسيح . ويقول " من له العروس ، فهو العريس " أما أنا
فمجرد صديق للعريس اسمع واقترح " ينبغي أن ذلك يزيد، وأنى أنا أنقص " (يو: ٣: ٢٩
٣٠) .

ومع ذلك ، فهذا الذى قال " أنا أنقص " قال عنه الرب " لم تلد النساء من هو أعظم من
يوحنا المعمدان " (مت ١١ : ١١) .

وعبارة " أنا أنقص " أكملها بولس الرسول بقوله " لا أنا " ...



وإذ لم يكن له أصل

جف (مت ١٣: ٦)

كثير من الناس يبدأون الحياة مع الله ولا يستمرون .
إما أنهم يبدأون بحرارة ، ثم يبردون ، أو كما يقول الكتاب أحياناً أن بعض الناس يبردون . وأحياناً البعض قد يتركون محبتهم الأولى ، أو يفترقون ، أو يبردون ...
والسيد المسيح لما قدم لنا مثل الزارع ، أعطانا صوراً عن أناس وقعت البذار في أرضهم، ولكن بعضهم فشلوا . وأريد أن أحدثكم اليوم عن نوع واحد من هؤلاء ، قال عنه الرب إنه " إذ لم يكن له أصل جف " (مت ١٣: ٦) .

★ ★ ★

هذا النوع بدأ بداية ، ربما تبدو طيبة .
قيل عنه إنه نبت حالاً (مت ١٣: ٥) . وإنه النوع " الذي يسمع الكلمة ، وحالاً يقبلها بفرح " (مت ١٣: ٢٠) . ومع ذلك قيل مرة إنه جف ، ومرة أخرى إنه احترق . لماذا لأنه " لم يكن له أصل في ذاته ، بل هو إلى حين " ، وإنه " ليس له عمق أرض " .

★ ★ ★

المشكلة أنه " ليس له أصل " أي ليست له جذور قوية ممتدة ، أو ليس له عمق أرض .

هذا النوع هوائي ، ليست له عمق صلة مع الله ، لذلك استمر في علاقة مع الله إلى حين ، ثم جف ... مع أنه قيل الكلمة حالاً بفرح .. إنها مأساة لأناس يقبلون الكلمة بفرح وبسرعة . ومع ذلك لأنه لا توجد لهم تربة عميقة ، فيجفون . نسمع عن أمثال هؤلاء ما يقوله القديس بولس الرسول :

" لأن كثيرين .. ممن كنت أنكرهم لكم مراراً ، والآن أنكرهم أيضاً باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح ... " (في ٣: ١٨) .

ويكمل الرسول فيقول " الذين نهايتهم الهلاك .. ومجدهم في خزيمهم ، الذين يفكرون في الأرضيات " .. هؤلاء كانوا من مساعديه ، من أقوى العاملين معه . آمنوا، وخدموا

مع الرسول .. قبلوا الكلمة بفرح ، وساروا مع الله شوطاً .. ومع ذلك يذكرهم الرسول الآن وهو باك، وقد صاروا أعداء صليب المسيح ...

★ ★ ★

لعله من أمثلة هؤلاء ديماس ، أحد مساعدي الرسول الكبار .

الذي كان يذكره أحياناً إلى جوار أسماء لوقا ومرقس الإنجيليين ، وارسترخس .. ثم قال عنه الرسول أخيراً " ديماس تركني لأنه أحب العالم الحاضر " (٢تى: ٤: ١٠) . نبت قليلاً، بعد أن قبل الكلمة بفرح. ولكن " إذ لم يكن له أصل جف " بل احترق (مت: ١٣: ٦).

★ ★ ★

ومن الأمثلة أيضاً " الذين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد " .

فرق بين الذين يجفون أو يحترقون ، والذين يفترون .

ملاك كنيسة لاونكية كان فائراً ، وكانت أمامه فرصة للتوبة (رؤ: ٣: ١٦ ، ١٩) . وملاك كنيسة أفسس ترك محبته الأولى ، وكانت له أيضاً فرصة للتوبة (رؤ: ٢: ٤ ، ٥) .. وهناك نوع أصعب من هذين . وهو ملاك كنيسة ساردس ، الذي قال له السيد المسيح : " لك إسم إنك حي، وأنت ميت " (رؤ: ٣: ١) . ولكن الجميل أن هؤلاء الملائكة الثلاثة ، على الرغم من سوء حالتهم ، السيد أرسل لهم رسائل يدعوهم إلى التوبة .. هنا قلب المسيح الطيب الذي يتحنن حتى على الذي له إسم إنه حي وهو ميت .. إنه لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع ويحيا ، بل هو يدعو الكل إلى الخلاص .. ولكن

★ ★ ★

من هذا الذي ليس له أصل ، وليست له جذور عميقة ؟

هناك أشجار لها جذر عميق في الأرض مثل النخلة . وأشجار لها جذور تمتد عرضياً بقوة مثل أشجار الكافور ، ولها عمق أيضاً . والجذور القوية تستطيع أن تحمل الشجرة، وتحمل الشجرة مهما صدمتها الرياح والزوابع والرمال ...

ونحن قد تعلمنا هذا الدرس من الأشجار ، وطبقناه في المباني . فجعلنا لها أساسات قوية وعميقة من الخرسانات العادية والمسلحة ، قواعد تربطها سمالات عرضية . وكلما ارتفع البيت ، يستعد له المهندسون بأساسات أقوى وأكثر عمقاً تحميه .. ولكن مسكين ذلك البيت الذي ليس له أساس ولا عمق ، بل هو مبنى على الرمل ، إنه يسقط مثل أوراق الشجر ...

ما هي الجذور العميقة ؟

أول جذر عميق يربط الإنسان بالله ، هو الحب .
لأن هناك أناساً يتحركون في حياة الفضيلة ، ويتحركون داخل الكنيسة حتى في حياة
الخدمة، ومع ذلك لا يربطهم بالله حب ، الواحد منهم يصلى ويصوم وليست له محبة
إلهية، كما وبخ السيد المسيح أولئك اليهود الذين انطبق عليهم قول الرب في سفر اشعيا
النبي " هذا الشعب قد اقترب إلى بقمه ، وأكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً "
(أش: ٢٩ : ١٣) (مت: ١٥ : ٨) .

★ ★ ★

يكرمني بشفتيه تعنى النبات الظاهر على وجه الأرض .
وقلبه مبتعد تعنى عدم وجود جذور تربطه بالأرض .
كم من أناس يصلون ، وقلوبهم بعيد عن الله . ويرفعون أيديهم إلى الله ، والله رافض
لهذه الصلاة ، كما قال الرب لهؤلاء " حين تبسطون أيديكم استر وجهي عنكم . وإن
أكثرتم الصلاة لا اسمع . أيديكم ملأنة دماً " (أش: ١ : ١٥) . هؤلاء قد يصلون ، ولكن لا
محبة في قلوبهم من نحو الله والناس ..! ولذلك يجف ...

★ ★ ★

قد يوجد إنسان يجف ، وهو داخل الكنيسة ... !
من الجائز أن هذا الإنسان يخدم ، وله نشاط جبار يخدم في فروع عديدة ، وفي بلاد
وفي مؤتمرات ، وله اسم وله شهرة . ومع ذلك ليس له أصل من الحب يربطه بالله ..
ربما تسمع عن نشاطه فتعجب به . فإذا إصطدمت به وعاملت بعنف ، تعجب منه ...
إنسان يجف وهو داخل الكنيسة ، مثل إينة يابرس التي ماتت وهي في بيت أبيها .
ومثل الإبن الضال الكبير الذي أساء إلى أبيه (لو: ١٥ : ٢٨ - ٣٠) . وقال لأبيه "ها أنا
أخدمك سنين عديدة ... وقط لم تعطني جدياً لأفرح مع أصدقائي " وكأنه يصف أباه
بالبخل والظلم .. إنه كان يخدم الأب ، ولكن قلبه مبتعد عنه بعيداً ...

★ ★ ★

أناس أثناء معجزة ظهور العذراء في الزيتون انتعشوا روحياً ...
وربما ننوروا ننوراً ، وفرحوا بالرب ، وصاموا وصلوا وتناولوا ، وتحذثوا في إعزاز
عن كرامة العذراء والقديسين .. ولكنهم إلى حين ! وابتحوا عنهم الآن تجدوا الشعور

الروحي قد انتهى . لقد قبلوا المعجزة بفرح .. وهللوا لها .. ولكن لم يكن في قلوبهم حب عميق نحو الله .. وإذا لم يكن لهم أصل جفوا ...

★ ★ ★

من أهمية محبة القلب لله ، يقول الرب :

" يا ابني اعطني قلبك " (أم ٢٣ : ٢٦) .

ولماذا تطلب يارب هذا القلب ؟ لكي أمتد جذوره في الأرض ، واجعل له فروعاً في كل مكان ، وأثبته وأقويه ، فلا يقتصر فقط على العمل الخارجي ...
الكل مؤمنون . ولكن هل للكل جذور قوية ، تمتص الحياة وترسلها إلى الفروع، وتضخها ضخاً إلى الجذع والفروع والأوراق . لذلك يقال عن القلب أنه مضخة . وعصارة الحياة تصل إلى كل الشجرة .

★ ★ ★

أما الشجرة التي ليس لها جذور فإنها تجف .

الشجرة القوية خضرتها داكنة وقوية . فإذا لم تصلها عصارة الحياة من الجذور تبدأ تجف .. وكيف ؟ خضرتها تبهت قليلاً ، ثم تصفر ، وتنفد حيويتها ، وتجف ، وتسقط أوراقها .

★ ★ ★

ما هي إذن المحبة الإلهية التي عندك ، التي هي مضخة ، توصل الحب إلى صلواتك، وأصوامك وتأملاتك ، وخدمتك ومعاملاتك للناس .

عندما بدأت حياتك : هل بدأتها بالسماع عن الله ، أم بالإيمان القوي بالله؟ ولذلك كما قلنا إن المحبة هي جذر من الجذور القوية في النبات الروحي ، نقول أيضاً :

★ ★ ★

الإيمان هو أصل من الأصول القوية التي تحفظ الحياة .

فهل عندك هذا الإيمان . أم دخلت الكنيسة وأنت طفل على إيمان والديك . وظللت حتى الآن على إيمان والديك ، وليس لك الإيمان الشخصي الذي ينمو في محبة الله ؟! هل عشت بالإيمان . فإن كان لك الإيمان القوي ، لا يمكن أن تجف . بل الذي له مثل هذا الإيمان، يقول مع المرثل :

إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً (مز ٢٣) .

لماذا ؟ لأن الرب معي . أنا أؤمن بوجوده في حياتي ، فلا أخاف مطلقاً أنني أجدف ..
حتى إن ضعفت ، حتى إن سقطت . فالكتاب يقول " إن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم"
(أم ٢٤ : ١٩) . إن بطرس كان له إيمان كبير بالرب ، ومع ذلك سقط ، ولكنه قال للرب :
هذا سقوط ضعف ، وليس سقوط خيانة . حدث أن بطرس الرسول سقط وسب ولعن وقال
لا أعرف الرجل ، ومع ذلك قال للرب بعد القيامة " أنت تعلم يارب كل شيء . أنت تعلم
أني أحبك" (يو ٢١ : ١٧) .

★ ★ ★

بعد سقطة بطرس بكى بكاءً مرأ ، لأن الجذر القوي مده بالدموع وبالنبوة . وهكذا
فالشخص الذي له أصل في الأرض ، إن سقط يقول :

" لا تشمتي بي يا عدوتي ، فإني إن سقطت أقوم " (مي ٧ : ٨) .

له أصل في الأرض ، يقيمه إن سقط . والرب يقول إن الذي ليس له أصل " إذا حدث
ضيق أو إضطهاد من أجل الكلمة ، فحالا يعثر " (مت ١٣ : ٢١) . لذلك يقال عن الذي
يرتد في وقت الضيقة ، إنه " ليس له أصل " ، فجف وسقط .. لذلك لا بد أن يكون للمؤمن
أصول قوية ، منها الحب ، ومنها الإيمان .

★ ★ ★

من ضمن هذا الإيمان ، الإقتناع القوي بالحياة الروحية .

يكون مقتنعاً بالفضائل ، بكل تفاصيلها . ونحن نرى مثلاً أن الإقتناع يدفع إلى العمل
دفعاً قوياً . فالذي يكون مؤمناً بأهمية كرامته الشخصية مثلاً . إذا ما مست هذه الكرامة
تراه يثور لها ، ويقوم الدنيا ولا تقعد بسبب ذلك . كذلك الذي يؤمن بأهمية الإلتضاع
والتسامح والوداعة مهما حاربه التأثير لكرامته يبقى إيمانه بالفضيلة وبالروحيات وإيمانه
بالطيبة والوداعة والتسامح . جائز أن البعض يؤمنون بالفضيلة مجرد إيمان عقلي .

أي أنه بعقله يقول إن المغفرة أفضل من الحقد ، والتسامح أفضل من انتقامه لنفسه .
والإحتمال أفضل من الغضب والثورة . ولكن عملياً هذا غير موجود في حياته . إنه
مجرد إيمان عقلي ، وليس إيماناً قلبياً ولا عملياً . إنه إيمان عقلي بالفضيلة ، ولكنه في
دائرة العقل فقط ، وليس له أصل ولا جذور داخل القلب ، إذا اختبر عملياً لا يكون له
وجود ...

قيل إن الشياطين يؤمنون ويقشعرون .

إنه مجرد إيمان عقلي ، ليس له جذور ، غير مبني على حب إلهي ، ولا إقتناع داخلي
بالتنفيذ ...

★ ★ ★

لذلك أريدكم لا أن تهتموا فقط بالأعمال الظاهرة ...
إنما إهتموا بالأكثر بالعوامل الداخلية وليس الظاهرية في الإيمان والحب .
لذلك فالشخص المؤمن إيماناً عملياً بالفضيلة والخير والحب نحو الله والناس ، إذا
حورب فإن أصله الداخلي لا يسمح له بالسقوط . لذلك فإنها عبارة عجيبة أن يقول
شخص:

" فلان كان يحبني زمان ، أما الآن فليرحمنا الله " .

يقول " فلان تغير . لم يعد كما كان أولاً " لماذا ؟ هل هذا الحب لم يكن له أصل ،
فلما هبت الرياح على هذا البيت سقط . ولماذا سقط ؟ لأنه لم يكن له أصل وأساس قوي !
ولم يكن له عمق ...

★ ★ ★

والمعروف أنه كلما يزيد الإرتفاع لأي مبنى ، لا بد أن اساسه يزداد عمقاً وقوة
ليحتمل، كما في " ناطحات السحاب " .

وأنت بناؤك الروحي ، ليس هو مجرد ناطحات سحاب ، بل أنه يرتفع حتى السماء
الثالثة، بل يصل إلى أورشليم السمائية مسكن الله مع الناس (رو ٢١: ٣) . فلا بد أن تعمق
أساساتك ، تجعل جذورك تمتد . وكلما تنمو يجب أن تجعل جذورك تمتد إلى تحت .

★ ★ ★

لذلك فإتبه من الجذور التي تحمي الإنسان : تواضع القلب .

مهما إرتفع ، تواضع القلب يحميه ، ارتفع في مركزه في شعبيته ، في قيمته عند
الناس ، لا بد أن يكون عنده إنسحاق قلب نازل إلى تحت ، تحت التراب ، حتى إنه مهما
إرتفع من الخارج ، فإن جذور التواضع تجذبه إلى أسفل ، وتقول له : أعرف من أنت ؟
أنت مجرد تراب ورماد ، مهما إرتفعت .. هذا حقاً له أصل .

★ ★ ★

للأسف كثير من الناس يهتمون بالأعمال الخارجية الظاهرية ، ولا يهتمون بالجذور
التي تحت .

يقول واحد منهم " لا أريد أن أغضب " . ويظل يكبت الغضب في داخله ، ولا ينفذ بأية لفظة خارجة . يضبط لسانه ويحاول أن يضبط أعصابه ، ولكن القلب من الداخل كله ثورة وسخط . وسكوت هذا الإنسان من الظاهر ليس له أصل .. ليس له أصل من الوداعة ، ولا من الإلتضاع ، ولا من الحب ، ولا من الإحتمال . لذلك قد يضبط نفسه إلى حين ... وبعدها ينفجر !

أما الإنسان المتواضع ، فإن جنوره الداخلية تقول له : ألا تتذكر خطاياك . أنت فعلاً أخطأت في أشياء كثيرة ، ولعلك تستحق ما يفعله هذا الإنسان بك ...

★ ★ ★

وهذا ما قاله بعض الآباء عن تحويل الخد الآخر ..

قال : بينما يكون المسمى إليك قد لطمك على خدك من الخارج ، تكون أنت تلطم نفسك من الداخل بتوبيخك لنفسك وبتذكرك خطاياك . فيكون هناك توافق بين داخلك وخارجك . أما مجرد الإحتمال الظاهري الخارجى مع ثورة القلب الداخلية ، فإن هذا يوقعك فى الثانية المتعبة . وتجد نفسك فى صراع بين ما هو كائن فيك ، وما ينبغى أن يكون ...

★ ★ ★

إنسان آخر قد يتقن صمت اللسان من الخارج ، ولكن قلبه من الداخل يروى فتوناً وفيه أفكار كثيرة .

إنه ليس له أصل ، مهما حاول أن يمسك لسانه فلا يتكلم ؟ حقاً إنه امتنع عن الخطأ بلسانه ، ولكن الخطأ فى قلبه لا يزال موجوداً . إنه إنسان ليس له أصل ، والله قارئ الأفكار وفاحص القلوب ، يعرف ما كان يريد هذا الإنسان أن يقوله ...

★ ★ ★

كإنسان يصوم من الخارج ، وليس له زهد فى الداخل .

هو يصوم الأربعين المقدسة ، وأسبوع الآلام ، ثم يقول " انتقمتم لنفسى فى أيام الخمسين ، ومهما اشتتهه عيناى فى تلك الأيام لم أمنعه عنهما ... إنه إنسان ليس له أصل فى الصوم ، كالذى يصوم وهو يحاول أن يتحايل على الصوم بالتفنن فى الأطعمة الصيامية وصنعها بطريقة مشتتة .. إنه يصوم ولا ينتفع بالصوم ، وذلك بسبب أسلوبه الخاطى ، ولأنه ليس له أصل فى الزهد فى المادة وفى شهوات الجسد ، وليس له أصل فى الإهتمام بالروح والسمو بها ...

طرق تبدو مستقيمة

هناك آية تكررت مرتين بنفس النص في سفر الأمثال وهي :
" توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت " (أم ١٤ : ١٢) .
وهي بنفسها في (أم ١٦ : ٢٥) . ولابد أن لهذا التكرار أهمية خاصة ، في التركيز على
نفس المعنى . فما هو هذا المعنى ؟
لعل المقصود أولاً ، أن الإنسان لا يجوز له أن يعتمد على مجرد رؤيته الخاصة
للأمور وفهمه الخاص . فمن الممكن أن يخطئ ، ويظن أن الخير له في طريق تضره .
ولذلك يقول الكتاب في نفس السفر :
" .. وعلى فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥) .

* * *

ولذلك لا يجوز للإنسان أن ينفذ كل ما يطرأ على ذهنه من أفكار ، أو من رغبات ، قد
تبدو له سليمة ، بينما تتعبه أخيراً ... إذن فهمك وحده ، لا تعتمد عليه ، ولا تثق ثقة مطلقة
بكل أفكارك وأتجاهاتك ...

هوذا الكتاب يلوم الإنسان " الحكيم في عيني نفسه ... " .
ويقول " أريت إنساناً حكيماً في عيني نفسه ؟ الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به " (أم ٢٦ : ١٢) .
إن الحكيم في عيني نفسه ، يسير حسب فكره وحده . وربما يرى إحدى
الطرق مستقيمة ، بينما عاقبتها طرق الموت .

* * *

أول خطية للإنسان ، كانت تبدو له مستقيمة ، بينما عاقبتها الموت .
قالت الحية في إغرائها للأكل من الشجرة " تصيران مثل الله ، عارفين الخير والشر " .
ولكن هذا الإغراء لم يتحقق ، ووقع الإنسان تحت حكم الموت ، وطرده الله من الجنة ...

* * *

والشيطان نفسه ، كانت طريقه تبدو له مستقيمة !
وذلك حيث قال " اصعد إلى السموات . أرفع كرسيّ فوق كواكب الله .. اصعد فوق
مرتفعات السحاب . أصير مثل العليّ " (اش ١٤ : ١٣ ، ١٤) .. وكانت النتيجة أنه " إنحدر

إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب " . وفقد مركزه كملك ، وإنفصل عن الله إلى الأبد .
أدم دفعه الشيطان . أما الشيطان فدفعته شهوة قلبه الرديئة .

حقاً، كم من أناس، تجنبهم طرق تبدو أمامهم مستقيمة، كالباب الواسع والطريق الرحب...!
وقد حذر الرب من هذا الطريق في آخر العظة على الجبل . وقال عن هذا الباب
الواسع إنه " يؤدي إلى الهلاك . وكثيرون يدخلون منه " (مت ٧: ١٣) .. وعكس ذلك
الباب الضيق والطريق الكرب المؤدى إلى الحياة ... ولاشك أن كثيرين ربما يختارون
الباب الواسع ، ويظنون الطرق الرحبة هي الطرق المستقيمة !!
إذن لا تعتمد على فكرك فقط ، فربما يضيعك .

الإبن الضال كان يرى أن الخروج من بيت أبيه طريقاً مستقيمة ! (لو ١٥) .
ستؤدى به إلى الحرية والمتعة ، وصحبة الأصدقاء ، والإنفاق كما يشاء ، وعدم
الخضوع لقيود وأوامر ووصايا من الأب أو من نظام بيت أبيه . ولكن هذه الطريق التي
كانت تبدو أمامه مستقيمة ، كانت نتيجتها هي ضياعه !

نفس الوضع مع رحبعام ، كان يرى أن طريق السلطة والكرامة هي الطريق
المستقيمة .

كان يرى أنه ليس من الحكمة أن يتمرد أفراد الشعب على سلطانهم ، قال لهم في
إعترازه بالقوة " أبى أدبكم بالسياط ، وأنا أؤدبكم بالعقارب . أبى تَقَلَّ نيركم ، وأنا أزيد على
نيركم " (١مل ١٢: ١٤) . فكانت النتيجة أن عشرة أسباط إنقسموا عليه ، وكونوا لهم
مملكة مستقلة عنه !!

مشورة اخيتوفل ، كانت تبدو مستقيمة فعلاً !

كان اخيتوفل مشيراً لداود النبي والملك ، قبل إنشاقه عليه . وكان حكيماً في نظر
الناس . " كانت مشورة اخيتوفل التي يشير بها في تلك الأيام ، كمن يسأل بكلام الله"
(٢صم ١٦: ٢٣) . كانت في نظر الكل مستقيمة ، بينما " عاقبتها طرق الموت " . لذلك
صرخ داود إلى الرب قائلاً " حمق يارب مشورة اخيتوفل " (٢صم ١٥: ٣١) ...

شاول الطرسوسى فى إضطهاده للكنيسة ، كان تبدو له طريقة مستقيمة .
ولذلك قال مرة مفتخراً "من جهة الناموس فريسى . من جهة الخيرة مضطهد للكنيسة"
(في ٣: ٦) . كان يسمى إضطهاد الكنيسة غيرة معتسة ! وفى سبيل هذه الخيرة " كان ينفذ
تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب " وكان يسوق رجالاً ونساءً موتقين إلى اورشليم " (أع ٩: ٢١) ..
واستمر فى هذه الطريقة ، حتى ظهر له الرب ، وأبعده عن هذه الطريق التى
تبدو مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت ...

نفس الوضع بالنسبة إلى نيرون وبقليداتوس ...

وكل أباطرة الرومان الذين إضطهدوا المسيحية بكل عنف وقسوة ، ومعهم ولائهم
الجبارة أمثال أريانس والى أنصنا .. أولئك الذين افتتوا فى وسائل تعذيب المسيحيين ،
وسجنهم وقتلهم . وكانون يظنون أن تلك هى الطريقة المستقيمة ، حفظاً لديانتهم الوثنية
من خطر عبادة الله الحى ...

قيافا رئيس الكهنة ، ومعهم مجمع السنهدريم ، فى إتهامهم للمسيح .
وكانوا يرون أن تلك طريق تبدو مستقيمة ، للتخلص من هذا المسيح الذى قالوا عنه إن
الكل قد سار وراءه . وهكذا عقدوا مجمعاً وقالوا " ماذا نصنع ؟ فإن هذا الإنسان يعمل
آيات كثيرة . فإن تركناه هكذا ، يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومان ويأخذون موضعنا
وأمتنا!! " وقال قيافا رئيس الكهنة فى تلك السنة " خير لنا أن يموت إنسان واحد عن
الشعب، ولا تهلك الأمة كلها " !! (يو ١٢: ٤٧ - ٥٠) .. إنها طريق تبدو أمامه مستقيمة!!

وبنفس الغيرة التى تبدو مستقيمة ، ألقى دانيال فى جب الأسود ، والثلاثة فتية فى
أتون النار (د ٣١ ، ٦) .

وبنفس الشعور تقريباً صاح أهل أفسس فى ثورة عارمة دفاعاً عن آلهتهم قائلين
"عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين " (أع ١٩: ٣٤) . وامتألت المدينة غضباً . وأوشكوا أن
يقتلوا القديس بولس الرسول فى ذلك اليوم .. إنها طريق تبدو لهم مستقيمة ، تدفعهم إليها
غيرة جاهلة !

سليمان الحكيم في كثرة زيجاته ومتعته ، كان يظنها طريقاً مستقيمة .
وهكذا شرح كل متعه هذه في سفر الجامعة (٢ : ٤ - ١٠) . وقال " عظمت عملى ..
فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى في أورشليم . وبقيت أيضاً حكمتى
معى . ومهما إشتهته عيناى لم أمسكه عنهما . لم أمنع قلبى من كل فرح " ... وأخيراً
أضاعته كل هذه المتع ، وأضاعته نساؤه ، "وأملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه
كاملاً مع الرب إلهه ، كقلب داود أبيه " (١ مل ١١ : ٤) . وأخيراً عرف أن كل ذلك باطل ،
وعاقبته طرق الموت ...

* * *

العجيب أن كل إنسان تبدو طريقه جميلة في عينيه .
فكره هو أحسن فكر ، ورأيه هو أفضل رأى ! وتصرفه هو أحكم تصرف ! ويعارض
كل رأى يخالفه . وكما قال الكتاب " كل طرق الإنسان نقية في عينى نفسه . والله هو
وازن الأرواح " (أم ١٦ : ٢) .

حتى الذى يعيش في العلامى والخمر والمخدرات ...
يظن واهماً أن سعادته في هذا اللهو ، والسكر ، وفي المخدرات التى تنقله إلى عالم
آخر ، وعاقبتها طرق الموت .. طريق تبدو أمامه مستقيمة تدفعه إليها الشهوة .. وربما
بسببها يسرق ويحتال ويقتل ، ليصل إلى هذه المتعة الجميلة في عينيه ...

* * *

حتى طوائف المبتدعين والهرطقة ، يظنون طريقهم مستقيمة !
وليسوا فقط يتمسكون بها، بل ويدعون الناس إليها، ويحاورون من أجلها في إصرار
أو في عناد شديد. ويحاربون الإيمان السليم في عنف وبكل الوسائل، ويستخدمون الكتاب
المقدس في محاولة لإثبات هرطقاتهم .. طريق تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق
الموت ... يقول كل واحد : مذهبي أحسن مذهب ، وعقيدتى أصح عقيدة . والباقيون
مخطئون .

* * *

التلميذ الذى يفشل في الإمتحان ، ألا يجد طريقه مستقيمة !؟
طريقة سهلة في الوصول إلى النجاح بأسهل السبل ، بدون تعب ومشقة ! بينما قد
تؤدى به إلى الرفق ، وعاقبتها طرق الموت !..

كذلك الإنسان الذي يفتقم ويتشفى ، ولو بمؤامرات ، تسأله ، فيقول : لابد أن أنتصر ،
مهما كان الأمر ، وأكون أنا الأقوى . ويسمى تصرفه إنتصاراً .. إنها طريق تبدو
مستقيمة .. وقس على ذلك أمثلة لا تحصى .

أسباب :

١ - جائز الطريق تبدو مستقيمة ، بسبب الجهل .

أو نتيجة التعليم الخاطى ، يقبله إنسان ساذج أو جاهل ، فيظنه أنه الحق ، ويتمسك به
ويدافع عنه ، ربما ثقة بمعلمه ، أو لأنه لم يسمع كلاماً مقنعاً عكس هذا الكلام . فيبدو
أمامه هذا الفكر مستقيماً ، ويعتقه .. وعاقبته طرق الموت .

★ ★ ★

ولذلك قال الرب " هلك شعبي من عدم المعرفة " (هو٤ : ٦) .

من أجل ذلك كانت التوعية السليمة لازمة فى كل المجالات: فى الدين ، فى الروحيات
فى العلم، فى الإجتماع ، فى الأسرة ، فى كل مجال .. لتقديم الفكر السليم الروحى ...
بالتوعية أمكن لنا بنعمة الله إصلاح ما كان يحدث فى (الموالد) وفى (المآتم)، وأبطلت
كثير من الأعمال الخاطئة ، التى كان الناس قد تعودوا ، وكانت تبدو لهم مستقيمة .

★ ★ ★

٢ - جائز تبدو الطريق مستقيمة ، من أجل شهوة فى القلب .

وهذه الشهوة مسيطرة ، ويمكنها أن تخضع العقل لها ! حتى إننى قلت كثيراً: ما أسهل
أن يكون العقل خادماً مطيعاً لرغبات النفس ! وهكذا تعمل كل قواه العقلية فى إثبات صحة
ما يشتهي وفائدته وشرعيته ، وتبدو طريقه أمامه مستقيمة !

كإنسان يجد سعادته فى تطليق زوجته ، يظل يبحث عن أسباب ، ويقنع نفسه ،
ويحاول أن يقنع غيره ، بكافة الإثباتات ، أن تطليق هذه الزوجة هى الطريق المستقيمة
... لأنها الحل الوحيد لسعادته ... وعاقبتها طريق الموت ...

ومثال ذلك أيضاً من يحب امرأة من غير دينه ، ويتعلق قلبه بها ، ويحب أن يتزوجها
مهما ضحى ، حتى بدينه !

الشهوة دائماً تعمى العقل عن الرؤية السليمة .

★ ★ ★

٣- ممكن تصير كل طريق مستقيمة ، إذا تحول العقل الى الدهاء .
الى المكر ، الى الحيلة ، أو التحايل ، الذى يستطيع أن يجد حلاً لكل مشكلة ، وله
مسالك كثيرة ، ويجعل كل التصرفات تلبس ملابس بيضاء لاخطأ فيها ... والعجيب أن
الناس قد يمتحنون هذا العقل فى كل حيلة ويقولون "قلان ده جن!!" كما لو كان وصفه
بالجن مديحاً !! وتبدو الطريق مستقيمة ...

★ ★ ★

٤- قد تبدو الطريق مستقيمة ، بتأثير الصحبة الشريرة .
التي تقدم للعقل أساليب جديدة ، وتبرر له كل مسلك خاطئ ، بل قد تغير تفكيره تماماً،
وتعمل له ما يسميه البعض "غسل مخ" . فيتغير ، ويقبل ما كان يرفضه من قبل ، ويعتبره
طريقاً مستقيماً ...

★ ★ ★

٥- من الجائز أن تتعلق بالمادة والعالميات ، يصور أموراً كثيرة بأنها مستقيمة .
هل تظنون أن التمسك بالروحيات ، وعدم محبة العالم وما فيه ، والزهد فى
اله اديات.. هل كل هذه تبدو عند الناس مستقيمة ، كلا ، طبعاً . بل يظنون العكس هو
الوضع السليم، لأن المبادئ الروحية غير راسخة فيهم . يقول الرسول عن أمثال هؤلاء "
الذين نهايتهم الهلاك، الذين ألتهم بطونهم ، ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى
الأرضيات " (فى٣ : ١٩) ... مع أن هذه الأرضيات ، عاقبتها طرق الموت ...
بل إنهم ينتقدون الشخص الروحى، ويقولون عنه إنه إنسان مسكين، محروم من الدنيا .
كما لو كانت (الدنيا) هى الهدف وهى الطريق المستقيمة ... ولاشك أن هؤلاء
يحاربون التكريس والطريق الروحى ، ويلومون من يسيرون فى هذا الإتجاه ، لأنهم فى
نظرهم مساكين لم يتمتعوا بالدنيا !!

★ ★ ★

ولكى ينجو الإنسان من طرق الموت ، لابد أن يرجع إلى الله ويعرف بطلان هذا العالم .
هذه الحقيقة هى التى عرفها سليمان الحكيم ، بعد أن تاه طويلاً فى متع العالم ،
واكتشف أخيراً أن كلها باطل وقبض الريح .

هل الجسد عائق للفضيلة ؟ ومتى يكون عائقاً لها ؟

أحب أن أقول أولاً أن الجسد ليس خطيئة في ذاته :

الجسد ليس خطيئة :

ليس الجسد شراً في ذاته ، لأسباب عديدة :

- ١ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله قد خلقه . ونلاحظ أنه بعد أن خلق الله الإنسان - وله هذا الجسد - " نظر الله إلى كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً " (تك: ١: ٣١) .
- ٢ - لو كان الجسد شراً في ذاته ، ما كان السيد المسيح قد تجسد ، ولبس جسداً مثلنا . وقيل عنه " والكلمة صار جسداً " (يو: ١٤: ١٤) .
- ٣ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الكتاب يقول " أستم تعلمون أن جسديكم هو هكيل للروح القدس الذي فيكم .. " (١كو: ٦: ١٩) . وما كان يقول أيضاً " أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح " (١كو: ٦: ١٥) .
- ٤ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله يقيم هذا الجسد !! ويكفى أن الإنسان قد احتمله على الأرض، ولا داعي أن يحتمله أيضاً في الأبدية !!
- ٥ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الله يمجد هذا الجسد في القيامة ، فيقوم جسداً روحياً وجسداً سماوياً (١كو: ١٥: ٤٤ ، ٤٩) .. " يقام في قوة ، وفي مجد ، ويلبس عدم موت " (١كو: ١٥: ٤٣ ، ٥٣) . بل يكون ممجداً في شبه جسد الرب الممجد ، كما يقول الرسول عن الرب " الذي سيغير شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده " (فى: ٣: ٢١) .
- ٦ - لو كان الجسد شراً ، ما كان الكتاب يقول " فتموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة .. " (رو: ١٢: ١) . بل ما كان يقول " مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله " (١كو: ٦: ٢٠) .

وعلى الرغم من كل هذا يتحدث الكتاب كثيراً ضد الجسد (روا ٨) ، و" أعمال الجسد" (غل ٥ : ١٩) ، والإهتمام بالجسد ، والسلوك حسب الجسد (روا ٨ : ١ - ٩) ...
فمن أى جسد يتكلم ؟ إنه لا يتكلم عن الجسد فى ذاته ، أو الجسد بصفة عامة ، إنما عن الجسد الخاطى .

الجسد الخاطى :

✳ إنه الجسد الذى يقاوم الروح ...

هذا الذى قال عنه الرسول " الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون ما لا تريدون " (غل ٥ : ١٧) .
هذا الجسد الخاطى ، ذكر الرسول فى نفس الرسالة أمثلة عديدة من أعماله الخاطئة (غل ٥ : ١٩ - ٢١) .

✳ والجسد الخاطى هو الجسد الشهوانى .

وشهواته مادية ونجسة . ولذلك يقول الرسول " اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل ٥ : ١٦) . وشهوة الجسد قد تكون " الزنى والنجاسة والدعارة " (غل ٥ : ١٩) . وقد تكون شهوة البطننة التى هى فى الطعام والشراب والسكر . أو قد تكون فى شهوة أمور حسية تتحول إلى عادة مسيطرة أو إلى إيمان ، مثل التدخين والمخدرات ...

✳ والجسد الخاطى هو الذى يقود الروح والنفس إلى الخطأ .

فحينما تخطى حواسه ، تشرك معها نفسه وروحه ، فيتدنس الإنسان كله روحاً وجسداً . كما قال الرب " من نظر إلى امرأة ليشتتها ، فقد زنى بها فى قلبه " (مت ٥ : ٢٨) . فهناك إشتراك بين الجسد فى نظره ، وبين النفس فى شهواتها ، والروح التى يمتلئها القلب ...

انظروا إلى سليمان كيف أخطأ حينما استسلم إلى شهوات الجسد .

وقال " بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت لنفسى جنات وفراديس ... جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً .. أتخذت لنفسى مغنين ومغنيات ، وتعمعات بنى البشر سيدة وسيدات .. ومهما اشتتهته عيناى لم أمسكه عنهما " (جا ٢ : ٤ - ١٠) . وهكذا عاش

حياة جسديّة .. وسقط عن طريق النساء (امل ١١) . بل يقول عنه تكتاب إن " نساء
أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب " (امل ١١ : ٤) .

* * *

وهكذا استطاع جسده أن يهوى بروحه إلى عمق الخطية .
ولم يمجّد الله في روحه ، ولا في جسده . بل سقط كله !
حقاً ما أعمق العبارة التي قالها القديس بولس الرسول :
" ويحى أنا الإنسان الشقي . من ينقذني من جسد هذا الموت ؟! " (رو ٧ : ٢٤) .

أعضاء خاطئة :

قد لا يخطئ الجسد كله ، ولكن يخطئ عضو واحد منه ، فيتدنس الجسد كله ، ويدنس
الروح معه أيضاً .

* خذوا اللسان كمثال ، وهو عضو صغير .

ولكن كما يقول القديس يعقوب الرسول " هكذا اللسان أيضاً ، هو عضو صغير ويفتخر
متعظماً . هوذا نار قليلة ، أى وقود تحرق . فاللسان نار ، عالم الإثم .. الذي يندس الجسم
كله . ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم " (يع ٣ : ٥ ، ٦) .

انظروا كم هو عدد الخطايا ، التي يقع فيها الإنسان نتيجة لسقطات اللسان ، كما يقول
الكتاب " بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان " (مت ١٢ : ٣٧) .

بل باللسان يتنجس الإنسان ، كما يقول الرب " .. بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس
الإنسان " (مت ١٥ : ١١) .

* * *

وكما نذكر دنس اللسان ، نذكر دنس العين أيضاً .

فإن كانت محبة العالم هي عداوة لله كما قال القديس يعقوب الرسول (يع ٤ : ٤) ...
فهوذا القديس يوحنا الرسول يقول " إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الأب . لأن كل
ما في العالم شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة " (ايو ٢ : ١٥ ، ١٦) .

شهوة العين التي وقعت فيها أمنا حواء ، لما نظرت إلى الشجرة فإذا هي " بهجة
للعيون ، وشهية للنظر " (تك ٣ : ٦) .

وما أكثر الخطايا التي تقع فيها العين .

حينما ينظر الإنسان نظرة شهوة ، أو نظرة غضب أو حقد ، أو نظرة حسد أو إنتقام ، أو نظرة كبرياء أو أستهزاء بالغير ، أو ينظر نظرة مأكرة ، أو نظرة قاسية .. وتتعدد الخطايا ، وتظهر صورتها واضحة في العين .

وما أكثر الأعضاء الأخرى التي تخطئ ...

اليدين التي تسرع إلى الضرب ، أو إلى القتل ، أو إلى السرقة ، أو إلى خطايا أخرى عديدة ...

والقدم التي تسرع إلى أماكن الخطية ...

أو ملامح الوجه ، التي تظهر عليها الكبرياء ، أو الغضب ، أو القسوة .. وكل هذه ناتجة عن نزوات الجسد أو إنفعالاته أو شهواته ... لهذا كله ولغيره ، تحدث الكتاب عن إخضاع الجسد .

إخضاع الجسد :

✽ لعل من أهم الآيات وأخطرها في إخضاع الجسد ، هو قول القديس بولس الرسول "بل أقمع جسدي واستعبده . حتى بعد ما كررت لأخرين ، لا أصير أنا نفسي مرفوضاً " (١كو٩: ٢٧) .. إنها عبارة مرعبة يقولها هذا القديس الذي صعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢) . والذي تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) .. لكي يرينا بهذا خطورة الجسد ، وأهمية إخضاعه وقمعه وإستعباده ...

✽ ومن الأقوال البارزة أيضاً في إخضاع الجسد ، هي قول الرسول "واكن الذين هم للمسيح ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات " (غل٥: ٢٤) . أى أن كل شهوة للجسد ضد السلوك بالروح ، يدقون فيها مسامراً ويصلبونها ، فلا تتحرك فيهم فيما بعد .

ومن الوسائل الهامة لإخضاع الجسد ، فضيلة الصوم .

سواء من جهة إخضاع الجسد بالإمتناع عن الطعام ، وبتحمل الجوع ، أو بالإمتناع عما تشتهيه من الأطعمة ، كما قال دانيال النبي في صومه " لم أكل طعاماً شهياً ، ولم

يدخل فمى لحم ولا خمر" (دا: ١٠١: ٣) . وإن لم تستطع الإمتناع الكامل ، فلتقل .
وكما تمنع جسدك عن الأكل ، تمنعه عن الشهوات الأخرى .

* * *

ومن وسائل إخضاع الجسد ، ضبط الحواس ، واللسان .
ضبط النظر ، والشم ، واللمس ... وكما قال الرب فى العظة على الجبل " إن كانت
عينك اليمنى تعثر، فاقطعها والقمها عنك .. وإن كانت يدك اليمنى تعثر ، فاقطعها والقمها
عنك " (مت: ٥: ٢٩ ، ٣٠) .. على الأقل تقطع شهواتها ...

* * *

من وسائل ضبط الجسد أيضاً السهر .
ونقصده به السهر فى الصلاة والعبادة . كما قال الرب " اسهروا وصلوا ، لئلا تدخلوا
فى تجربة " (مت: ٢٦: ٤١) . وكما قال أحد الآباء " اغضب نفسك فى صلاة الليل ، وزدها
مزامير " ...

* * *

ومن وسائل ضبط الجسد : الزهد والنسك .
على الأقل البعد عن الترفيحات والكماليات ، وعن المبالغة فى الزينة العالمية ، فقد
ركز الرسول على " زينة الروح الوديع الهادئ ، الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١بط: ٣:
٤) المهم هو أن تتزين الروح بالفضائل . كما يقول عنها فى النشيد " معطرة بالمر واللبان
وكل أنزة التاجر " (نش: ٣: ٦) .
وليعرف الإنسان أن الجسد ليس للمتعة والترفيه .
بل هو لتمجيد الله ، كما قال الرسول " مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى
لله " (١كو: ٦: ٢٠) .

كيف نمجد الله بأجسادنا ؟

أولاً : باشتراك الجسد مع الروح فى عملها .
الروح مثلاً تصلى ، والجسد يشترك معها فى الوقفة الخاشعة ، وفى رفع اليدين ،
وحفظ الحواس ، وفى الركوع والسجود .. نقول ذلك لأن البعض يخطئون ويظنون أن الله

" إله قلوب " فقط ، فلا يهتمون باشتراك الجسد !! وقد يصلون وهم جلوس ، وربما وهم مستلقون على الفراش !!
أو بعض الأجانب الذين لا يخلعون أحذيتهم فى دخولهم إلى الهيكل ناسين قول الكتاب " أخلع حذاءك من قدميك ، لأن المكان الذى أنت واقف عليه موضع مقدس " (خر ٣: ٥) (يش ٥: ١٥) .

* * *

٢ - نمد الله بتعب الجسد فى الخدمة .

كما قال الرسول عن خدمته " فى أتعاب فى اسهار فى أصوام " (٢كو ٦: ٥) وأيضاً " فى الأتعاب أكثر .. بأسفار مراراً كثيرة .. بأخطار فى البرية ، بأخطار فى البحر .. فى تعب وكد ، فى أسهار مراراً كثيرة ، فى جوع وعطش ، فى أصوام مراراً كثيرة ، فى برد وعرى .. " (٢كو ١١: ٢٣ - ٢٧) .

آباؤنا كانوا فى خدمتهم وفى بذلهم كالشمعة التى تذوب لكى تضيئ للآخرين . لذلك نوقد الشموع أمام أيقونات القديسين ، لأن حياتهم كانت نوراً ، ولأنهم بذلوا أنفسهم فى خدمتهم وعبادتهم .

* * *

٣ - آباؤنا الشهداء لاشك مجدوا الله بأجسادهم .

ولذلك فالكنيسة ترفع الشهداء فوق درجات القديسين الآخرين ، لأنهم تألموا كثيراً من أجله . وكما يقول الكتاب " إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد معه أيضاً " (رو ٨: ١٧) .

* * *

٤ - أما نحن ، فعلى الأقل فلنمجده بتعب الجسد .

كان القديس الأنبا بولا يتعب كثيراً بالجسد فى نسكه وفى جهاده الروحى ، حتى ظهر له الرب وقال له " كفاك تعباً يا حبيبى بولا " . فرد القديس " وماذا يكون تعبى إلى جوار ما بذلته لأجلنا يارب " .

* * *

٥ - إنا نمد الله أيضاً عن طريق طهارة الجسد .

حتى يستريح روح الله فى داخلنا ، إذ يجد أجسادنا هياكل مقدسة له ... وحتى بطهارة الجسد نقدم للناس الصورة الإلهية ، وأيضاً نستطيع التقدم إلى الأسرار المقدسة ، وننظهر

بها أيضاً ...

ومن مظاهر هذه الطهارة العفة ، والحشمة .

أجساد القديسين :

هؤلاء القديسون الذين مجدوا الله في أجسادهم ، مجد الله أجسادهم كذلك .

مثال ذلك جسد العذراء الذى أصعده الله إلى السماء .

وكذلك الكرامة التى كانت تمنح لهذه الأجساد ، حتى أن عظام أليشع كان لها البركة

التى لمسها ميت فقام (مل٢ : ١٣ : ٢١) .

وقد مجد الله أجساد القديسين حتى فى حياتهم .

مثل وجه موسى النبى الذى أضاء بنور بعد مقابلته للرب على الجبل ، حتى أن الشعب

لم يستطع النظر إليه ، فوضع على وجهه برقعاً ، ليتمكنوا من النظر إليه (خر ٣٤ : ٣٠ - ٣٥) .

ومثل وجه اسطفانوس الشماس الذى أثناء محاكمته " شخص إليه جميع الجالسين فى

المجمع ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك " (أع ٦ : ١٥) . .

ومن أمثلة ذلك المناديل ، والعصائب التى كانوا يأخذونها من على أجساد الرسل ،

فتشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع ١٩ : ١٢) .



مِن عَوَائِقِ الْفَضِيلَةِ التَّسَاهُلِ مَعَ الْخَطِيئَةِ

كثيرون يبدأون مع الله بدايةً طيبة ، مشتعلة بالحب ، ولكنهم لا يستمرون ، وتبرد فيهم هذه المحبة الأولى ، فما السبب ؟
من ضمن الأسباب البارزة : التساهل مع الخطيئة ومع النفس ...

* * *

كيف سقط الإنسان الأول ؟ سقط بالتساهل مع الخطيئة .
تساهل لنفسه أن يجلس إلى الحية ويسمع منها كلاماً ضد الوصية ، فقاده إلى الإغراء ، ثم إلى الضعف فالسقوط .
لم تكن حواء حازمة مع الفكر الخاطئ الذي قدمته الحية . إنما قبلته ، وناقشته ، ثم استسلمت له وانتصر عليها الفكر ثم تطورت إلى خطايا أخرى كثيرة . وفقدت بساطتها ، ونقاوتها ...

* * *

كثيرون سقطوا نتيجةً للتساهل وعدم التدقيق ، كما في سفر القضاة .
يحكى لنا هذا السفر ، كيف أن بنى إسرائيل وقعوا في عبادة الأصنام ، وعبدوا آلهة الأمم . وعبدوا ملوك الأمم ، وأسلمهم الرب إلى أيدي أعدائهم فأذلّوهم . فكيف حدث هذا ؟
نبحث عن سبب هذا السقوط وهذا الذل ، فنجد أنهم لما دخلوا الأرض ، استبقوا بعض الكنعانيين فيها ، مجرد إهمال ، أو تساهل ، أو رغبة في فائدة معينة .. ثم اختلطوا بهم ، وزادت الصلة ، وتزاوجوا منهم .. وتطور الأمر إلى أنهم عبدوا آلهتهم .. وكل هذه المشكلة سببها التساهل في الاختلاط بالأمم !

* * *

لا تظنوا أن الشيطان عندما يوقع الناس ، يبدأ بضربة قاضية ! كلا ، بل قد يبدأ بشئ بسيط ، ثم يتدرج به ...
قال عنه أحد الآباء إنه " فتال حبال " وحباله طويلة إلى أبعد الحدود . قد يرسم خطة

لعشرة سنوات ، يسقط فيها إنساناً بعد هذه المدة ، بسياسة بعيدة المدى، سياسة التدرج
والنفس الطويل ، بطريقة قد تبدو غير محسوسة ... !

فلنأخذ مثلاً آخر للسقوط التدريجي ، هو شمشون الجبار .

إنه رجل الله ، الذى حل عليه روح الرب . كان يسكن فى أورشليم، وتساهل فى أن
يذهب منها أحياناً إلى غزة . وفى غزة وجد لذة لنفسه ، فكثر تردده عليها، وأقام ، واتخذ
له امرأة . ثم تدرجت علاقته الخاطئة ، إلى أن تعرف أخيراً على دليلة ، وتدرك معها
حتى باح لها أخيراً بسرّه ، وبنذره وسقط السقوط الأكبر الخطير .

ومتى صحا لنفسه ، أخيراً .. بعد أن فقد بصره ، وأذله أعداؤه ، وطلب إلى الرب أن
تموت نفسه معهم ... !

يعقوب أبو الآباء تساهل فى غلطة تحولت عنده إلى طبع .

تساهل مع نفسه ، فى استخدام الحكمة البشرية ، بدلاً من مشيئة الله ، فاعتمد على
ذكائه ودهائه وجلب لنفسه الويل .

استخدم ذكائه وحيلته لما وجد أخاه جائعاً ويطلب منه طعاماً ، فاتخذها فرصة لآن
يشترى بكوريبته . ثم استخدم أيضاً الحيلة والعمل البشرى لما خدع أباه وأخذ البركة .
واستخدم نفس الآباء، فى الإستيلاء على غنم خاله لابان . واستخدم الفكر البشرى فى
النجاة من أسيه عيسو ، وصار هذا الأمر طبعاً تطبع به ...

وقد أدبه الرب بأن أذاقه من نفس الكأس ، فسمح أن يخدعه خاله فى تزويجه من ليليا
وأن يخدعه أبناءه فى قولهم له إن يوسف قد افتترسه وحش ردى .

إن يعقوب لم يترك تصريف أموره لله منذ البدء ، وتساهل فى استخدام الدليل
البشرية ، حتى تمكن منه هذا الطبع .

وكثيرون وقعوا فى نفس الخطية ، تركوا الوصية جانباً ، ولجأوا إلى الحكمة البشرية
والذكاء الخاص ، لعلهم يصلون بهذا !

كثير من السرقات الروحية ، تأتي بالتدرج البطئ ، الذى لا يحس .

إن الهبوط المفاجئ الشديد ، ينتبه له الإنسان ، ولكنه قد لا يشعر بالنزول التدريجى

البطى ، فتسرقه خطة الشيطان ، لهذا ما أجمل قول الكتاب فى سفر نشيد الأناشيد :

" خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغيرة ، المفسدة للكروم " ...

إن الثعلب الكبير الماكر قد بلغت نظرك ، وقد يفتح أسوارك بصعوبة ، أما الثعالب الصغيرة ، فإنها قد تجد لها مدخلاً إليك ، من أى ثقب بسيط داخل نفسك لست ملتفتاً إليه . كثيرون سقطوا ، لأنهم وقعوا فيما نسميه بالصحو المتأخر .

أى أنهم لم يستيقظوا لأنفسهم ويعرفوا حالتهم إلا متأخرين ، بعد أن تمكنت الخطية منهم . وسنضرب لذلك أمثلة :

* * *

لنأخذ مثال لوط ، وكيف صحا متأخراً جداً ، فسقط كثيراً .

بدأت خطة الشيطان بفصله عن أبينا ابراهيم ، عن القدوة الصالحة ، عن رجل الله ، وعن المذبح والإرشاد الإلهى ، وتساهل لوط فى هذه النقطة ، ووافق أن يسكن بعيداً ، ثم وافق أن يختار لنفسه ، وفى الإختيار سقط فى محبة الأرض المعشبة ، وهكذا اختار سادوم على الرغم من فسادها ...

وفى سكنى سادوم ، تدرج أيضاً فلم يدخل فى أعماقها مرة واحدة . ولكنه ما لبث أن اختلط بأهلها ، ثم تزوج معهم . ووقع معهم فى السبى ، لم يستيقظ ضميره . وظل فى المدينة، كان الرجل البار يعذب نفسه يوماً يوماً فى الاختلاط بهؤلاء الأشرار (بط ٢: ٨). وأخيراً متى صحا ؟ عندما جاءه الملاكين ينذرانه بهلاك المدينة وخرج منها . وقد فقد كل ما كان له حتى زوجته .

* * *

كان لوط درساً . فلنأخذ مثلاً لتدقيق القديسين ، من قول الكتاب :

" كل كلمة بطالة تخرج من أفواهكم ، تعطون عنها حساباً فى يوم الدين " .

لم يفهم القديسون عبارة (الكلمة البطالة) على أنها الكلمة الشريرة مثل الكذب والشتيمة والتجديف والإدانة، وإنما فهموا الكلمة البطالة ، على أنها كل كلمة ليست للمنفعة، ليس للبنين، لا تبسئ نفس السامع ، ولا تبسئ الملكوت ... وهكذا صمتوا ، لا يتكلمون إلا بحساب ، حينما يرون أن كلامهم سيكون للبنين .. الروحى .

* * *

لاشك أن الذى يدقق فى كلامه ، بحيث لا يلفظ إلا بكلام نافع روحياً ، ليس من السهل

أن يلفظ بكلمة شريرة ...

إن التدقيق هام جداً ، نرى له مثالاً في وصية الرب :

" إن أعثرتك عينك فاقطعها عنك . وإن أعثرتك يدك اليمنى فاقطعها ... " إلى هذا الحد، طلب الرب منا أن ندقق .

* * *

من أمثلة التساهل مع الخطية ، التساهل مع الأفكار ...

فبينما يقول بولس الرسول " مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح " نجد إنساناً يتساهل مع الفكر ، فيتحول إلى شعور . ويتساهل مع الشعور ، فيتحول إلى شهوة ، ويتساهل مع الشهوة فتحاول أن تجد منفذاً إلى الخارج تعبر به عن ذاتها بأشياء عملية . وإن تساهل مع هذه الأشياء العملية ، تتدرج به خطوة خطوة ، حتى تقنع كل روحياته من جذورها . قد تتساهل مع الفكر ، تقبله ، تناقشه ، ثم يتمكن منك ، فتحاول أن تتخلص منه ولا تستطيع ، لأنه ثبت أقدامه داخلك بتساهلك . ولاشك أنك كنت تقوى عليه في بادئ الأمر .

* * *

هناك أشخاص في منتهى الحزم ، لا يتساهلون مع أنفسهم .

لهم رقابة شديدة على أنفسهم ، رقابة على كل فكر ، على كل شعور ، على كل حس ، على كل تصرف ، على كل لفظ ...

وأحياناً يبدأ الإنسان بهذا الحزم ، في أول علاقته مع الله ولكنه بعد حين يتساهل . يسمح لأشياء تنخل إلى نفسه ، وهذه الأشياء تكبر ، ويبحث عن روحياته فلا يجدها .

* * *

الإنسان الروحي لا يتساهل ، حتى مع الأشياء التي تبدو بسيطة .

إن الذي يحترس من الأشياء الصغيرة ، لا يقع في الكبائر .

قالت القديسة سارة في النسك " إن فماً تمنع عنه الماء ، لا يطلب خمراً . وبطناً تمنع عنها الخبز ، لا تطلب لحماً " ...

يحتاج الإنسان أن يكون مدققاً جداً في كل تصرف ، لا يوسع ضميره ، ويقول : هذا الأمر بسيط ، ولا تأثير له ...

* * *

الشیطان يخاف أولاد الله الحقيقيين ، لأنهم صورة الله ومثاله ، ولأنهم هيكل للروح

القدس، ولأن الله يعمل فيهم ونعمته معهم. لهذا كان الشيطان يهرب خائفاً أمام القديسين...
لما نفى القديس الأنبا مقاريوس إلى جزيرة فيلا ، فحالما رآه شيطان كان على إبنة كاهن
الأصنام، صرخ الشيطان قائلاً " ويلاه منك يا مقارة، تركنا لك البرية ، فجئت إلى هذه
الجزيرة لتطردنا منها أيضاً " .

* * *

وقصص خوف الشيطان من القديسين كثيرة جداً .

ولكنه يجس نبض المؤمن العادى ويختبره : من أى نوع هو : فإن وجدته متراخياً
أمامه ، ويقبل أفكاره ، ويفتح له أبوابه ، ويخون الرب بسببه ، حينئذ تسقط هيئة هذا
الإنسان ، ويلعب به الشيطان !
وإذ يسلم الإنسان نفسه للشيطان ، إنما يبعد عنه الملائكة التى تحرسه ، ويرفض العمل
الإلهى فيه .

* * *

كلما يتساهل الإنسان مع الخطية ، على هذا القدر تضعف إرادته ، وتفتقر محبته ،
ويقل إحتراسه ، ويفقد صلابته ...
إنك تكون فى ملء قوتك فى بداية الحرب الروحية ، وكلما تتساهل تضعف ، وتجد أن
مقاومتك قد قلت ، وتجد أن تأثير الخطية قد زاد عليك . وعندما تحاول الهروب ، تجد
عقبات فى داخلك، وتقع فى صراع ، ويبدأ الجو يرتبك معك .

* * *

سبب ضعفك عندما تتساهل مع الخطية ، هو وقوعك فى الخيانة ، وبخياتك لله
ومحبته ، وبخياتك لعهودك الروحية ، تتنازل عن النعمة المعطاة لك ، وترفض السلاح
الروحى ، بل تطفئ الروح ، وتحزن روح الله القدوس الذى فىك .. وتتهار فتسقط .
وعندما تتساهل مع الخطية ، تضعف مثالياتك وتهبط مستوياتك الروحية وتنسى الحزم
الذى قال به يوسف " كيف أخطئ وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله " .
وبتساهلك مع الخطية ، تفقد هيبتك الروحية أمام الشياطين .
لذلك ابعد عن الخطوة الأولى . كن حازماً ، واسلك بتدقيق .

الخطيئة الكبرى في حياتك

كثيراً ما يخطئ الإنسان ، وينسى ما قد ارتكبه . ولكن تقف خطية معينة أمامه ، لا يستطيع أن ينساها ...

مثال ذلك داود النبي : إنه يقول للرب في صلاته " إن كنت للأثم راصداً يارب ، يارب من يثبت؟! " (مز ١٣٠ : ٣) " لا تدخل في المحاكمة مع عبدك ، فإنه لن يتزكى قدامك أى حى " (مز ١٤٣ : ٣) . " خطايا شبابى وجهالاتى لا تذكر " (مز ٢٥ : ٦) . كل هذه يطلب من الله ألا يذكرها ، لأنها كثيرة ، وجهالات ، ولن يتزكى منها أحد . وهى مثل السهوات التى يقول عنها " السهوات (الهفوات) من يشعر بها . من الخطايا المستترة ، يارب أبرئنى " (مز ١٩ : ١٢) .

* * *

ومع كل ذلك هناك خطية يقول عنها " خطيتى أمامى فى كل حين " (مز ٥١ : ٣) . لقد تركت عمقاً معيناً فى مشاعره ، وعمقاً آخر فى ذاكرته ، بحيث لم يستطع أن ينساها ، هى التى هزته هزاً فقال " تعبت فى تنهدى ، أعوم كل ليلة سريرى ، وبدموعى أبل فراشى " (مز ٦) .

كذلك شمشون : لاشك أنه ارتكب خطايا كثيرة ، شرحها فى سفر الخطاة . ولكن خطية كبرى هزت كيانه كله . وهى أنه باح بسرّه لدليلة ، مما أدى إلى كسر نذره ، وإنتصار أعدائه عليه ، وفقاً عينيه ، وأخذه أسيراً يجر الطاحون (قض ١٦) . هذه الخطية لم ينساها مطلقاً ...

* * *

ومثل داود وشمشون ، هناك سليمان . لقد غرق فى الملاذ العالمية إلى أعماقه ، ولم يتعب ضميره شئ من ذلك كله (جا ٢ : ٩ ، ١٠) ثم ارتكب خطيته الكبرى التى ذهب فيها وراء عشقاروت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ، وبنى مرتفعة لكموش رجس الموآبيين .. ولمولك رجس بنى عمون (امل ١١ : ٥ - ٧) . هذه ليس فقط سليمان لم ينساها ..

بل الله نفسه ، لم يتركها له ...

وهكذا فرض الله عليه عقوبات " وغضب الرب على سليمان .. " (امل ١١ : ٩ - ١٣). ونفذ الله وعده فيه ، حينما قال عنه " إن تعوج أودبه بقضيب الناس ، وبضربات بنى آدم " (٢صم ٧ : ١٤) . وهكذا اقام الرب عليه خصوماً لتأديبه : هدد الأدمى، ورزون بن اليداع، ويربعام بن نباط .. " (امل ١١ : ١٤ ، ٢٣ ، ٢٦) .

* * *

مثال تلك فتاة تخطئ في علاقاتها بشباب ...

ويمر ذلك عليها سهلاً ، تفيق من علاقة لتدخل في أخرى ، بضمير نائم ، ثم تصحو منزعة على خطية كبرى ، تفقد فيها بكارتها ، وقد تحبل . وتجد نفسها مساقاة إلى عملية إجهاض لتقتل جنيناً . والعملية تحتاج إلى مال كيف تحصل عليه ؟ ويحتاج الأمر كله إلى مجموعة من الأكاذيب لتغطيته، فيحفر في عقلها وفي أحاسيسها وقائع لا يمكن أن تنسى!!

* * *

إنها كالخطأ الذي يقع فيه الإنسان ، فيضيع مستقبله كله .

كطالب يضبط في غش ، ويرفت سنتين من الكلية ، وتضيع سمعته ، وتلاحقه أنظار الناس والسنتهم .. أو شاب آخر يقع في إدمان المخدرات ، وتكون هي الخطية الكبرى في حياته ، تحطم نفسيته وأعصابه وسمعته ، سواء شفى من الإدمان أو لم يشف . وأصعب من هذين ، إنسان يصاب بمرض الأيدز الذي يحطم صحته وسمعته ، ويجره نحو الموت جراً . ويصرخ في داخله : كيف سقطت ؟! وكيف ضعت ؟! إنها غلطة العمر ...

* * *

وغلطة البشرية كلها ، هي خطية آدم وحواء .

بكل ما جلبته من نتائج خطيرة استمرت دهوراً .

خطية فسدت بها الطبيعة البشرية كلها . وكان يلزم لعلاجها التجسد والفداء ... وبلغ من خطورتها أن ترك الله آثار باقية حتى الآن . بقوله لآدم " بعرق جبينك تأكل خبزاً ، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب وإلى التراب تعود " . وبقوله لحواء " تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً " (تك ٣ : ١٦ - ١٩) ... واستمرت آثار هذه الخطية ، مهما حاول الإنسان أن يتمرد على ذلك ...

هناك خطايا تسببت في هلاك مقترفيها .

وماتوا في خطاياهم هالكين : مثل خطية يهوذا . ولاشك أن يهوذا كانت له خطايا كثيرة ، ومنها أنه " كان سارقاً . وكان الصندوق عنده ، وكان يحمل ما يُلقى فيه " (يو ١٢: ٦) . ولكن خيانتة لسيدة ، كانت الخطية الكبرى التي لم يستطع أن يحتملها ، فمضى وخنق نفسه " (مت ٢٧: ٥) .

كذلك خطية أولاد عالي الكاهن التي قال عنها الرب " لا يكفر عن شر بيت عالي بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد " (اصم ٣: ١٤) .. وبنفس الغضب حكم الرب على عالي نفسه " من أجل الشر الذي يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ، ولم يردعهم " (اصم ١٣: ١٣) .

أيضاً خطية حنانيا وسفيرا ، التي استحقا بها الموت مباشرة دون إعطائهما فرصة للتوبة (اع ٥) .

* * *

وهناك خطايا امتدت آثارها أجيالاً طويلة .

مثل لعنة كنعان ، للإستهانة بكرامة الأب . ومع أنها خرجت من فم أبينا نوح (تك ٩: ٢٥) إلا أنها استمرت إلى أيام السيد المسيح نفسه الذي استخدمها في حديثه مع المرأة الكنعانية (مت ١٥: ٢٦) .

ومثل عقوبة الله على الذين بنوا برج بابل ، جزاء لكبريائهم وغرورهم . فقال الرب "تبلبل ألسنتهم " (تك ١١: ٧) . ولا تزال بليلة الألسنة قائمة إلى يومنا هذا ...

* * *

هناك خطايا عديدة لم تسجل في الكتاب المقدس ، الذي قال بصيغة إجمالية " الكل قد زاغوا معاً وفسدوا" . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد " (مز ١٤: ٣) . ومع ذلك سجل الكتاب خطايا معينة . وسجل معها أيضاً عقوبات لها .

سجل خطايا الزنا الجماعي ، الذي أدى إلى الطوفان (تك ٦) . وسجل الشذوذ الجنسي الذي أدى إلى حرق سادوم (تك ١٩) وسجل محاولة إغتصاب سر الكهنوت التي وقع فيها قورح ودانان وأبيرام ، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم (عد ١٦) . وسجل خيانة أبشالوم لأبيه داود (اصم ١٦-١٨) . وسجل إنكار بطرس (مت ٢٦) ومسامحة الرب له (يو ٢١) . وسجل طمع أخاب في حقل نابوت النيزرعيلي (امل ٢١) . وسجل عبادة الأصنام على يد

يربعام بن ناباط ، وعلى يد أخاب وغيرهما (امل ١٢) . وسجل خطايا أخرى لا تُنسى ،
حتى للأنبياء ...

* * *

إن شاوول الطرسوسى لم ينس مطلقاً إضطهاده للكنيسة .

على الرغم من أنه فعل ذلك بجهل قبل إيمانه بالمسيح ، وعلى الرغم من توبته
واختياره رسولاً ، وصنع عجائب وآيات على يديه ، وتعبه الكثير فى نشر رسالة الإنجيل ..
إلا أننا نراه يقول عن نفسه " أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً . ولكننى
رُحمت لأننى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان " (اتى ١: ١٣) . ويقول عن ظهور السيد
المسيح بعد قيامته " وآخر الكل ، كأنه للسقط ظهر لى أنا ، لأنى أصغر الرسل . أنا الذى
نست أهلاً لأن أدعى رسولاً ، لأنى اضطهدت كنيسة الله " (١كو ١٥: ٨ ، ٩) . إنه لم
يستطع مطلقاً أن ينسى اضطهاده للكنيسة .

* * *

خطورة الخطايا ليست فى كثرتها ، بل فى بشاعتها .

خطية سيمون الساحر ، لم تكن فى عددها ، إذ أنه لم يكررها . لكن خطورتها كانت
فى بشاعتها ، إذ أنه أراد أن يشتري موهبة الله بدراهم (أع ٨: ١٨ - ٢٠) .
كذلك كانت خطية هيرودس الذى قبل من الناس قولهم له " هذا صوت إله ، لا صوت
إنسان " فضربه فى الحال ملاك الرب ، لأنه لم يعط المجد لله ، فصار يأكله الدود ومات"
(أع ١٢: ٢٢ ، ٢٣) .

وخطية بطرس فى إنكاره ، لم تتكرر . إنما بشاعتها فى نوعيتها .

حقاً إن الخطايا لا تعد ، إنما توزن .

* * *

فإذا أضيف إلى بشاعتها تكرارها ، يكون الأمر أصعب وأخطر . وبخاصة تلك
الخطايا التى ترسخ فى العقل الباطن ، وتتعمق جذورها فيه . وتصبح مصدراً لأحلام ،
وأفكار ، وظنون ، وشهوات ، ويحاول الإنسان أن يتخلص منها فلا يستطيع ..! وقد
أصبحت كأنها طبع فيه ، أو كأنها طبيعة له ، وجزء من تكوين شخصيته ... وعادة
تعودها فلصقت به .

وكانه قد ذاق شيئاً فإستطعمه ، وما عاد يستغنى عنه !!

وهو مستعد أن يتوب عن جميع خطاياها ، ويتركها ، ماعدا هذه!! .. هذه التي صارت تجرى في دمه ، وفي عمق مشاعره وعمق شهواته ...

* * *

هناك من ينكر خطية ، ولا يستطيع أن ينساها، لأنها تتعب ضميره في توبته . لذلك هو يصرخ في داخله، في ألم عميق : كيف وصل بي الحال أن أنحدر إلى هذا المستوى؟! وهناك من ينكر خطيته الكبرى ، وهو أسير لها ، عاجز عن مقاومتها وهذا أصعب ..

إنه يحتاج إلى دفعة كبيرة من الخارج ، تتفذه من الهوة التي هبط إليها ، وتمزق عنه الربط التي تقيد بها ... ويحتاج إلى عمل من النعمة ومن روح الله القدوس، لكي يكره هذه الخطية ، ولا يعود فينجذب إليها .

* * *

هناك خطايا أخرى تتعب الإنسان .

وتهز ضميره هزاً متى استيقظ ، مثل خطية الإرتداد ، وخطية التجديف ، وخطايا الشك .. نعم الشك الذي يقال عنه إنه من السهل أن يدخل إلى عقل الإنسان ، ومن الصعب جداً أن يخرج . الشك الذي يفقد به الشخص ما كان له من بساطة الإيمان، ويتوه ذهنه في عقلايات لا تنتهي . هذا إن كان شكاً في الله . أما إن كان شكوكاً في إنسان ، فإنه يفقد الثقة ويعجز عن استرجاعها ...

* * *

وخطايا أخرى لا ينساها الإنسان بسبب نتائجها .

مثل زوج أمان زوجته إهانة كبيرة جداً لم تستطع إحتمالها ، فتركت بيت الزوجية إلى بيت أبيها. وعجزت كل محاولات المصالحة من أجل عمق ما أحست به المرأة ، مما جعلها تفقد محبتها لذلك الزوج ، وما أخذت من فكرة عن طباعه ومعاملاته ... وهو نفسه يذكر ذلك الخطأ في ندم ، معتبراً أنه الخطية الكبرى في حياته الزوجية ... ويزداد الأمر خطورة وعمقاً ، إن كان قد وصل إلى قضايا ومحاكم ...

* * *

وقد تصبح الخطية هي الكبرى في الحياة ، إن كان لا يمكن علاجها ... كراهب مثلاً قد تزوج ، وفقد نذره ورهبنته وبتوليته وسمعته . وفقد كهنوته أيضاً إن

كان كاهناً ..! ولم يعد باستطاعته أن يسترجع كل هذا .. ثم فقد هذه الزوجة أو اختلف معها ، ووجد نفسه في فراغ كامل .. في فراغ روحي وجسدي وإجتماعي ، وعقيدى أيضاً .

من الجائز أن تكون خطية الإنسان الكبرى بسبب فيه :
كخطية محبة الأخبار مثلاً ، التي تفقده كل أصدقائه وغير الأصدقاء أيضاً .
فهو جوعان أخباراً ، يحب أن يعرف الأخبار ويبحث عنها ، ويسأل عنها الناس ، ويفتش ويسمع ويتسمع ، ويستنتج ، ويسأل سؤالاً محرّجاً ، لكي يعرف منه خبراً .
ويتفاوض مع غيره من محبي الأخبار ، لكي يعطيهم خبراً مقابل معرفة خبر .
ثم يجد نفسه يحمل كنزاً كبيراً من الأخبار يتقل عليه حمله .

فيتحول من جامع أخبار إلى ناقل أخبار .
وتصبح سمعة الناس مضغّة في فمه ، يلقيها في آذان الناس كعليم ببواطن الأمور ،
ومتداخل في أسرار الناس . وقد يسمعها الناس منه ، وقد يتهرب البعض خشية أن يسمع ما يؤذيه روحياً . وقد يتحاشاه البعض خشية أن يصبحوا هم أيضاً هدفاً له ولمحبته للأخبار ...
ويجد أن الأخبار قد أبعدت الناس عنه . وأيضاً قد أتعبت أفكاره ، فما عاد يتق بأحد ...

وقد يتحول من ناقل للأخبار إلى مؤلف للأخبار !!

أصعب خطية هي التي تلتصق بالإنسان ، أكثر مما يلصق جلده بلحمه .
كأنها جزء من كيانه ، ومن صفات شخصيته . وقد تتحول في حياته إلى مرض نفسي، يتوالد في داخله ، وتتشأ عنه أمراض أخرى خلقية واجتماعية ، صعبة الشفاء ...

المحبة الخاطئة للنفس

كل إنسان يحب نفسه ، ولا يوجد أحد لا يحب نفسه .
ومحبة النفس ليست خطية ، إن كانت محبة روحانية .
والسيد الرب لما قال إن الوصية الأولى والعظمى هي " تحب الرب إلهك من كل قلبك
ومن كل نفسك ومن كل فكرك " قال بعد ذلك " والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك " (مت ٢٢ : ٣٧ - ٣٩) . أى أن أعظم مستوى تحب به القريب ، هو أن تحبه كما تحب نفسك ...

غير أن هناك محبة خاطئة للنفس ، وقال عنها الرب :
" من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل يمجدها " (مت ١٠ : ٣٩) .
فكيف نفرق بين الوصيتين ؟ وما معنى " من وجد حياته يضيعها " ؟
الحل هو أن هناك شئ يسمى حروب الذات ، أو عبادة الذات ، التى يتمركز فيها
الإنسان حول نفسه . ويقول أريد أن أبني نفسى ، أن أحقق ذاتى ، أن أرفع ذاتى ...
وهناك طرق خاطئة يلجأ إليها الإنسان فى بناء ذاته فتضيعه .
فما هى هذه الطرق ، التى بها يحب الإنسان نفسه محبة خاطئة .

المحبة الجسدانية :

هذه التى قال عنها الرسول " شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة " (١ يوحنا : ٢ : ١٦) . وقال إنها جزء من محبة العالم الذى يببىد وشهوته معه ...
إنها المحبة الخاصة باللذة والمتعة والرفاهية .
لذة الحواس ، التى تقود إلى الشهوة وإلى الخطية . والتى جربها سليمان الحكيم ، وقال فيها " ومهما إشتهته عيناي لم أمسكه عنهما " (جا ٢ : ١٠) . وقال فى تفصيل ذلك " عظمت عملى . بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً . عملت لنفسى جنات وفراديس .. جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً ، وخصوصيات الملوك والبلدان . أتخذت لنفسى مغنين ومغنيات ، وتنعمت بنى البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين

كانوا قبلى فى اورشليم " (جا٢: ٤-٩) .

فهل هذه المتعة نفعت سليمان أم أضاعته ؟

إنه لم ينتفع بها ، بل وجد أن كل ما عمله " الكل باطل وقبض الريح، ولا متفعة تحت الشمس " (جا٢: ١١) . بل هذه الرفاهية وهذه المتعة الجسدانية أضاعت سليمان ، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (امل١١: ٤) . وتعرض لعقوبة شديدة من الرب عليه ... وتمزقت دولته .

ومثال سليمان أيضاً القنى الغنى :

أراد أن يبني بمحبة مادية ، عن طريق الإتساع فى القنى والمتعة الأرضية ، فقال "أهدم مخازنى ، وأبنى أعظم منها ، وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى: يا نفسى لك خيرات كثيرة لسنين عديدة . استريحى وكلى واشربى وافرحى" . فهل تمكن بهذا من تحقيق ذاته وبناء نفسه؟! كلا ، بل قال له الله " يا غبى ، فى هذه الليلة تُطلب نفسك منك . فهذه التى أعددتها ، لمن تكون ؟!" (لو١٢: ١٦-٢٠) .

إنها ليست محبة حقيقية للنفس ، التى تأتى عن طريق اللذة والمتعة .

ولهذا قال الرب إن من يحب نفسه يهلكها ، أى الذى يحبها محبة خاطئة تقودها إلى المتعة الجسدية أو إلى شهوات العالم ، فإنه يهلكها فيما يظن أنه قد وجد حياته . هناك نوع آخر خاطئ ، فى إشباع النفس ، وهو :

محبة خيالية :

شخص لا يستطيع أن يمتع نفسه مادياً ، فيسبح فى تصورات إسعادها بالفكر ، يلذذ نفسه بالفكر والخيال .

ويسعد نفسه بما يسمونه : أحلام اليقظة .

فكل ما يريد أن يمتع به نفسه من أمور العالم، يغمض عينيه ويتخيله .. ويؤلف حكايات وقصصاً ، عن متعة لا وجود لها فى عالم الحقيقة .. ويقول لنفسه سأصير وأصير ،

وأعمل وأتمتع .. وقد يستمر في هذا الفكر بالساعات ، وربما بالأيام ، ويستيقظ لنفسه ،
فإذا به في فراغ . وقد أضاع وقته ...!

* * *

إن المحرومين عملياً ، يعوضون أنفسهم بالفكر .
دون أن يتخذوا أى إجراء عملي بناء ، يبنون به أنفسهم . وكما يقول المثل العامى
"المرأة الجوعانة تحلم بسوق العيش " .

مثال ذلك تلميذ ، لم يستذكر دروسه ، ولم يستعد عملياً للإمتحان . وإنما يجلس إلى
جوار كتبه ، ويسرح فى الخيال : يتخيل أنه نجح بتفوق كبير ، وانفتحت أمامه جميع
الكليات ، وصار وارتفع وأرتقى وتخرج .. ثم يصحو إلى نفسه ، فيجد أنه أضاع وقته
وأضاع نفسه . ويقف أمامه قول الرب " من وجد نفسه يضيعها "

* * *

إن المتعة بالخيال ، قد تكون أقوى من المتعة الحسية .
لأن الخيال مجاله واسع ، لا يقف عند حد . ويتصور تصورات لا يمكن أن تتحقق فى
الواقع . ويكون سعيداً بذلك سعادة وهمية .
وكثير من المجانين يقعون فى مثل هذا الخيال الذى يشبعون به أنفسهم ، ويجدون به
أنفسهم فى مناصب ودرجات وألقاب . والفرق بينهم وبين العاقلين ، أنهم يصدقون أنفسهم
فيما يتخيلونه . ويصيبهم نوع من المرض يسمى البارانويا ، وحكاياته كثيرة ...
إنه خيال يظن به هذا النوع من الناس أنهم يجدون أنفسهم ، بالإشباع الفكرى والمتعة
الخيالية ، والأحلام والأوهام ...
هناك نوع ثالث يظن أنه يبني ذاته بالعظمة .

العظمة :

هناك نوع يجد نفسه ، حينما يصير عظيماً ، بالمقاييس المادية :
وأول من وقع فى هذه المحبة الخاطئة للنفس : الشيطان .
وهكذا قال فى قلبه " أصعد إلى السموات . أرفع كرسى فوق كواكب الله .. أصعد فوق
مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى " (اش: ١٤ : ١٣ ، ١٤) . ولنطبق عليه قول الرب " من

وجد نفسه بضيعها" وإذ به قد انحدر إلى الهاوية ، إلى أسفل الجب .. ومصيره أسوأ بكثير من سقطته (روؤ: ٢٠: ١٠). لقد ظن أنه يجد نفسه بشهوة العظمة ، وبهذه الشهوة فقد كل شئ ...

وبهذه الشهوة أيضاً أضاع الشيطان أبونا الأولين ، حينما قال لهما وهما فى الجنة "تفتح أعينكما ، وتصيران مثل العلى ، عارفين الخير والشر " (تك٣: ٥) .
ووقع فى هذه المحبة الخاطئة أيضاً ، الذين أرادوا بناء برج بابل .
أولئك الذين قالوا " هلم نبين لأنفسنا مدينة ، وبرجاً رأسه فى السماء. ونصنع لأنفسنا إسماً ، ثلثا نتبند على وجه كل الأرض " (تك١١: ٤) . فكانت النتيجة أنهم أضاعوا أنفسهم ، وبلبل الله ألسنتهم ، وبددهم على وجه كل الأرض . فلا بنوا مدينة ولا برجاً ...

فى شهوة العظمة العالمية ، محبة خاطئة للنفس . أما العظمة الحقيقية فيصل إليها الإنسان بالإتضاع ، حسب قول الرب " من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع " (مت٢٣: ١٢) .

أما الذى يحاول أن يجد نفسه بالرفعة العالمية ، ما أسهل أن يدخل فى حروب ومناقشات ، قد تضيعه على الأرض . وإن حصل على ما يريد على الأرض ، فهذه العظمة الأرضية تضيعه فى الأبدية .

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال : أبشالوم بن داود .
ذلك الذى أحب نفسه محبة خاطئة عن طريق العظمة . فانشق على أبيه داود ، وأساء إليه إساءات بشعة ، وحاربه بجيش لكى يجلس على كرسيه فى حياته ، ويحقق لنفسه العظمة بأن يصير ملكاً !! فماذا كانت النتيجة ؟ لقد فقد كل شئ . ومات فى الحرب وهو خاطئ متمرّد ، ففقد الأرض والسماء معاً .

هناك أشخاص لا يجدون أنفسهم بعظمة عالمية، فيحاولون أن يجدوا العظمة بالكلام. بالمجد الباطل ، بالفرح بمديح الناس لهم . وإن لم يجدوا ذلك يمدحون أنفسهم ، ويتحدثون عن فضائلهم وأعمالهم المجيدة لكى ينالوا مجداً من الناس .

وعكس هؤلاء كان القديس يوحنا المعمدان ، الذى كان يخفى نفسه ليظهر المسيح ،
ويقول من شأن نفسه ممجداً سيده المسيح ، قائلاً " ينبغي أن ذاك يزيد وإنى أنا أنقص "
(يو: ٣: ٣٠) .. وبهذا الإلتضاع ارتفع يوحنا المعمدان . وقال عنه السيد الرب إنه أعظم من
ولدتها النساء (مت: ١١: ١١) .

حقاً ما أجمل ما نقوله عن الرب فى القداس الإلهى :

" الساكن فى الأعلى ، والناظر إلى المتواضعات " .

إن حروب العظمة قد ضيقت كثيرين ، والأمثلة كثيرة .

هناك نوع آخر من المحبة الخاطئة للنفس ، يظن بها البعض أنهم يبنون أنفسهم ،
فيضعونها ، ذلك هو أسلوب المعارضة والصراع .

المعارضة والصراع :

تجد أشخاصاً وكأنهم شعلة من النار ، فى التفكير والحركة والعراك .
لا يقدرون على العمل البناء . فيظنون أنهم يجدون أنفسهم بهدم البنائين .
إنهم يعملون على هدم وتحطيم غيرهم . لا يسرهم شئ مما عمله العاملون ، فينتقدون
كل شئ ، ويبحثون عن أخطاء لتكون مجالاً لعملهم من النقد والنقض والتشهير . كأنهم
يعرفون ما لا يعرفه غيرهم .. وفى نفس الوقت الذى يحطمون فيه بناء غيرهم ، لا يبنون
شيئاً .

حياتهم كلها صراع . ويظنون الصراع بطولية .

يرون أنهم أبطال ويفرحون بذلك . ويفتخرون بأنهم هاجموا فلاناً وفلاناً من الأسماء
المعرفة . ويقول الواحد منهم إن عنده الشجاعة التى بها " يقول للأعور أنه أعور فى
عينه" . وقد تكون شهوة قلوبهم أن يفقأوا عيون المبصرين ، ثم يعيروهم بما فعلوه بهم !!

لهم الطبع النارى . وشهوتهم أن يرتفعوا على جماجم الآخرين ! فهم قادرون - فى
نظرهم - على تحطيم العاملين . ويفرحون بهذا . ولكن الله لا يقبلهم لأن قلوبهم خالية من
المحبة . وفى صراعهم يفقدون أنفسهم . وفيما يتخيلون أنهم قد وجدوا أنفسهم ، يرون أنهم

قد ضيعوها .. كالطفل المشاكس فى الفصل ، الذى يشعر أنه قد وجد ذاته فى معاكسة المدرسين ! ويظن ذلك جرأة وشجاعة وقوة وبطولة يبنى بها نفسه التى يحبها . ولكنها محبة خاطئة للنفس .

* * *

والعجيب أن هذا النوع يفتخر بنفسه ويقول فى تحطيمه للغير : أنا إنسان مقاتل I am a fighter علماً بأن الهدم اسهل من البناء . وكما يقول المثل " البئر الذى يحفره العاقل فى سنة ، يمكن أن يردمه الجاهل فى يوم " .
هناك أشخاص يظنون أنهم يحققون ذواتهم بالحرية .

الحرية :

كالشباب فى بلاد الغرب : إذا كبر ، فلا سيطرة لأحد عليه ، لا أبوه ولا أمه فى البيت ، ولا مدرسه فى معاهد التعليم . بل يظن أنه يفعل ما يشاء بلا قيد . حتى المبادئ والقيم والتقاليد ، يجب أن يتخلص منها . ويعتبر أنه بهذا يصير حراً ويجد نفسه . والوجوديون يريدون - فى تمتعهم بالحرية - أن ينحلوا حتى من (قيود!) الله ووصاياه . ولسان حال كل منهم يقول " من الخير أن الله لا يوجد ، لكى أوجد أنا " !!

* * *

كل هؤلاء يقصدون بالحرية ، الحرية الخارجية .
وليست حرية القلب من الرغبات الخاطئة .

ولا يقصد التحرر من الخطايا والأخطاء والتحرر من العادات الفاسدة. كل ذلك الذى قال عنه السيد الرب " إن حرركم الإبن ، فبالحقيقة تكونون أحراراً (يو: ٨: ٣٦) . الإبن الضال ظن أنه يجد نفس بالحرية بتركه لبيته أبيه. ولكنه بذلك أضاع نفسه (لوقا: ١٥). وكذلك الذين يظنون أنهم يجدون أنفسهم بالحرية فى الإمان والفساد والتسيب واللامبالاة! أو بالحرية فى الخروج من الحصون التى تحميه، إلى الفضاء الواسع الذى يهلكه !

* * *

العجيب أنه فى الحياة الروحية ، يظن أنه يجد الحرية فى التخلص من (قيود) الإرشاد الروحي !

فلا يستشير الأب الروحي ، إلا فى الأمور التى يعرف أنه سيوافق عليها . وأما ما

يشعر أنه سينهاه عنه ، فذلك يخفيه ! وهكذا يسير حسب هواه ، فيضل الطريق .. أو يقول " أبحث عن أب إعتراف آخر " .. حقاً إن الإستخدام الخاطئ للحرية يضر . وقد أوصل البعض إلى الإلحاد .

* * *

والأخطر من هؤلاء : الذين يعطون أنفسهم الحرية في تفسير الكتاب ، وينشرون آراءهم كعقيدة !!

يفسرون الكتاب حسب هواهم . يخضعونه لأفكارهم ، بدلاً من أن يخضعوا أنفسهم لنصوصه . من أجل هذه وجدت طوائف وكنائس متعددة تتعارض في عقائدها ، ووجدت بدع وهرطقات . لأن كل واحد يفسر الكتاب حسبما يريد ، ويترجم الآيات أيضاً حسبما يشاء (كما فعل شهود يهوه وأمثالهم) . والعجيب أن كل هؤلاء يظنون أنفسهم أكثر معرفة من غيرهم . وهنا تدخل النفس في حرب المعرفة .

المعرفة :

يظن البعض أنه يجد نفسه عن طريق المعرفة .

أو عن طريق حرية المعرفة ، أو المعرفة التي يقول عنها الكتاب إنها تتفخ (١كو ٨ : ١) . ويحب الواحد منهم أن يكون مرجعاً في المعرفة ، يقود غيره في المعرفة . ويحاول أن يأتي بفكر جديد، ينسب إليه ، ويتميز به، ويفرّد به، حتى يقولون " فلان قال .. " .. ومن هنا ظهرت البدع ، لأنها بها ابتدع أناس أفكاراً جديدة ضد التسليم العام ...

* * *

يظن بها الشخص أنه يجد نفسه ، كصاحب رأى وفكر وعقيدة ، ولا يتضع بالخضوع لتعليم الكنيسة ، بل يريد أن يخضع الكنيسة لتعليمه ... وهكذا يضيع نفسه . إنسان آخر يظن أنه يبني نفسه بالإعجاب بالنفس .

الإعجاب بالنفس :

فيكون باراً في عيني نفسه و" حكيماً في عيني نفسه " .

ويدخل في عبادة النفس . ولا مانع أن يكون الكل مخطئين، وهو وحده الذى على صواب !.. وهذا النوع يبرر ذاته في كل عمل وفي كل خطأ . وإن قال له أحد أنه

مخطئ، لا يقبل ذلك . ويرفض كل توجيه . وإن عوقب على خطأ ، يملأ الدنيا صراخاً:
إنه مظلوم. ولا ينظر إلى الذنب الذى ارتكبه، وإنما يدعى قسوة من عاقبه !

* * *

وترتك مقاييسه الروحية والألمية والعقلية ، ويضيع نفسه .
ويعمد نفسه ، ويحب أن يمدحه الآخرون . وإن مدحوا غيره يستاء ! كما استاء قايين،
لما قبل الله قربان هابيل أخيه ...
والكثير من هؤلاء الذين يقعون فى الإعجاب بالنفس ، يكون الله قد منحهم مواهب،
ولكنهم استخدموا المواهب فى الإضرار بأنفسهم .
مجال آخر يظن الإنسان أنه يبني نفسه فيه وهو الأنشطة :

الأنشطة :

قد تجد إنساناً كثير الحركة يعمل فى أنشطة متعددة ، وربما بلا عمق ، ويظن أنه
يبني بها نفسه !

يرى أننا نعيش فى عصر التكنولوجيا، فينبغى أن يكون هو أيضاً إنساناً تكنولوجياً،
يسير مثل الآلة ، حركة دائمة بلا توقف ، بعضوية فى كثير من الهيئات ، وفى نشاط
دائم لا يعطى له فرصة للصلاة ولا القراءة ولا التأمل ، ولا الإهتمام بنفسه وروحياته، بلا
عمق، مجرد نشاط فى كل مكان ، له مظهر العامل المجد ، ناسياً قول الكتاب :

" كل مجد إبنة الملك من داخل " (مز ٤٤) .

وكان الأجدر أن يعطى وقتاً وأهمية لروحياته ، لأنه يضر نفسه بهذه المشغوليات
المستمرة، التى قد تتحول عنده إلى هدف ، ينسى فيه الهدف الأصلي وهو خلاص نفسه .
نوع آخر يحب نفسه محبة خاطئة ، ويجد نفسه عن طريق :

المركز والشهرة :

فيركز كل إهتمامه فى هذه الأمور التى يدخلها الرسول تحت عنوان تعظم المعيشة .
وهكذا يفرح بالألقاب والمناصب والغنى . وكلما أضاف إلى نفسه لقباً جديداً ، ظن به أنه
أوصلها إلى قمة المجد . بينما الفرح الحقيقى هو ببناء النفس من داخل مهما كانت "مشتمة"

بأطراف موشاة بالذهب ومزينة بأنواع كثيرة " .
ليس المجد فى أن تكون عظيماً أمام الناس ، إنما فى أن تكون " عظيماً أمام الرب " كما
قيل عن يوحنا المعمدان (لوقا : ١٥) . وهنا نتحدث عن الوضع السليم لبناء النفس .

المحبة الحقيقية للنفس :

إن كنت تحب نفسك حقاً ، حاول أن تبنيها من الداخل ، من حيث علاقتها بالله ،
والمحبة التى تربطها بالكل . بأن تتكر ذاتك ليظهر الله فى كل أعمالك . وتتكر ذاتك لكى
يظهر غيرك . وتصلب ذاتك لكى يحيا الله فيك . وتقول " مع المسيح صلبت ، لكى أحيا
لا أنا ، بل المسيح يحيا فى " (غل : ٢ : ٢٠) . وهكذا تصلب الجسد مع الأهواء والشهوات
(غل : ٥ : ٢٤) .

* * *

تقهر ذاتك ، وتغلب ذاتك .. وبهذا الإنتصار على النفس ، تحيا نفسك مع الله . الذى
يقودك فى موكب نصرته (٢كو٢ : ١٤) . وهنا تكون المحبة الحقيقية للنفس أما المظاهر
العالمية من عظمة وشهرة ولذة ومتعة وحرية خاطئة ، فلن توصلك إلى البناء الحقيقى
للنفس .

* * *

المهم أن تجد نفسك فى الله ، وليس فى العالم .
تجدها لا فى هذا العالم الحاضر ، إنما فى الأبدية .
تبني نفسك بثمار الروح (غل : ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . التى تظهر فى حياتك . وذلك بأن تكون
غصناً ثابتاً فى الكرمة الحقيقية يعطى ثمراً ، والرب ينقيه ليعطى ثمراً أكثر (يو١٥ : ١٥ ، ٢٠)
أى ينقيه من الشهوات والرغبات المهلكة للنفس ، التى يجب أن تبغضها لتحيا مع الله ،
واضعاً أمامك قول الرب :

* * *

" ومن يبغض نفسه فى هذا العالم ، يحفظها إلى حياة أبدية " (يو١٢ : ٢٥) .
وهنا كلمة " يبغض نفسه " تعنى يقف ضد رغباتها ، ولا يطاوعها فى كل ما تطلب ،
ولا يجعلها تسير حسب هواها ، بل يقمعها ويستعبد لها (١كو٩ : ٢٧) ... حتى بهذا تتطهر
من كل دنس . وتكون هذه هى المحبة الحقيقية للنفس .

النظرة البيضاء والنظرة السوداء

الحياة هي نفس الحياة بالنسبة إلى الكل ، بطورها ومرآها .
وقد تتشابه الظروف الخارجية بالنسبة إلى كثيرين ، ولكن إنفعال البعض بها يختلف
عن إنفعال البعض الآخر . ونظرة كل من الفريقين تختلف عن الآخر . البعض له نظرة
بيضاء ، والبعض له نظرة سوداء ...

ولنأخذ مثلاً لذلك : المشاكل :

النظرة إلى المشكلة :

لا يوجد أحد لا تصادفه مشاكل . كل إنسان له مشاكله .
ولكن البعض ينظر إلى المشكلة بنظرة سوداء ، معقدة ، كما لو كانت المشكلة بلا
حل ولا مخرج ، ولا منفذ ، كما لو كانت ألماً دائماً ، وضياًعاً .
وقد صوّز داود النبي هذه المشاعر على أنها حرب خارجية ، فقال " كثيرون يقولون
لنفسى ليس له خلاص بإلهه .. " (مز ٣) . ولكنه لم يخضع لهذه الحرب ، بل قال فى
رجاء " وأنت يارب هو ناصرى ، مجدى ورافع رأسى " .

وهذا يقودنا إلى النظرة البيضاء للمشكلة ...
فيها يرى الإنسان أن كل مشكلة لها حل ، وأن الأمر ليس خطيراً وليس مستحيلاً .
وأن الله لا بد أن يتدخل فى المشكلة ويحلها .
ووسط هذه المشاعر يضع أمامه قول الرسول " احسبوه كل فرح يا أخوتى، حينما
تقعون فى تجارب متنوعة " (يع ١: ٢) .
بالنظرة البيضاء يقابل المشكلة ليس فقط بأعصاب هادئة ، وإنما بفرح شاعراً أنه
سينال بركة المشكلة ، وما فيها من خبرة روحية ، وكيف أنه سوف يلمس يد الله العاملة
معه .. ويرى كيف سيحلها الله ...
المشكلة واحدة ، ولكن تختلف النظرة إليها والإنفعال بها ، ويختلف الـ Response .

هناك آتاس تسبب لهم بعض المشاكل أمراضاً صعبة .

مثل ضغط الدم ، أو السكر ، أو قد يصاب بعضهم بإنهيار نفسى، أو بتعصب فى أعصابه ، أو فى نفسيته ، أو قد يقع على الأرض مشلولاً، أو يصاب بنجحة ، أو بجلطة، أو بسكتة قلبية ... كل ذلك حسب درجة إنفعاله بالمشكلة ، وحسب ضغطها عليه .. وشعوره أنه قد إنتهى ولا خلاص !...

* * *

أما صاحب النظرة البيضاء ، فيمزجها بالإيمان والرجاء ...

بالإيمان يثق بوجود الله أثناء المشكلة ، ويبد الله العاملة سواء رآها أو لم يرها .. فلا يأبه للمشكلة ، ولا تعصره ، ولا يسمح لها أن تضغط عليه .

* * *

إنه أكبر من المشكلة . أما صاحب النظرة السوداء ، فالمشكلة أكبر منه .

صاحب النظرة السوداء ، لا ينظر إلى ما فى المشكلة من ألم ومن ضيق وتعيب . ويقابلها بخوف وإنزعاج . وقد تضغط على تفكيره فيتوقف ، ويترك الأمر إلى أعصابه المنهارة. وقد يصل به الأمر إلى اليأس، وربما يصل به إلى الإنتحار ، كما حدث ليهودا.. القديس بطرس الرسول أنكر السيد المسيح ، والرب نفسه قال " من ينكرنى قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات " (مت ١٠: ٣٣) . ولكنه لم يدع اليأس يسيطر عليه . وانتصر على المشكلة بالتوبة والرجاء ومحبة الله ...

النظرة إلى المادة :

نتناول نظرة الإنسان إلى المادة ، وإلى المال ، وإلى الجسد .

إنسان ينظر إلى المادة ، كأداة يخدم بها الله .

وإنسان آخر ينظر إليها ، كوسيلة لخدمة شهواته .

والمادة هى نفس المادة ، ولكن نوعية النظرة إليها ، تحدد نوعية العلاقة بها،

والتصرف معها ... هل المادة تملكك ، أم أنت تملكها ؟

المال هو نفس المال . ولكنه فى يد البعض يستخدمه للخير ، وفى يد غيره يهلكه .

لأن نظرة الواحد إليه غير نظرة الآخر ...

* * *

نفس الوضع مع الجسد ، هل تستخدمه لتمجيد الله وخدمته ؟ أم تنظر إليه كأنه شر في ذاته ، باستمرار يعثرك ويسقطك .. !؟

شجرة معرفة الخير والشر كانت وسط الجنة ، يراها أبوانا ولا تعثرهما . فلما اختلفت النظرة إليها ، كان السقوط .

لأن حواء - بعد أن سمعت كلام الحية - فقدت نظرتها البسيطة، وتغيرت نظرتها إلى الشجرة ، فإذا هي " جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهية للنظر " (تك: ٣: ٦) . وبهذه النظرة المتغيرة ، وقعت في الشهوة وسقطت ...

إن لم تكن العثرة في الشجرة ، إنما في نوع النظرة .

بين الشكر والتذمر :

إنسان ينظر إلى الذي معه ، فيرضى ويشكر .
 وآخر ينظر إلى الذي ينقصه ، فيشكو ويتذمر .
 وقد يكون الإثنان في نفس الظروف ونفس الأوضاع .
 فما هي نوع نظرتك أنت ؟ هل إلى الذي معك ، أم إلى الذي ينقصك !؟
 كثير من الذين يتذمرون ويتعبون ، لو أنهم نظروا إلى ما معهم ، لوجدوا أنهم في خير ، وقد أعطاهم الرب الكثير والكثير . ولكنهم لم ينظروا إلى الذي عندهم !
 أم وحواء كانت لهما الجنة بكل ما فيها .
 ولكنهما نظرا إلى الشجرة الواحدة التي تنقصهما !!
 وبهذه النظرة سقطا ، على الرغم من كل متعة الجنة .

* * *

ولعل من الأمثلة البارزة في نوعية هذه السقطة ، الشيطان نفسه: كان الرب قد أعطاه الكثير: خلقه ملاكاً في منتهى البهاء ، بطبيعة جميلة ، ومن الرؤساء . وكان من رتبة الكاروبيم ، ووصفه سفر حزقيال النبي بأنه الكاروب المظلل المنبسط (حز ٢٨: ١٤ ، ١٦) . ولكنه لم يقنع بما معه ، ونظر إلى ما ينقصه، أي أن يرفع كرسيه فوق كواكب الله ، ويصير مثل العلى !! (أش ١٤: ١٣ ، ١٤) .

وهكذا سقط الشيطان . ترك رفعة ، ونظر إلى ما ينقصه .. أن يصير مثل الله !!

* * *

وكثيرون من هذا النوع .. ما أكثر النعم التي تحيط بهم ، فلا ينظرون إليها ، إنما ينظرون إلى شئ آخر ينقصهم ! وإن حصلوا عليه لا يكتفون ، بل ينظرون إلى مستوى أعلى وأبعد ينقصهم ...

وقد يتذمرون وهم في وضع يشتهي غيرهم ولا يجده !
بنوع نظرة الإنسان يسعد نفسه ، وبنوع نظرته يشقيها .
ليست الظروف الخارجية هي التي تتعبك ، وإنما يتعبك أسلوبك في التفكير ، نوع نظرتك إلى الحياة ...

النظرة إلى أعمال الآخرين :

إنسان ينظر إلى الخير الذي في الناس ويمتدحهم .
وإنسان آخر لا ينظر إلا إلى النقائص والعيوب .
هذا النوع له نظرة نقادة ، لا يرى إلا الشئ الأسود . متخصص في رؤية العيوب ، حتى بالنسبة إلى شخص يمدحه الكل وهو موضع رضى الكل . ومع ذلك ما أسهل أن يجد فيه عيباً ينتقده !!

هذا النوع تخصصه أن ينتقد ، ويعارض ، ويتكلم بالسوء على كل أحد ، ولا يعجبه أى تصرف .. على الأقل بالنسبة إلى شخص معين ، أو إلى مجموعة معينة من الناس ...

* * *

بينما السيد المسيح - حتى بالنسبة إلى المرأة السامرية الخاطئة - أمكنه أن يجد فيها شيئاً يمتدحها عليه .. فقال لها " حسناً قلت .. هذا قلت بالصدق " (يو ٤: ١٧ ، ١٨) . وحتى الشاب الغنى الذي مضى حزيناً .. أثناء حديث الرب معه ، وجد فيه شيئاً فاضلاً أنه يحفظ الوصايا منذ حداثة ، فيقول الكتاب إنه " نظر إليه وأحبه " (مر ١٠: ٢١) .

* * *

لو كانت لك النظرة البيضاء ، سترى في كثيرين شيئاً يحب ، وشيئاً يمتدح ...
درب نفسك على هذه النظرة .. أى تنظر إلى محاسن الناس وليس إلى عيوبهم . هناك نظرة واقعية ، أن ترى ما فيهم من محاسن ومن عيوب ، ولكن أى النوعين له التأثير الأكبر عليك ؟

* * *

الذى لا ينظر إلا إلى العيوب ، قد تجده ساخطاً على المجتمع كله .
لا يعجبه شئ .. كل ما يراه هو موضع إنتقاد .. وبعض الذين ينادون بالإصلاح، لا
ينظرون إلا إلى السواد فقط .. ويحتار البعض معهم كيف يرفضونهم .. هم باستمرار
عدائيون Aggressive .. لابد أن يجدوا شيئاً يهاجمونه . وإن لم يجدوا ، يخترعون شيئاً
بهاجمونه ...

* * *

وبعض هؤلاء بدلاً من الهجوم ، يتحولون إلى الإنعزال ...!
بسبب نظرتهم السوداء ينفرون من المجتمع ، وينظرون على ذواتهم ، إذ لا يجدون
شيئاً يعجبهم ، ولا شيئاً يرضيهم .. بل هم ساخطون على كل شئ ...
وأحياناً يصاب هؤلاء بأمراض نفسية ...
قد يصاب بعضهم بمرض الكآبة Depression ، وباستمرار تجده حزيناً كئيباً ، ينتظر
الشر إن لم ير الشر أمامه ، ويحزنه كل شئ ...
وأحياناً يخاف المجتمع ، ويرى أن الغالبية ضده تدبر له ما يتعبه ، فيصاب بعقدة
السطهاد Persecution Complex ويخيل إليه أن كثيرون يريدون الإضرار به
إيقاعه في مشاكل .

أو قد يصاب بالعصبية ، فتجده غضوباً باستمرار ، حاد الطبع ، عالى الصوت ، يحتد
وربما بلا سبب يدعو إلى ذلك ، وفى غضبه يثور ، ويتكلم بما لا يليق . إنه لا يرى
سوى سواد يثيره .

* * *

وربما يُحارب بالشكوك فى كل شئ .
فى كل ما يحبط به ، يفترض أسباباً سوداء تدعوه إلى الشك . وإن بدأ الشك بحاربه ،
يلتقطه الشيطان لكى يضيف إليه مخترعات واسباباً تزيد من شكه ، حتى يصبح من شكه
فى جحيم . وكل هذا بسبب نظرته السوداء التى تفترض الشر ، بعكس الذى يؤول نفس
الأمر تأويلاً طيباً ولا يحزن نفسه ...
إن كثيراً من الشكوك ، ليس سببها الأسباب الخارجية ، إنما حالة القلب والفكر من
الداخل .

* * *

قد تكون النظرة السوداء إذن مرضاً نفسياً تنتج عنه هذه النظرة . وربما تؤدي هذه النظرة إلى مرض نفسى ... أى قد تكون سبباً أو نتيجة .
أى أنه إذا بدأ بالنظرة السوداء يصل إلى المرض النفسى . أو إذا بدأ بالمرض النفسى يصل إلى النظرة السوداء .
وبالنظرة السوداء يفقد الإنسان سلامه القلبي ، بعكس الإنسان الذى باستمرار يحيا فى بشاشة وفى فرح .

والعجيب أن النظرة السوداء تأتى حتى فى العلاقة مع الله .

فى العلاقة مع الله :

الشیطان قد يحارب الإنسان صاحب النظرة السوداء حتى فى علاقته مع الله ، فيصور له أن الله لا يهتم به ، وأن الله قد أهمله ، ولا يستجيب لصلواته ، بل يصل به الأمر إلى أن الله يضطهده !

* * *

وهكذا بالنظرة السوداء يوصله إلى التجديف .

ونفس هذا الوضع قاله الشيطان لله عن أيوب الصديق . قال للرب " ولكن أبسط يدك الآن ، وأمسس كل ما له ، فإنه فى وجهك يجدف عليك " (أى : ١١) . " ولكن أبسط الآن يدك ، وأمسس عظمه ولحمه ، فإنه فى وجهك يجدف عليك " (أى : ٢ : ٥) .

لقد كرر عبارة " فى وجهك يجدف عليك " مرتين .
وذلك لأن حرب التجديف هى من الشيطان نفسه ...

يهمس فى أذن الإنسان المتضايق ، أو صاحب النظرة السوداء ، ويقول له " لماذا يعاملك الله هكذا؟! " " لماذا تثقل يده عليك " ؟!

* * *

فصاحب النظرة السوداء ، قد لا يشعر فقط أن الناس ضده ، وإنما الله نفسه ضده !!
السماء مغلقة أمامه ! " لماذا يقولون لنفسى : ليس له خلاص بباله " (مز : ٣) .

صاحب النظرة السوداء : يرى أن كل نهار ، بعده ليل مظلم . أما صاحب النظرة البيضاء : فيرى أن كل ليل مظلم ، بعده نهار مضي ...
النظرة السوداء تتعب من كل خطأ موجود ...
والنظرة البيضاء تقول إن كل خطأ يمكن تصحيحه ...

يكون عائقاً للفضيلة إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره

(عب ٤:٢)

البعض لا يريد :

في ميلاد السيد المسيح ، نتذكره إنه جاء لخلاصنا . وقال إنه :

" جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا : ١٩ : ١٠) .

ولهذا فإن سمعان الشيخ ، لما رأى في ميلاد الرب تباشير الخلاص ، قال " الآن يارب تطلق عبدك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك " (لوقا : ٢ : ٣٠) . مع أن الخلاص لم يكن قد تم ، لكنه رأى في الميلاد تباشير أو بداية هذا الخلاص .

وبهذا الخلاص بشر الملاك الرعاة قائلاً " إنه قد ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب " (لوقا : ٢ : ١١) . ولهذا في ميلاد المسيح ، دعى اسمه يسوع أى مخلص ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت ١ : ٢١) .

* * *

ومع أن السيد المسيح جاء لخلاص العالم كله ، فإن العالم كله لم يخلص ، لأن البعض رفضوا هذا الخلاص !!

" إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله " " أضياء النور في الظلمة والظلمة لم تدركه " (يو ١ : ١١ ، ٥) ... إذن أمامنا موضوعان هامان :

الخلاص الذي جاء المسيح ليقدمه ، وقبول أو رفض هذا الخلاص .

" الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله " (يو ١ : ١٢) .

* * *

وفى نفس الوقت رفض هذا الخلاص من الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين ، والكهنة ورؤساء الشعب وغيرهم ...

لما سمع هيرودس الملك بميلاد المسيح " اضطرب وجميع أورشليم معه " (مت ٢ : ٣) .

وغير مؤامرة لقتله ، ولو أدى الأمر أن يقتل كل أمثال بيت لحم . ثم يفرح بهذا الخلاص الآتى ، ولم يؤمن به !! وهكذا يحزننا الرسول قائلاً :
" كيف ننجو ، إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ؟! " (عب ٢ : ٤) .

هذا الخلاص الذى تتبأ عنه أنبياء كثيرون ، ووردت عنه العديد من الرموز ، وانتظرتة أجيال طويلة .. حينئذ يقف أمامنا سؤال هام : ما موقفنا من هذا الخلاص ؟

لا تقل : هل الله يريدنى أن أخلص أم لا ؟

فالله يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يرجعون " (اتى ٢ : ٤) . والمهم هو أنك تريد أن تخلص .. كما كان الرب يسأل المريض أحياناً " أتريد أن تبرأ " (يو ٥ : ٦) ... لأن هناك مرضى يحبون المرض ولا يريدون الشفاء ، كما قيل :
" أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو ٣ : ١٩) .

الذين يحبون الظلمة ، لا يحبون أن يخلصوا . إن أراد الرب أن يخلصهم من خطاياهم ، يرفضون ويتمسكون بها بالأكثر !!

وهذا يذكرنا ببكاء المسيح على أورشليم ، وحينما قال لها " يا أورشليم يا أورشليم ، يا قائلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا .. " (مت ٢٣ : ٢٧) . انظروا ماذا يقول ؟
كم مرة أردت .. ولم تريدوا !!
ولذلك كانت النتيجة " هوذا بيتكم يترك لكم خراباً " .

إنه العتاب الذى عاتب به الرب شعبه منذ القديم ، وأشهد عليه السماء والأرض ، وأنشد له نشيد الكرمة ، وقال " أحكموا بينى وبين كرمى . ماذا يصنع أيضاً لكرمى ، وأنا لم أصنعه ؟! (أش ٥ : ٣ ، ٤) .

إنها قاعدة يجب أن نعرفها فى الخلاص الذى يقدمه الرب .

الرب يتلم الخلاص . ولكن لا يرغم أحداً على قبوله .

الله يريد القلب ، يريد الحب ، ولا يجذب أحداً إليه بالعنف إطلاقاً . إنه يترك الأمر لإختيار البشر ، ويقول " قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، فاختر الحياة لكى تحيا " (تث ٣٠ : ١٩ ، ١٥) .

الله يرشد وينصح ، وتتبقى الإرادة كلها فى يدك ، تعمل أو لا تعمل ، تقبل أو لا تقبل .
هو واقف على الباب يقرع (رؤ ٣ : ٢٠) . وأنت حر ، تفتح أو لا تفتح ...
وهكذا حدث مع عذراء النشيد ، قرع على بابها طويلاً ، وانتظر حتى إمتلأ رأسه من
الطل ، وقصصه من ندى الليل ، وخاطبها بأرق العبارات ، ولكنها اعتذرت عن فتح
بابها ، وتأخرت ، فكانت النتيجة أنه " تحول وعبر " (نش ٥ : ٢ - ٦) . وهكذا نتيجة
حريتها فقدت الحياة مع الله فترة ، ثم عادت بعدها ورجعت إليه .

إن لم السيد المسيح كفارة غير محدودة ، كافٍ لمغفرة جميع الخطايا ، لجميع
الناس ، فى جميع العصور . ومع ذلك لم يخلص الكل . والسبب راجع إليهم هم .
النعمة مستعدة أن تعمل مع كل أحد ، ولكن ليس الجميع يستسلمون لعمل النعمة ...
الروح القدس مستعد أن يهب القوة لكل ويعمل فيهم ، ولكن ليس الكل يشتركون مع
الروح القدس فى العمل . الخلاص مقدم للجميع . ولكن كثيرون لا هون عن خلاصهم ...
فلماذا كل هذا ؟

أسباب من الإنسان :

أول سبب يضيع خلاص الإنسان هو محبته للخطية .
محبة الجسد والمادة والأشياء التى فى العالم . الناس يهتمون بأجسادهم أكثر مما
يهتمون بأرواحهم . عقلهم ينشغل بالعالم وليس بالسماويات . فتتعلق قلوبهم بالدنيا وما
فيها، ويركزون فيها رغباتهم . وهكذا لا يصبح القلب لله .. وتتدرج علاقتهم بالخطية :
وقد تصبح الخطية عادة ، وتسيطر . وقد تصبح شهوة ويستعبد الإنسان لها .

ويتدرج الإنسان من محبة الخطية إلى العبودية لها .
يدخل فى حالة من السبي ، حتى أنه يفقد إرادته تماماً ...
وقد شرح القديس بولس الرسول هذه الحالة فقال " .. الشر الذى لست أريده ، إياه
أفعل .. فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فى .. أرى ناموساً آخر فى أعضائى
يحارب ناموس ذهنى، ويسبينى إلى ناموس الخطية ... " (رو ٧ : ١٩ - ٢٣) .

إنن ليس المهم فقط ، الخلاص من العقوبة ،

إنما الأصل والأهم هو الخلاص من الخطية .

ضع أمامك إنن كيف تخلص من الخطية ، وتصل إلى التوبة ، وإلى النقاوة ، وإلى محبة الله . هذا ما ينبغي أن تفكر فيه من بداية سنة جديدة ، فتكون لك حياة مع الله ...

* * *

كثيرون يفقدون الخلاص لأن نظرتهم تغيرت .

نظرتهم للروحيات تغيرت ، نظرتهم إلى الله نفسه تغيرت ... لم يعد له الإهتمام الأول ، ولا الحماس السابق .. بل لم تعد له لذة في العشرة مع الله . وقد يصلى ، ويقرأ الكتاب ، ويحضر القداسات والاجتماعات ... ولكن بغير روح .

* * *

وربما نظرتهم إلى الخطية أيضاً قد تغيرت :

وأصبح الضمير واسعاً ، ويبتلع أشياء كثيرة .. وهكذا صار في أعمال عبدة يفقد حرصه وإحتراسه ، ويفقد تدقيقه ، وبالوقت يصل إلى الإستهانة واللامبالاة . أى يرتكب الخطية بلا مبالاة ، ونفس الإستهانة في صلواته وعبادته ...

* * *

وبمرور الوقت تختفى مخافة الله من قلبه .

وإذا بعبارات الله حنون محب غفور طيب ، تجعله لا يبالي ، كأنما يستغل محبة الله استغلالاً سيئاً في كسر وصايا الله بدون خوف . وهنا يقف أمامه قول الرسول عن العلاقة بالرب " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " (رو ٢: ٤) ...

* * *

وهذه الإستهانة تجعله يفقد الجدية في حياته الروحية .

لا ينظر إلى وصايا الله في جدية ، ولا يعترف ويتناول في جدية . ويمكن أن يتناول ويخطئ مباشرة ، بلا خجل ، بغير مخافة لله ، ولا هيبة ولا خشية !! وبلا إهتمام ... لا يضع في ذهنه أن الله يراه ، وأن أرواح الملائكة وأرواح معارفه الذين انتقلوا تراه !!

يصاب ببرودة في حواسه الروحية ، فتتبدل !

وهذا النوع ربما يسمع العظات فلا يتأثر ، ويقرأ عن الروحيات فلا يتأثر .. بل تتحول

الروحيات عنده إلى معلومات تزيد معارفه ، وليست إلى مناخس اتخن قلبه وضميره ...

وبفقدته الواعز الداخلى ، تفقد الدوافع الخارجية تأثيرها .

لأنها لا تجد فى داخله ما يقبلها وينفعل بها ، أو لأنه تعودها .. كما يتعود مريض دواء معيناً ، فيفقد الدواء تأثيره عليه .. وهكذا تدخل حياته فى فتور روحى ، أو فى برودة روحية ، وقد يبعد عن حياة الروح تماماً ... ولا يعود يفكر مطلقاً فى خلاص نفسه. وإن ناداه الرب ، لا يجد فى قلبه صدق ، إذ قد وصل إلى قساوة القلب التى حذر منها الرسول قائلاً :

" إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣: ٧ ، ١٥) .

وحتى هذا الإنسان ، تحاول النعمة أن تجتذبه . وقد يسمع صوت الله فيتأثر به ، ويود أن يرجع إلى الحياة مع الله . ولكنه يدخل فى صراع داخلى . ويصبح مثل إنسان مشلول يريد أن يقف ، فلا تقوى قدماء على ذلك .

وهكذا يبرر رفضه للخلاص بعنصر التأجيل .

تماماً مثل فيلكس الوالى ، الذى ارتعب لما سمع بولس الرسول يتحدث عن البر والدينونة والتعفف . ولكنه قاوم التأثير الروحى بقوله للرسول " اذهب الآن ، ومتى حصلت على وقت استدعيك " (أع ٢٤: ٢٥) .

بالإضافة إلى كل هذا ، توجد الحروب الخارجية .

التي تنتهز الضعف الداخلى ، فتهجم وتضغط . وتفتح أمامه أبواباً واسعة للخطية طالما اشتهاها من قبل وما كان يجدها ...

وإن حاول أن يضع أمامه قول الرسول " لا تشاكلوا أهل هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو ١٢: ٢) ... يصور له العدو صعوبة التغيير ، وردود الفعل فى الوسط الذى يعيش فيه .. وماذا يقول الناس عنه ، وقد تعودوا عليه فى صورة معينة!!

من عَوَائِقِ الفِضِيلَةِ سُوءِ الفِهْمِ أَوْ عَدَمِ الفِهْمِ

للخطأ أو للخطيئة أو للشر أسباب متعددة ، من أهمها :
الجهل ، أو سوء الفهم ، أو عدم الفهم . قال السيد الرب :

" قد هلك شعبي من عدم المعرفة " (هو: ٤: ٦) .

* * *

فكثيراً ما يكون سبب الخطيئة الجهل . فممكن أن إنساناً يخطئ بسبب عدم المعرفة ،
ولا نقصد عدم المعرفة بصفة مطلقة ، وإنما ممكن بصفة جزئية ...
وفى سفر أشعياء النبي فى الإصحاح الأول ، يقول الرب " الثور يعرف قانيه ،
والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف ، شعبي لا يفهم " (أش: ١: ٣) .

* * *

ومن أمثلة الجهل الذى يخطئ به البعض : أهل نينوى .

قال عنهم الرب ليونان النبي " أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها
أكثر من إثنتى عشرة ربوة من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم " (يون: ٤: ١١) .
والربوة عشرة آلاف . أى يوجد فى نينوى العظيمة أكثر من ١٢ ألف نسمة لا يعرفون
يمينهم من شمالهم .

* * *

كثير جداً من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم .

مثل بعض القرى والأحياء غير المخدومة . لا يعرفون شيئاً . فتأتى إحدى الطوائف
تتلقفهم . ومثلما تقول لهم ، هكذا يرددون وراءها ... بدون فهم .. وينحرفون من مذهبهم
الأصلى . واستلمتهم جماعات شكلتهم كما تريد .. وما أسهل عمل شهود يهوه مثلاً فى
أمثال هؤلاء الناس .. ليس فقط فى القرى ، بل حتى فى قلب المدينة ، حيث توجد عائلات
لا يزورها أحد من رجال الكهنوت ... وكما قال الرب " هلك شعبي من عدم المعرفة" ...

وسبب عدم الفهم يقدمه السيد المسيح عنراً لصالبيه فيقول :
" اغفر لهم يا ايتاه ، لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون " (لوقا : ٢٣ : ٣٤) .

ويقول الرسول عن هذا ، " لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد " (١كو٢ : ٨) ...
حتى الشيطان نفسه ما كان متأكداً هل هذا هو ابن الله أم لا . هل صلبه ينفعه كشيطان
للتخلص من تعليمه .. أم أن صلبه يخلص العالم . هو نفسه كان عنده عدم معرفة !

* * *

حقاً ما أكثر الناس الذين لا يدرون ماذا يفعلون ! يظن الخير حيث يوجد الشر ! وربما
يوجد أناس كبار في مراكزهم العلمانية ، أو في مراكزهم الدينية ، وهم لا يدرون ماذا
يقولون أو ماذا يفعلون !

الكنيسة والفريسيون كانوا من قادة الشعب في معرفة الدين ، ومع ذلك قال عنهم السيد
المسيح إنهم :

" يقلقون منكم السموات قدام الناس ، فلا هم يخلوا ، ولا جعلوا الداخلين يدخلون "
(مت ٢٣ : ١٣) .

* * *

وقال إنهم قادة عميان : الذي يرشدونه ، يجعلونه إبناً لجهنم أكثر منهم مضاعفاً
(مت ٢٣ : ١٥ ، ١٦) !! كانوا ينصحون الشعب بطرق خاطئة ، ويشرحون الوصايا بطريقة
حرفية ، مثل كلامهم عن وصية السبت .. الرجل المولود أعمى الذي منحه السيد المسيح
بصراً : قالوا له إن السيد المسيح الذي شفاه هو رجل خاطئ (يو ٩ : ٢٤) . لأنه شفاه في
يوم السبت !!

* * *

وفي العهد القديم يقول الرب لإسرائيل " مرشدوك مضلون " (اش ٣ : ١٢) .
وعن أمثال هؤلاء المرشدين المضلين قال الرب :
" أعمى يقود أعمى ، كلاهما يسقطان في حفرة " (مت ١٥ : ١٤) .

* * *

ولاشك أن المذاهب الدينية المتعددة سببها عدم الفهم .
إنهم يفهمون الكتاب بطريقة خاطئة ، وينقلون هذا الفهم الخاطئ إلى الناس فتتكون
مذاهب ، وربما تتكون أيضاً بدع وهرطقات ، نتيجة لعدم الفهم ، وإنتشار سوء الفهم بين
الناس .

ونحن فى القداس الإلهى نسمى خطايا العامة جهالات .

فعدت تقديم الذبيحة ، يقول الكاهن للرب سراً " لتكن مقبولة عن خطاياى وجهالات شعبك" . بالنسبة إليه ككاهن لا يعتبرها جهالات ، لأنه من فم الكاهن تُطلب الشريعة (ملا: ٧) ... أما الشعب فله جهالات ...

* * *

من أجل هذا كله أوجد الله التعليم فى الكنيسة .
وأرسل رسلاً وأنبياء وعين كهنة ومعلمين .

ومن أجل التوعية والإرشاد والإنقاذ من الخطأ، منحنا الله الوحي الإلهى فى كتابه المقدس . وقيل " كل الكتاب موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب " (٢تى: ٣: ١٦) .

* * *

وعن التعليم وأهميته يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس :

لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك " (١تى: ٤: ١٦) .

ويكمل قائلاً " لأنك إن فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " ...
ويقول لتلميذه تيطس " وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح " (تى: ٢: ١) .
وهنا يشير الرسول إلى التعليم الصحيح ، لأن هناك معلمين مخطئين .

يعلمون وهم لا يعرفون الحق كما ينبغي أن يكون . ولذلك " يأخذون دينونة أعظم " (بع: ٣: ١) . لأنهم فى أشياء كثيرة يعثرون ... مع أنهم معلمون .. ولهذا نجد القديس بولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس " وما تسلمته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء ، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً " (٢تى: ٢: ٢) .

* * *

نلاحظ هنا فى التعليم عبارة أمناء ، وعبارة أكفاء .

لأن الذى لم يصل بعد إلى الفهم السليم ، لا يجوز له أن يعلم ، مهما ظن فى نفسه أنه ذو معرفة ، ومهما كان حكيماً فى عينى نفسه " (أم: ٢٦: ٥ ، ١٢) ، لئلا يرتقى فوق ما ينبغي ، ولا يرتقى إلى التعقل (رو: ١٢: ٣) .

* * *

والتوعية والتعليم لازمان أيضاً فى محيط الأسرة .

وهذه بلاشك مسئولية الوالدين والأقارب والأشابين ...

من الجائز أن اينك يكون محتاجاً إلى إرشادك في كثير من الأمور . وإذ لا يجد هذا الإرشاد يتلقاه من صحبة شريفة أو بيئة خاطئة ، ويضل ، إذ يستقبل المعلومات بعقلية لا أساس لديها من الفهم ، ولا قواعد ثابتة تعتمد عليها ...
وحيث لا يكفي من جهتك أن تقابله بمجرد الأوامر والنواهي ، أو باستخدام الشدة في المنع والقمع . إنما يحتاج إلى تعليم ، حتى يفهم الأمور بمعناها السليم . وما أجمل ما قيل في تعاليم أبائنا الرسل :

* * *

أمحُ الذنب بالتعليم (السقولية) .

قد يتزوج شابان ، وهما لا يعلمان إطلاقاً ما هي الحياة الزوجية ، ولا ما هي العلاقات الأسرية، ولا يعرفان كيف يحلان مشاكلهما ... وهكذا يفشلان نتيجة لعدم المعرفة ، أو نتيجة الفهم الخاطئ من أم أو من صديقة أو من جارة ، أو من أى مصدر آخر ...
حقاً ما أعمق قول الرب " هلك شعبي من عدم المعرفة " .

إن كيف يمكن أن توجد إستشارة في عقل كل واحد ؟

* * *

الله من أجل التعليم ، أوجد في أعماق كل إنسان الضمير .

يهديه إلى الخير ، ويمنعه عن الخطأ بصفة عامة ... ولكن الضمير قد يحيطه ضباب أحياناً ، فيرتبك أين الخير وأين الشر ؟ وبخاصة في الأمور غير الواضحة . فكيف يستتير الضمير ؟

يستتير الضمير بالوصية ، وبعمل الروح القدس .

ولذلك يقول المرنم في المزمور " سراج لرجلي كلامك ، ونور لسبيلي " (مز ١١٩)
ويقول " وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد " (مز ١١٩) ويقول " لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي ، لهلكت حينئذ في مذلتى " (مز ١١٩) ...

* * *

من أجل هذا نضئ الشموع عند قراءة الإنجيل في الكنيسة .

لأنه يضئ لنا الطريق ، وبه ننال الإستشارة .

وعن عمل الروح القدس ، يقول لنا السيد الرب عنه إنه روح الحق (يو ١٥ : ٢٦) وأنه يعلمكم كل شئ ، ويذكركم بكل ما قلته لكم " (يو ١٤ : ٢٦) . وأنه " يرشدكم إلى جميع الحق " (يو ١٦ : ١٣) .

كثير من الأخطاء الروحية أيضاً سببها عدم المعرفة ...
لا تظنوا أن كل إنسان يعرف الله معرفة سليمة . ما أكثر الآباء والأمهات الذين
يهددون الطفل بأن الله " يزعل منه " . في كل تصرف يتصرفه ، فينشأ الطفل يرتعب من
الله ، ولا توجد بينه وبين الله علاقة طيبة .. وهكذا المعرفة الخاطئة تشوه عقولهم .

السيد المسيح جاء يعرفنا بالله بطريقة جميلة .

جاء يعلمنا أنه " هكذا أحب الله العالم .. " (يو ٣: ١٤) . وقيل عن السيد نفسه إنه كان
قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣: ١) ورسوله يوحنا علمنا
أن الله محبة . ومن يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله فيه " (١يو ٤: ١٦) .

★ ★ ★

صدقوني ، إننا لم نعرف الله بعد كما ينبغي .

ويولس الرسول في كل ما عمله ، يقول " لأعرفه ... " (في ٣: ١٠) . والسيد المسيح
يقول للأب " هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك .. " (يو ١٧: ٣) .
يا ليتنا نبدأ أن نعرف الله المعرفة الحقيقية ...

★ ★ ★

بل لا بد أن نعرف أنفسنا حتى لا نخطئ .

لأنه إن عرفنا أننا صورة الله ومثاله ، وإن عرفنا أننا أبناء الله ، وينبغي أن الإبن يشبه
أباه ، وإن عرفنا أننا هياكل للروح القدس ، وروح الله ساكن فينا " (١كو ٣: ١٦) .. إن
عرفنا كل ذلك ، قد نستحي من الخطية ونخجل ولا نخطئ ... كذلك إن عرفنا أن الله
يرانا في كل ما نفعله ، قد نخجل أيضاً ولا نخطئ .

نتناول الآن بعض نقاط الخطية ونرى كيف يعمل فيها عدم الفهم . ولنبدأ بأعمق

الخطايا : الإلحاد .

الإلحاد :

يقول الكتاب " قال الجاهل في قلبه ليس إله " (مز ٤: ١) .

إن الإلحاد جهل .. جهل بالله ، جهل بالطبيعة التي حولنا التي كل ما فيها يشير إلى
وجود الله " السماء تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " (مز ١٩: ١) . حقاً إن الذي
يتأمل في قوانين الفلك العجيبة ، والعلاقة بين الشمس والأقمار والكواكب والنجوم
والشهب والمجرات ، لا بد أن يبهر ويذهل ويؤمن بوجود الله ...

ولذلك كانوا يعلمون الفلك فى كليات اللاهوت ، وكذلك الطب ...
لأن الذى يتأمل فى تشريح جسم الإنسان ، وفى وظائف الأعضاء ، لابد أن يدرك قدرة
الله الخالق العظيم الذى صنع كل ذلك . لذلك فالملحد جاهل ، مهما أدعى العلم والفلسفة ،
لأن كل علمه جهالة عند الله ...

الحرية :

كثير من الناس يقعون فى الخطأ ، لأنهم لا يفهمون مطلقاً معنى الحرية ، كما أخطأ
الإبن الضال فى فهم الحرية .
إن الحرية الحقيقية هى تحرر الإنسان فى الداخل .
يتحرر الإنسان من العادات الخاطئة ، ومن الرغبات والشهوات الشريرة . والذى
يتحرر من الخطايا ومن الجهل ، هذا يمكنه أن يستخدم حريته بطريقة سليمة .
والحرية بمعناها الحقيقى هى التى قال عنها السيد المسيح " إن حرركم الإبن ،
فبالحقيقة تكونون أحراراً " (يو ٨ : ٣٦) .

* * *

ولابد أن تعرف أنه لا توجد حرية مطلقة .
معنى الحرية أنك تستخدم حريتك ، بحيث لا تتعدى على حرية غيرك ، ولا تتعدى
على حقوق الإنسان ، ولا على النظام العام ... ولا على وصايا الله ...
إن فهمت هذا ، لا تخطئ .

السعادة :

كثير من الناس لا يفهمون معنى السعادة ، ولا معنى الفرح . نفس سليمان الحكيم فى
مبدأ حياته ، خلط بين الفرح واللذة ، وظن أن الفرح مصدره كثرة المقتنيات والجوارى
والنساء ، والقصور والأشجار ، والمغنين والمغنيات ، وكثرة الغنى ، فقال " ومهما اشتتهته
عيناي لم أمنعه عنهما " (جا ٢ : ١٠) . وأخيراً وجد أن الكل باطل وقبض الريح .

* * *

يوجد فرح روحى من نوع آخر ، أكثر عمقاً .
الذى قال عنه الكتاب إنه من ثمر الروح (غل ٥ : ٢٢) . يوجد فرح بالرب وفى الرب ،

كما قال الرسول " افرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضاً أفرحوا " (فى ٤ : ٤) .

يوجد فرح فى الإنتصار على النفس ، وعلى فخاخ الشيطان .

إنه فرح الغالبين الذين إنتصروا ، ليس على غيرهم ، وإنما على أنفسهم ، وانتصروا على الإغراءات والشهوات وكل الضعفات ... الفرح بالنمو الروحى ، الفرح بمعرفة الله ، ومذاقة الحياة معه . إنه فرح دائم . إن نلتموه لا ينزع منكم . أما افراح العالم فكلها مؤقتة وزائلة ومادية .

العظمة :

كثيرون لا يعرفون معنى العظمة الحقيقية ، ويظنونها فى المظهر الخارجى ، والتباهى ، والمال ، والمناصب والقوة ...
إنها عظمة من الخارج ، وليس عظمة النفس من الداخل .

العظمة الحقيقية هى الشخصية الكاملة ، المتجلمة بالفضائل ، التى هى على صورة الله ومثاله .

يوحنا المعمدان كان عظيماً ، بل أعظم من ولده النساء . بل قيل إنه يكون عظيماً أمام الرب . لماذا؟ لأنه من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس (لوقا : ١٥) . هذه هى العظمة الحقيقية . أتراك أدركتها أو نقتها . أم تتمسك بعظمة العالم الذى يببى وشهوته معه ...

أعرف نفسك :

من أهم مظاهر عدم الفهم ، أن الإنسان لا يفهم نفسه . ويظن أنه مجرد جسد ، فيسلك حسب الجسد ، لكى يتمتع بالجسد ومتطلباته . وفى كل ذلك جهل أن فى داخله روحاً لها مطالبها ، وهى التى يكون لها شركة مع الروح القدس .

* * *

وإذا عرف الإنسان أهمية روحه ، يهتم بها .

الروح تحتاج أن تتغذى بكل الأغذية الروحية ، وتحتاج أن تتزين وتتجمل بالفضيلة ، وتحتاج أن تنمو فى المعرفة وفى محبة الله ... وإذ هى أهم من الجسد يجب أن يبذل الإنسان جهده من أجلها . من أجل السلوك بالروح ... ولكن من ذا الذى يعرف ؟ حقاً كما قال الله : " قد هلك شعبي من عدم المعرفة " (هو ٤ : ٦) .

الشرّ هو فنى سوء الاستخدام

هناك أسباب تؤدي إلى الخطية وإلى الشر ، ولعل فى مقدمة هذه الأسباب : سوء الإستخدام . فما المقصود بهذا ؟

إن الله قد وهبنا عطايا كثيرة . ولكننا نسنّ استخدامها .

وهناك فى الحياة أشياء كثيرة، يمكن أن تستخدم فى الخير، ويمكن أن تستخدم فى الشر هى فى ذاتها ليست خطية ، إنما الخطية هى فى سوء إستخدامها .

* * *

فما تفسير هذا كله ؟ .. فلنحاول معاً أن نتفهم الأمور جيداً ، حتى نستطيع أن نحدد أين يوجد الخطأ ؟ وما هو مصدره ؟ ولنبدأ ببعض المواهب ، وننتدرج أيضاً إلى المادة ، وإلى الفرائز ، وإلى المخترعات ، ونفحص الأمور جيداً .

الحب :

أعطانا الله عاطفة الحب . وهى ليست خطأ . بل الخطأ هو أننا لا نحب . وقيل عن الله تبارك اسمه " الله محبة " (ايو ٤ : ٨) . وقال الرسول " كل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله " (ايو ٤ : ٧) .

الخطأ هو أن نسنّ استخدام الحب ، ونوجهه توجيهاً غير سليم .

* * *

الحب أصلاً يكون موجهاً إلى الله ، وإلى الناس داخل نطاق محبة الله . ويكون موجهاً إلى الخير والمثاليات ، وإلى السماء والأبدية .

وقد قال الوحي الإلهى " تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك " (تث ٦ : ٥) هذه هى الوصية العظمى فى الناموس . والثانية مثلها " تحب قريبك كنفسك " (مت ٢٢ : ٣٩) .

* * *

ولكن نخطئ إذا أسأنا استخدام الحب، فأصبحنا نحب العالم أو الجسد أو المادة أو الذات .
وفى هذا قال الكتاب " محبة العالم عداوة لله " (يع: ٤: ٤) . وقيل " لا تحبوا العالم ولا
الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الأب . لأن كل ما فى العالم:
شهوة الجسد وشهوة العين ، وتعظم المعيشة " (١يو: ٢: ١٥ ، ١٦) .

* * *

كذلك يخطئ الإنسان إن أحب ذاته محبة خاطئة .

فليس خطأ أن يحب الإنسان ذاته محبة روحية ، كما قيل " تحب قريبك كنفسك" . لكن
إذا أساء استخدام محبته لنفسه ، بحيث توجهت هذه المحبة إلى الجسد والذات ، أو إلى
العظمة والكبرياء حينئذ تصبح محبة الذات خطية .
ومن ضمن محبة العالم : محبة المال .

المال :

المال ليس شراً فى ذاته ، إنما الشر فى سوء استخدامه .
فقد كان أبونا إبراهيم أبو الأباء غنياً ، وكان كاملاً أمام الله . وأيوب الصديق كان أغنى
بنى الشرق ، ومع ذلك كان رجلاً كاملاً ومستقيماً يتقى الله ويحيد عن الشر (أى: ١: ٨) .
"وكان أباً للفقراء ، وعيوناً للأعمى ، وأرجلاً للعرج . وكم أنقذ المسكين المستغيث ،
واليتيم الذى لا معين له . وكم جعل قلب الأرملة يسر " (أى: ٢٩: ١٢ - ١٦) . لقد استخدم
ماله بطريقة سليمة .

وبالمثل كان يوسف الرامى رجلاً غنياً (مت: ٢٧: ٥٧) . وهو الذى كفن السيد المسيح
ودفنه .. وفى الجيل السابق لنا كان إبراهيم الجوهري رجلاً غنياً . وكان إنساناً باراً ينفق
على الكنائس والأديرة ، ويعول الفقراء والمعوزين .

* * *

ولكن يصير المال شراً ، إذا أسئ استخدامه ، فى اللهو ، وملاذ الدنيا ، أو اعتمد
الإنسان عليه ، وصار مجالاً للكبرياء ...
وليس عيباً أن يمتلك الإنسان مالاً ، إنما العيب أن يمتلك المال هذا الإنسان ...

الغضب :

ليس الغضب شراً في ذاته ، فهناك غضب مقدس .
والغضب المقدس هو الذى يمنح الإنسان الغيرة المقدسة ، والنخوة والشهامة، والدفاع
عن الحق . ويبقى الغضب مقدساً ، إن كانت مسيلته مقدسة ، ودوافعه مقدسة . وهنا
نفرق بين الغضب والذرفزة ، فالذرفزة هي تعب فى الأعصاب . وقد يغضب الإنسان ،
ويبقى فى وقاره ، مترناً ، محتفظاً بأعصابه .
وقد غضب موسى النبي ، عندما عبد الإنسان العجل الذهبى ، وأحرق هذا التمثال
بالنار ، وطحنه ونراه على وجه الماء ، وبكت أخاه هرون (خر ٣٢ : ٢٠ ، ٢١) .

* * *

ولكن إذا إسن استخدام الغضب ، يصبح خطية .
وذلك إذا استخدم من أجل كرامة شخصية ، أو بقسوة وبغير سبب يدعو إليه ، أو إذا
خلط هذا الغضب بالفاظ غير لائقة ، أو باعتداء ، أو بإهانات وجرح للشعور ، أو بعنف ،
بظلم .. ففى كل هذا يصبح الغضب خطية ، لأنه قد أسى استخدامه .

الفن :

ليس الفن خطيئة ، لأنه يمكن استخدامه فى الخير .
نقول هذا عن الشعر ، والموسيقى ، والرسم ، والنحت ، ونقوله أيضاً عن التمثيل فى
المسرح أو السينما ، وسائر الفنون الأخرى إذا كان استخدامها فى الخير .

* * *

كان داود النبي شاعراً ، وكان موسيقياً ...
كان ينظم المزامير شعراً ، ويغنيها على مزماره وكان " يحسن الضرب على العود "
(اصم ١٦ : ١٦ ، ١٨) . وكان أساف أيضاً شاعراً ومغنياً ، ومريم النبيبة أخت هرون ،
كانت تضرب على الدف ، وتغنى للرب . وقد فطت ذلك فى معجزة شق البحر الأحمر ،
وهى تقود النساء فى التسييح (خر ١٥ : ٢٠ ، ٢١) .

* * *

والرسول يقول " بمزامير وتسابيح وأغاني روحية ، مترنمين فى قلوبكم للرب " (أف ١٩:٥٥) . والغناء الروحى موجود فى الكنيسة فى الأبحان والتراثيل والتسابيح، بل فى القداس الإلهى نفسه. والمزمور يقول " غنوا للرب أغنية جديدة " " رنموا للرب " (مز ٩٥-٩٨). وسفر نشيد الأنشيد يمكن أن يترجم أغنية الأغنيات **The Song of the Songs** .

* * *

إذن الغناء ليس خطأ فى ذاته ، ولكن إذا أسئ استخدامه فى المجون والعبث، فننذ بصبح خطية .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الشعر ، وإلى الموسيقى ، يتوقف الخير أو الشر فيهما على حسن الإستخدام أو سوء الاستخدام . ونفس الكلام نقوله عن الرسم والنحت . فلو كان الإنجيلى كان رساماً . ولا تنسى ميشيل انجلو وأيقوناته فى الكنائس . أما الرسامون الذين يسيئون استخدام الموهبة إلى إثارة الغرائز الجسدية ، فهؤلاء يخطئون بسوء الإستخدام . وتبقى الموهبة صالحة إذا استخدمت حسناً ، كما قيل :

" كل شئ ظاهر للطاهرين " (تى ١: ١٥) .

الخيال :

هو أيضاً يتوقف خيره أو شره على استخدامه .

فالخيال الخير هو مصدر القصص النافع المفيد ، والشعر الروحى المؤثر ، بل قد يكون مصدراً صالحاً للتأمل . ويمكن للإنسان أن يسرح خياله فى السماء والملائكة والأبدية ، بل وفى صفات الله نفسه .

ويصبح الخيال شراً ، إذا أسئ استخدامه ، كما فى أحلام اليقظة وتصور الشرور فى الذهن .

أى إذا سرح خياله فى خطية ...

الطموح :

الطموح يكون خيراً إن كان سعياً وراء الكمال .

وفى ذلك قال الرسول " إذن أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى ما هو قدام " (فى ٣: ١٣)

١٣) . ولولا الطموح ، ما كان للنمو الروحي في الفضيلة ، وما كان السعي إلى استرجاعنا لصورة الله فينا . ويكون الطموح خيراً إذا سعى الإنسان إلى أن يكون ناجحاً في كل عمل تمتد إليه يده (مز ١: ٣) . كما كان يوسف الصديق ناجحاً في كل شيء (تك ٣٩: ٣) .

* * *

أما إذا أسئ استخدام الطموح ، وصار طموحاً في العظمة والماديات ، وفي الانتصار على الآخرين ، حينئذ يصبح خطية . كذلك إذا قاد الطموح إلى الحسد أو إلى الكراهية ، أو إلى التآمر على الآخرين لأخذ مراكزهم .. هنا نكون قد أسأنا استخدام الطموح .

العقل :

العقل موهبة من الله ، يمكن أن تستخدم في الخير وفي الشر . العقل إذا استخدم في خير الإنسان روحياً ، وفي خير البشرية ، وفي التوصل إلى السلوك السليم ، حينئذ يتحول إلى حكمة طاهرة نافعة .

* * *

ولكن العقل قد يسئ البعض استخدامه ، كالخطاة والمجرمين والشياطين نفسه . ومن هنا قد يستخدم العقل في تدبير المؤامرات ، مثلما كان يفعل اخبثوفل . ومثلما استخدمت الملكة ايزابل عقلها في الفتك بنابوت اليزرعيلي (امل ٢١) . ومثلما يدبر الشيطان لإهلاك البشر ، ومثلما يفعل العظماء في إختراع أسلحة تدميرية فتاكة ... وكما يفعل أصحاب الحيل والدهاء والمكر ...

هنا يكون الإنسان قد أساء استخدام عقله ، في ضرر الآخرين أو ضرر نفسه .

الإختراعات :

يمكن استخدام الإختراعات في الخير أو في الشر . الطاقة الذرية مثلاً التي استخدمت في تدمير هيروشيما ، يمكن أن تستخدم سلمياً من أجل خير البشرية . هي ليست شرراً في ذاتها ، ولكن الشر يكمن في سوء إستخدامها .

يسأل البعض أحياناً : هل الراديو والتلفزيون حلال أم حرام ، شير أم شر؟ وكنت
التمثيل ؟

يمكن استخدام هذه المخترعات فى الخير ، إذا اشرف عليها أناس روجيون يهتمون
بنقاوة القلب والفكر ، وبقيادة الإنسان فى طريق الخير .
والكنيسة تستخدم المخترعات الحديثة .
مثل الميكروفونات ، ومكبرات الصوت ، والفيديو ، وأجهزة التسجيل ، وكل
المخترعات النافعة .

* * *

ويمكن أن يستخدم المسرح والتمثيل فى متعة الناس روحياً .
وذلك بتقديم روايات دينية من الكتاب المقدس ، أو من تاريخ الكنيسة ، أو حتى من
الخيال ، المهم أن تترك تأثيرها الروحى العميق فى نفوس مشاهديها .

القوة :

يمكن استخدامها فى الخير ، وإذا أسئ استخدامها تصبح شراً .
والدين يدعوننا أن نكون أقوى . والإنسان القوى الشخصية ، هو إنسان نافع للمجتمع ،
ونافع لأسرته ، ونافع لنفسه فى الانتصار على كل إغراءات الشر . وهنا أحب ألا يفهم
الناس التواضع فهماً خاطئاً ، يكون مظهره الضعف والتخاذل .

* * *

فالسيد المسيح كان متواضعاً جداً ، وفى نفس الوقت كان قوى الشخصية ، وكان يفهم
الكتابة والفريسيين والصدوقيين وغيرهم فى كل حوارهم معهم . وكانوا يشعرون بقوته .
وكان الجميع يبهررون بشخصه ...

* * *

ولكن إذا أسئ استخدام القوة ، وتحولت إلى البطش والعنف ، أو الاستبداد والتسلط ،
أو تحولت إلى الإرهاب والظلم ، حينئذ تصبح شراً .
وهنا نميز بين القوى العادل النافع ، وبين القوى المغلوب من نفسه المتسلط على غيره
كل شئ نافع إذا أسئ استخدامه يتحول إلى شر .

الحرية :

لا أظن أن أحداً فى العالم يقول إن الحرية شر . ولكن لاشك أن سوء إستخدام الحرية هو خطية بلاشك .

كأن يستخدم إنسان حرية فى فعل ما لا يليق ، أو بغير ضابط خلقى .. أو أن يستخدم حرية فى إقلاق الآخرين وإزعاجهم ، أو فى أن يكون عثرة لهم ، وسبباً فى سقوطهم .
أو أن يستخدم حرية فى إهلاك نفسه ، كمن يدمن الخمر أو التبخين أو المخدرات ...
و كالتالى الذى يستخدم حرية فى اللعب واللهو ويترك دروسه فيفشل .
أو أن يستخدم الإنسان حرية فى الإعتداء على حريات الآخرين أو على حقوقهم ، أو فى إنتهاك النظام العام ...
هنا يكون الإستخدام السئ للحرية خطية .

الغريزة :

ليست الغريزة خطأ فى ذاتها ، وإلا ما خلقها الله فبنا .
كما أن المادة ليست خطأ فى ذاتها ، وإلا ما كان الله قد خلقها . إنما المهم أن تسيطر الغريزة فى مجراها الطبيعى ، ولا يساء استخدامها ...
وموضوع الغرائز موضوع طويل ليس الآن مجاله ...
ونفس الكلام نقوله على الرغبات .

المادة :

المادة ليست شراً فى ذاتها ، إذا أسئ استخدامها تتحول إلى شر .
كذلك إذا أحبها الناس أكثر من الله ، أو إذا سيطرت محبتها فى قيادة الإنسان، بحيث قولون عنه إنه إنسان مادي ... أى أن المادة استخدمت بأسلوب قضى على روحياته ومثاليته ومحبه للخير ...

ومن منطلق هذا المفهوم نتكلم أيضاً على الخمر .
الخمر - كمادة ليست شرأ . لكن الإستخدام السيئ للخمر هو الشر . ونحن لا نحرم
الخمر كمادة ، ولكن نحرم استخدامها السيئ .
أخطر ما فى الخمر هو الكحول ، هو الذى يتلف الصحة والإرادة ، ويقود إلى السكر ،
ويضيع هيبة الإنسان ، إن زاد مقدار الكحول عن الحد ...
ولكن الكحول ليس شرأ فى ذاته ، ونحن لا نحرمه .
وكثيراً ما نستخدم الكحول فى عديد من الأدوية ، وفى العطور ، وفى الصناعات وفى
الوقود ... ولكن الإستخدام السيئ للكحول فى إتلاف صحة الإنسان ، أو فى إشعال
الحرائق، وما يماثل ذلك ، هذا هو الخطأ .



فهرست الكتاب

صفحة

مقدمة الكتاب ٥

الباب الأول :

ما هي الفضيلة ؟ ما تعريفها ؟ وما نوعياتها ؟ وروحياتها ! ٧

الفضيلة : ما هي ؟ كيف تكون وما مصادرها ؟ ٨

خطورة الفضيلة الواحدة ٢١

الفضيلة ليست مظهراً خارجياً " كل مجد إينة الملك من داخل " ٣٣

حياة الفضيلة والبر هي الحياة بالروح ٤١

- حياة البر هي البعد عن الإثنية ٤٩

الباب الثاني :

حياة الفضيلة بين الهدف والوسيلة وأنواع من المستويات ٥٥

حياة الفضيلة والبر بين الهدف والوسيلة ٥٦

مقاييس الفضيلة ٦٤

حياتك في الفضيلة تقاس بنوع إهتماماتك ٧٢

ثلاثة مستويات للفضائل والطموحات ٧٨

الروحانية والمقارنة بالمستوى النفساني والمستوى الجسداني ٨٦

الباب الثالث :

تفاصيل حول حياة الفضيلة ٩٣

تأثر حياة الفضيلة بالقراءة والسمع وباقي الحواس ٩٤

حياة الفضيلة تنبرهن بالإختبارات ١٠٢

الثمر في حياة الفضيلة والبر ١٠٩

صفحة

- ١١٧ أكاليل المكافأة في حياة الفضيلة والبر
- ١٢٣ فضائل ولكنها وحدها لا تكفى
- ١٢٩ إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال
- ١٣٥ فضيلة ضبط النفس
- ١٤٠ النفوس المريحة
- ١٤٨ من له أذنان للسمع فليسمع

الباب الرابع :

- ١٥٥ عوائق الفضيلة
- ١٥٦ عوائق للفضيلة ولكنها ليست موانع
- ١٦٥ أكبر عائق للفضيلة هو الذات
- ١٧٢ وإذا لم يكن له أصل جف (مت ١٣ : ٦)
- ١٧٩ طرق تبدو مستقيمة
- ١٨٥ هل الجسد عائق للفضيلة ؟ ومتى يكون عائقاً لها ؟
- ١٩٢ من عوائق الفضيلة التساهل مع الخطيئة
- ١٩٧ الخطيئة الكبرى في حياتك
- ٢٠٣ المحبة الخاطئة للنفس
- ٢١٢ النظرة البيضاء والنظرة السوداء
- ٢١٨ يكون عائقاً للفضيلة إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره
- ٢٢٣ من عوائق الفضيلة سوء الفهم أو عدم الفهم
- ٢٣٠ الشر هو في سوء الاستخدام
- ٢٣٨ الفهرس

فصل الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

يشمل هذا الكتاب أربعة أبواب :

- ١ - ما هي الفضيلة ؟ وما تعريفها ونوعياتها ، وروحياتها ومصادرها ، وكيف تكون ؟
- ٢ - مستويات الفضيلة ، ومقاييسها ، والهدف والوسيلة ، وأنواع إهتمامات الإنسان .
- ٣ - الثمر في حياة الفضيلة ، والإختبارات والأكالييل، وضبط النفس ، والإستجابة لعمل الروح ، والتكامل في الفضيلة ، وتفاصيل أخرى كثيرة .
- ٤ - عوائق في حياة الفضيلة ، ولكنها ليست موانع . وقد تحدثنا في هذا الباب عن ١١ عائقاً مع كيفية التخلص منها ...
- ٥ - نتركك بين ضفتي هذا الكتاب الكبير . وإلى اللقاء في كتاب آخر ، إن أحببت نعمة الرب وعشنا،

البابا شنودة الثالث